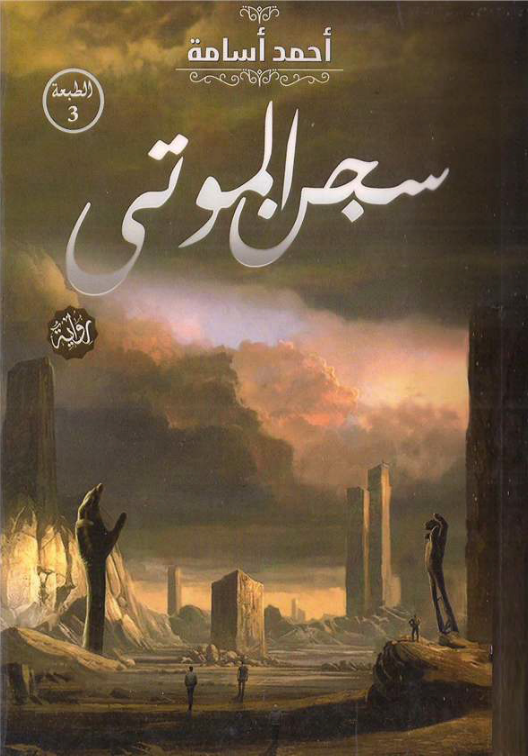

أحمد أسامة
الطبعة
3
سجن الموتى
رواية



سجن الموتى



الكتاب : سجن الموتى

المؤلف : أحمد أسامة

تصميم الغلاف :

تدقيق لغوي : أحمد أسامة

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي : 978-977-6436-59-6

الطبعة الأولى : 2014



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com



سجن الموتى

رواية لـ

أحمد أسامة




ساحر الكتب



الإهداء الأول

إلى أمي.. كم أشتاق لحضنك العميم وأهفو لقلبك الرحيم, عسى أن يجمعنا ربنا في جنات النعيم

كانت وستكون جنتي تحت قدميكِ إن شاء الله

إلى أبي.. إلى الآن لا أفهم كيف استجاب القدر بهذه البساطة والسرعة لرغبة صادقة غير معلنة ليجمع شمل حبيبين دنيا وآخرة ولكن

(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)

مازلت بانتظار إجابتك كل ليلة عن سؤال لا يعرفه سواك

(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا)

إلى زوجتي وحبيبتي.. شمسي التي غمرت روحي بالحياة

قمري الذي بدد ظلمة الليالي

يا من منحتيني سعادة بلا حدود

وزرعتي في بستاني الورود

أنتِ معي إذن أنا موجود


ساحر الكتب



الإهداء الثاني

إلى الذين يتألمون فى صمت, يعانون دون ضجيج, يفضلون الانزواء ويبثون شكواهم إلى السماء, عالمين بأن أقصى ما يستطيع البشر تقديمه فى أحسن الأحوال هو تعاطف مصطنع مؤقت يزيد الأمور سوءًا.. إليكم أنتم أقدم هذا العمل .


ساحر الكتب



تعال إلى بيتك لأراك, أنا زوجتك التى تحبك

لا تفترق عنى, تعال إلى بيتك

قلبى يناشدك, عيناى تشتهيك, أبحث عنك لأراك

أنت يا من أحببت الضوء, لا تذهب فى الظلام!

أنت يا من أحببت صخب ونزق الحياة,

لا تذهب للعزلة

كتاب الموتى (الخروج فى النهار)

نصوص مصرية قديمة



(1)

صباح الخميس

طرقت سلمى باب غرفة والديها عدة طرقات ولكن دون رد, فأدارت المزلاج وفتحت الباب لتجد والدتها نائمة بمفردها على السرير, فتدثرت تحت البطانية بجانبها وشعرت بها جيهان فاحتضنت طفلتها ذات الأربعة أعوام باسمة, طفلة رقيقة تحمل من البراءة قدرًا هائلًا قادرًا على جعل الشياطين تبكى من فرط براءتها كما يقول الإنجليز, جدير بأن يجعل ناظريها أسرى نظراتها الساحرة بعينيها الخضراوين التى ورثتهما عن سليم والدها, وينساب شعرها الذهبى على خديها الأحمرين ليصيبا من يراهما برغبة عارمة فى التهامهما أو تذوقهما بقبلة على أقل تقدير.. آية فى الجمال بحق.. تعرف جيهان ذلك ودائمًا ما تدعو الله أن يحفظ ابنتها الوحيدة. استكملا نومهما سويًا, ثم استيقظت جيهان بعد أن استردت جزءًا من وعيها لتسأل نفسها أين سليم؟ لقد انتظرته طويلًا بالأمس, لكنه لم يأت رُغْمَ أنها نامت فى وقتٍ متأخرٍ جدًا على غير العادة حتى هاتفه لا يرد.. بحثت عن هاتفها عَلَّهَا تجد منه رسالة أو مكالمة أثناء نومها, وحين وجدت الهاتف لم يكن يحمل لها أى جديد.

ما الذى أخره بهذا الشكل؟ هل هى إحدى مريضاته؟ أم إحدى الحالات الطارئة التى تأتى إلى المستشفى وتحتاج إلى تدخل جراحى سريع فيستدعونه على إثرها مما يضطره للبقاء حتى وقتٍ متأخر وربما المبيت كذلك فى المستشفى؟



حاولت الاتصال بسليم ولكن الهاتف هذه المرة خارج نطاق الخدمة مما زاد حيرتها، لم تتناول الإفطار في هذا الصباح مع والدها كما هي العادة.. ومرت الساعات بعد ذلك طويلة ثقيلة مع تعدد محاولاتها في الوصول إليه.. كان أطول نهار يمر عليها منذ فترة طويلة والقلق والحيرة يعصفان بها ولا تتلقى سوى الرد المقيت على مكالماتها (الهاتف الذى طلبته ربما يكون مغلقًا أو خارج نطاق الخدمة) وهاتف العيادة لا يرد. أما العاملون بالمستشفى فأبلغوها بعدم تواجده أو حتى استدعائه ليلة أمس.

فراودتها فكرة وشرعت في تنفيذها، ستتصل بسعد التمرجي لابد وأنه يعلم متى غادر زوجها العيادة، وربما يكون على علم بوجهته بعد العيادة، كان الهاتف يرن دون مجيب، مرة واثنتان وثلاث، فلم تجد بُدًّا من التوجه فورًا بسيارتها إلى العيادة، ولكن وجدتها مغلقة تمامًا ككل الطرق المؤدية للوصول إلى زوجها وكأنه قد أبرم اتفاقًا مع الجميع على إثارة قلقها... حتى بواب العمارة لم ير أحدًا منهما اليوم، ولكنه قد رأى سعدًا مغادرًا البناية ليلة أمس كما أخبرها. طلبت منه أن يتصل بها في حال ظهور أحدهما وأعطته رقم هاتفها، عادت إلى المنزل ومعنوياتها قد سقطت أرضًا، وكأن القدر لم يُرد لها إلا الغموض والقلق.

جاء موعد العشاء ولم يلاحظ أحد غيابه سواها.. بالنسبة لأسرتها فإن غيابه ليوم أو أكثر عن مواعيد الطعام ليس بالأمر الغريب لطبيعة عمله كطبيب يجمع بين عمله في العيادة وعمله في المستشفى.. تظاهرت بتناول الطعام كي لا يؤثر ذلك على والدها وابنتها التى اتجهت بعد العشاء لأخذ حمام دافئ قبل أن تأوى لفراشها. راودها الأمل لحظات عديدة متوقعة قدومه مقبلًا عليها في أي لحظة ومعه عذرًا حتى لو بدا واهيًا سيقنعها ولكن بمرور الوقت تدرك أنه أمل زائف.. مجرد شعاع من نور ينتجه



عقلهاويغمر خلاياها يسعى جاهدًا ليضئ عتمة التوتر الذى وجدت نفسها ملقاة على قارعة طريقه ثم ينحسر هذا الأمل ويبدأ مزيج غريب من الغيظ والقلق يختلج به قلب جيهان, تلك المرأة الحانية الهادئة التى تخطو خطواتها نحو الثلاثين وتتمتع بقدر هائل من الجاذبية تزداد عامًا بعد عام وكأن الزمن يمنحها هدية كل عام مسحة من الجمال فوق الجمال, وجهها الناصع البياض يبعث الهدوء والسعادة فى نفس من يراها, عينان آسرتان تحتميان برموشٍ طويلة ساحرة, طولها متوسط وقوامها مثالى فاتن كامرأة متزوجة, لديها قدر هائل من الثقة بالنفس نتيجة تمتعها بشخصية قوية وعقل راجح لم يخذلها أبدًا فى قراراتها المصيرية, تعشق زوجها رغم تغير أحواله فى الفترة الأخيرة وهى الفترة التى انتقلا فيها للعيش فى فيلا والدها بالمعادى. ولكنها تلتمس له العذر بعد ما تعرض له مؤخرًا, لقد كان تغيره سريعًا مفاجئًا, نست تمامًا أن النجاة من كارثة لا تعنى عدم توخى الحذر من وقوع كارثة أخرى ولكن هل هذه المرة هناك كارثة جديدة أم أن وراء الأمر امرأة؟

لو كان كذلك لأدركت من الوهلة الأولى, هذه بديهيات لا تغيب عن أى زوجة واعية.

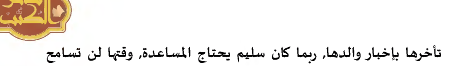
لقد تزوجته عن حب بعد فترة من تبادل الإعجاب أثناء اشتراكهما باتحاد الطلبة بالجامعة فقد كان يسبقها بعامين فى الدراسة عرفته طالبًا متفوقًا طموحًا على قدر لا بأس به من الأناقة والبساطة بجانب خلق رفيع وأدب جَمّ لم يهتز أمام محاولات كثير من الطالبات التقرب منه لتفوقه, ولكنه كما أخبرها من قبل لم يستطع مقاومة هالة البهاء التى تنبعث منها مخترقة مسامه حتى تمكنت من قلبه, فلا يكف عن دقاته السريعة المتوالية معلنًا حالة من الطوارئ لم يمر بها من قبل فكان يتعلل بدخول



الحرم الجامعى لمقابلتها فقد كانت تدرس بكلية الآداب, وبعد تخرجه وإنهاء فترة تكليفه كطبيب وعثوره على عمل مناسب تمت إجراءات الخِطْبَة ثم تكللت علاقتهما بالزواج الذى أسفر عن فتاتهما المدللة سلمى. تتذكر جيدًا فى بداية الزواج كيف كان موضوع الغيرة مصدر قلق لها, ولكن كان سليم دائمًا يتجاوز حسن ظنها بمراحل بشكل نظرى وعملى, وحين كانت تضعه محل شك لا تجد منه سوى كل إخلاص وبكل بساطة يُحِيْلُ مستنقعات الشك لسهول من الثقة تتسع يومًا بعد يوم.

يبدو أنها ستمضى ليلة أخرى بدون سليم ودون أن تعرف مكانه.. ولكن بمجرد خروجها من الغرفة صباح غدٍ الذى يوافق الجمعة يوم اجتماع شمل العائلة على الإفطار والغداء عليها تقديم إجابات لوالدها وأخيها اذا ما استمر غيابه, ولا تريد أن تبدو فى وضع الزوجة التى لا تعلم مكان زوجها إلا لو كان الأمر وراءه كارثة فعلًا, وقتها فقط سيكون ملجأها الأول بعد الله سبحانه وتعالى هو والدها بما له من علاقات واتصالات رغم إحالته على المعاش من الداخلية منذ ما يقارب السنتين, إلا أنه مازال محتفظًا بصلاته وعلاقاته مع زملاءه وتلامذته فى الوزارة, ومعظمهم يتمنى خدمته أيًا كانت.

الدقائق ثقيلة تمر مرور سلحفاة فقدت ساقين من الأربعة اللاتى لديها.. هذا البطء يقابله دقات قلبها التى صارت أسرع من عَدَّاء إفريقى فى أفضل حالاته, وفى وسط هذا الصخب الصامت بداخلها سمعت أصوات الأذان, توضأت كى تتطهر من الأفكار السوداء وصلت وسجدت لترتقى بعيدًا عن الهواجس, ودت ألا تنهى السجود حتى يعود, ولكن بعد أن أخرجت كل ما بداخلها فى سجودها, استكانت حتى أنهت صلاتها, ودعت ألا تندم على



تأخرها بإخبار والدها، ربما كان سليم يحتاج المساعدة، وقتها لن تسامح نفسها إذا ما أصابه مكروه.

جاء الصباح فنزلت إلى الطابق الأرضي فوجدت أباها كالمعتاد مرتديًا ملابسه الرياضية عائدًا من جولته اليومية في شوارع المعادي كل صباح، مازال يحافظ على رشاقته ولياقته رغم تجاوزه الستين من العمر، شعره الأبيض ينم عن عمره ولكن جسده العفي وقامته ينتميان لرجل لم يتجاوز منتصف الأربعين.. حياها بصوته الجهوري الذي يتمتع به أغلب رجال الشرطة:

- صباح الخير يا جيهان
- صباح الخير يا بابا
- هيا نادي زوجك وابنتك لنتناول الإفطار سويًا!

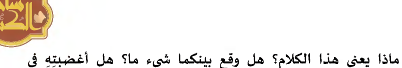
لم تجد ردًا فأومأت برأسها، بعد نصف ساعة جلس والدها على رأس المائدة وجاءت حفيدته.. فلثم خديها وجلست بجواره ثم جاءت جيهان فسألها والدها:

- أين زوجك؟ فلم ترد فكرر سؤاله:
- أين سليم يا جيهان؟ ألن يتناول إفطاره معنا؟

بعد أن بلغ القلق بداخلها مداه نطقت أخيرًا وقالت:

- لا أعلم يا أبي سليم لم يأتِ إلى البيت منذ أول أمس ولا أعرف مكانه ولا يرد على تليفوناته.

ترك ما بيده من طعام قائلًا:



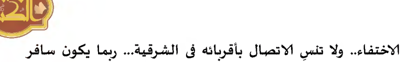
- ماذا يعنى هذا الكلام؟ هل وقع بينكما شىء ما؟ هل أغضبتِهِ فى شىء؟
- لا يا أبى وهذا ما يقلقنى, لا مبرر لغيابه وليست عادته
- ألم يخبرك بأى شىء أول أمس؟ فأومأت برأسها نافية
- ألم تتصلى بمساعده؟
- اتصلت ولم يرد ولم يذهب كلاهما للعيادة بالأمس
- إذن حاولى ثانية... قالها بصوت آمِر, أمسكت بالهاتف لتكرار المحاولة فجاءها صوت سعد متكاسلًا كما لو أنه استجاب لرغبة وأمر أبيها:
- صباح الخير يا سعد!أهلًا بك... أين دكتور سليم يا سعد؟ ألم يخبرك بوجهته بعد العيادةأول أمس؟ جاءها الرد فجحظت عيناها قليلًا:
- الدكتور أخبرك بأنه لن يأتى بالأمس للعيادة؟! ألا تعلم لماذا؟ حسنًا أشكرك يا سعد.. مع السلامة.

كانت الصورة واضحة أمام والدها, سليم لم يذهب للعيادة بالأمس بالاتفاق مع مساعده.. فسألها والدها:

- إذن متى أخر مرة رأيتِ فيها زوجك؟
- صباح أول أمس, ولكنى كنت أقرب إلى النوم متوقعة ذهابه للمستشفى كما هى العادة وبعدها إلى العيادة

فطلب منها والدها رقم المستشفى, وقام بالاتصال وبعد حديث قصير فى الهاتف ردد فى حيرة:

- سليم لم يذهب أمس أو اليوم إلى المستشفى, حاولى معه على الهاتف مرة أخرى قبل أن نقوم بأى خطوة.. لعل هناك سببًا لا نعرفه لهذا

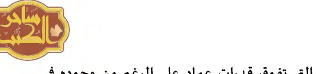


الاختفاء.. ولا تنسِ الاتصال بأقربائه في الشرقية... ربما يكون سافر إليهم.

لم تقتنع جيهان بجملته الأخيرة, فعند سفره إلى أهله يخبرها قبلها بوقتٍ كافٍ بعد أن يرتب معهم الأمر.

في المساء عاد عماد أخوها الأصغر ضابط الشرطة إلى الفيلا, شاب متناسق الجسد, طوله مناسب لوظيفته, وجهه مريح ونظراته حادة غير مزعجة.. وجد الجميع في حالة صمت تام, حتى سلمى التي كانت تنتظر عودته ليشاركها اللعب والمرح, بدت ساكنة تمامًا, قص عليه والده باختصار ما دار, حاول تخفيف الأمور على أخته بالمزاح قليلًا وداعبها بأنها من دفعته للهروب, ولكنها كانت في حالة يرثى لها, فأدرك أن الوقت غير مناسب ولا يحتمل المزاح, والغريب أن القلق المسيطر على جو البيت انتقل إليه سريعًا رغم كونه رجل شرطة عليه أن يحتفظ دائما بهدوء أعصابه ورباطة جأشه, ولكن سليم لم يكن مجرد زوج أخته فقط, فهو بمثابة أخيه الأكبر وصديقه, الذي كان كثيرًا ما يروي له تفاصيل لايعرفها والده أو حتى أخته, فكان سليم حافظًا لأسراره مُقَدِّمًا له نصائحه بشكل غير مباشر ودون أن يمارس عليه ضغوط الأخ الأكبر وكان سليم يبادله بعض الأسرار أيضًا, ورغم ملاحظته هو الأخر لتغير أحوال سليم في الفترة الأخيرة, ولكنه كان متفهمًا أن أمور كهذه تحدث وتتلاشى فجأة كما تظهر فجأة. خاصة وأن الأحداث الأخيرة لم تكن أبدا هينة على أخته وزوجها ولكنهما على أي حال تجاوزاها.

كانت أخته جالسة على الأنتريه الأنيق تحتضن ابنتها بذراع وتدفن وجهها في راحتها الأخرى, وبدا أن المعاناة التي تعانيها بلغت مبلغًا خطيرًا, والوالد في



مكتبه يُجْرِى اتصالاته التى تفوق قدرات عماد على الرغم من وجوده فى الداخلية, وفجأة دق جرس الهاتف الأرضى, فهب الجميع واقفًا واتجه عماد إلى الهاتف:

- ألو.. وعليكم السلام نعم هذه فيلا حسن الصباغ.. لا فى الحقيقة الدكتور سليم غير موجود الآن.. هل من رسالة أبلغها له؟ أهلًا وسهلًا دكتور شريف...

وفور أن سمعت جيهان الاسم اتجهت إلى أخيها تطلب السماعة... اندهش عماد ولكنها كانت مُصِرَّة

- كيف حالك يا دكتور شريف؟ أنا جيهان حرم سليم.. حمدًا لله على سلامتك يا دكتور
- ....
- حسنًا ...هل من الممكن أن آخذ أرقام تليفوناتك لأبلغها لسليم حين يعود؟

حين أنهت المكالمة أخبرت عماد بأن شريف هو أقرب أصدقاء سليم ولكنه كان مسافرًا للخارج وسليم أخبرها بقرب عودته.. فقد كانا دائمى الاتصال ببعضهما البعض أثناء سفر شريف, لم يُعر عماد الموضوع اهتمامًا, أما جيهان ففكرت أنها ربما تحتاج شريف قريبًا, فهو صديق سليم المقرب وربما يعرف عنه ما لا تعرفه, واتجهت إلى مكتب والدها لتعلم خططه بشأن اختفاء سليم.


ساحر
الكتب



كيف يكون الأمر

إن استلقيت فى السماء

من غير سقف أو باب

ومن غير ريح تقوم مقام العين؟

عندما يكون غطائى غيمة

فكيف أستطيع الاختباء

ماى سوينسون



(2)

لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا على هذه الحال, ولكنى فى مكانٍ لم أر مثيلًا له من قبل , استيقظت من النوم لأجد نفسى ممددًا على الأرض فى هذا المكان فى العراء, أرض ترابية ناعمة بيضاء, حاولت التعرف على معالم هذا المكان, نظرتُ حولى فوجدتها أرض شاسعة مترامية الأطراف, إن كان لها أطراف, منظرها يوحى بأنها أرض ممتدة لا نهاية لها ولكنها خاوية تمامًا كعقلٍ رضيع, أهذه صحراء؟!! وإن كانت كذلك فهى بلا رمال, يبدو أنه لا أحد هنا غيرى.

نهضت ناظرًا إلى الفراغ الذى يحيط بى من كل اتجاه وكأنه الآمِر الناهى هنا, فكرة واحدة تسيطر على عقلى, إننى أحلم. نصف نائم ونصف مستيقظ, أعرف هذا الشعور من قبل.. حين ترى حلمًا أثناء نومك, فتأتيك لحظة تدرك فيها أنك تحلم ولكنك قد تترك نفسك لترى إلى أين يأخذك هذا الحلم وهو ما يعرف بالحلم الواعى أو الحلم الجلى (Lucide Dream) . واضح أنى أعى ما حولى وأعى تمامًا أنى أحلم. إذن سأنتظر ما سيحدث.

غريب هذا السكون التام ومفزع كذلك أين ذهبت الأصوات والضجيج اللذان سمعتهما قبل صحوى أو بالأحرى قبل دخولى هذا الحلم؟ لا أدرى, أما بالنسبة للرؤية فعلى الرغم من عدم وجود أى مصدر للضوء إلا أنها كانت واضحة نسبيًا فالوقت ليس نهارًا ولا ليلًا ولكنه أقرب إلى ما بعد الفجر بقليل واللون الرمادى بدرجاته هو الغالب على المشهد.



اعتقد أن النهار قادم والشمس ستشرق بعد دقائق. كنتُ متعبًا جدًا وخطواتى ثقيلة منهكة لكنى واصلت السير أملًا فى الفهم. لا وجود لأى نوع من أنواع الحياة لا طائر ولا حيوان ولابشر وكأن الكون يتهجأ حروف ولادته من جديد وأنا أول معالمه. هل يُعقل هذا؟! حيرتى تزداد, يبدو أنه حان وقت استيقاظى ولكنى أتكاسل إما طلبًا لدقائق أُخرى على الفراش لن تفيد أو أملًا فى ظهور أى معالم لهذا الحلم, إذن هيا لأنهى هذا السخف, ولكن فجأة مر بجوارى شيئًا ما فى الهواء بسرعة السهم . التفتُّ لأرى, ظننته سهمًا بالفعل, ولكنى لا أرى مصدره وواصل هو انطلاقه ثم ووووششششت ... تمر بجانبى طلقة رصاص مكتومة, ثم تحول الأمر إلى عدة طلقات متلاحقة, لابد وأن هناك من يحاول الفتك بى ولا أدرى ما السبب ويالها من مهمة سهلة فى هذا الخواء. انبطحت أرضًا وصرت أزحف على بطنى كما الثعابين, وأصوات الطلقات تلاحقنى من فوقى وتزداد من حولى, زاد الأمر خطورة ولا ساتر يقينى هذا الوابل من الطلقات وشعرت بخوف حقيقى لم أعهده, يجب أن أنهى هذا الحلم الآن وأصحو.. ظللتُ منتظرًا اللحظة التى سأفتح فيها عينى ثانيًة وأنا على سريرى, حاولت إيقاظ نفسى .. لا يمكننى وصف ذلك لكنى فعلته دون جدوى. هاجس ما لشدة وعيي يخبرنى أن هذا هو وضعى المادى الحالى ولا تخيلات أو أحلام فى الأمر. أهناك خطأٌ ما؟ أم أن قلقى هذا جزء من الحلم؟ لو كان هذا حلمًا فإن اللاوعى عندى يعمل بشكل ممتاز, حتى أن وعيي غير قادر على التغلب عليه.

أعلم أنه طبيعى أن تحلم..لكنه مفزع ألا ينتهى هذا الحلم ولا سبيل للخلاص.



ما دام الأمر بهذه الحبكة فلأَخُض الأمر لنهايته, حتى تأتى لحظة الخلاص حين أصحو أو توقظنى زوجتى أو ابنتى. ما زلتُ أزحف على الأرض, وزاد توترى أكثر حين بدأت أسمع أصوات انفجارات بعيدة , هل أنا فى ساحة حرب؟ كل الأمور تشير إلى ذلك بصراحة وفجاجة كذلك.

نظرت إلى ما أرتدى فوجدتها ثياب رثة ومهلهلة بعض الشىء ولكنها النوعية المعتادة التى أرتديها فى البيت, وليست ملابس عسكرية كما تصورت. هدأت أصوات الانفجارات قليلًا واختفت الطلقات المحيطة بى, إلا أنى مازلت خائفًا, جلست جاثيًا على ركبتى, انظر حولى فوجدت فى مرمى بصرى ما يبدو شاطئًا ذو أمواج هادئة, غريب هذا لم يكن موجودًا من قبل, ليس منطقيًا أن زحفى بضع أمتار يُغَيِّرُ المشهد بهذا الشكل, ولكن من قال أن الأحلام تخضع للمنطق, على أى حال لن أذهب إلى البحر فأنا أخافه نهارًا فلن أقترب منه فى هذا التوقيت وهذه الظروف كما أنى لستُ سباحًا ماهرًا, فلن أجازف بالذهاب إليه فى هذه الوحدة المقيتة, قررت العودة فى الاتجاه المعاكس للبحر زاحفًا على أربع خشية عودة الطلقات, فحقيقةً لا أريد أن ينتهى هذا الحلم بموتى, حتى الآن أظنه حلمًا وليس كابوسًا.

عجيب أمر هذا الحلم فلم أشعر أبدًا وأنا أحلم بمثل هذه الدرجة من الوعى التى أنا عليها , حتى أننى أحلل وأفكر وأفسر, كما أنه أطول كثيرًا من المعتاد وتفاصيله أكثر وضوحًا, لما لا استفيق وأعود إلى حياتى الطبيعية؟! انتابتنى رغبة عارمة فى الاستيقاظ واستجمعت قواى لهذا , ولكن لا شىء يحدث. راودتنى خاطرة مروعة عندما فشلت فى الاستيقاظ ثانيَة... هل أنا عالق هنا؟ إنه حقًا أمر مفزع, شعرت بهياج عصبى جراء هذه الفكرة, فركضتُ فى كل الاتجاهات بشكل عشوائى عساى أجد أى مخلوق..



مضيت فى العدو بشكل هستيرى رغم ما بى من آلام حتى وجدت جثة ملقاة على بعد أمتار منى, اتجهت إليها متوجسًا فوجدته شابًا فى ملابس عسكرية مهترئة. فى بادئ الأمر ظننته ميتًا , ولكن عندما حركته بدأ يفتح عينيه ويتأوه, يبدو أنه مصاب بطلق نارى , ولكنى لم أجده ينزف, ثم قاوم آلامه قائلًا فى لهجة عربية غير مصرية:

- لماذا أنت هنا؟

فاجأنى بسؤاله فأنا بالفعل لا أعرف لماذا أنا هنا ولا أين أنا من الأساس؟ فلا وجود لأى رابط بين هذا المكان وبين حياتى المعتادة. وحين رأى حيرتى بادرنى بسؤالٍ آخر:

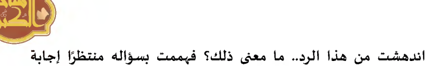
- لماذا لم تنزل؟

استفزنى سؤاله هذا فأنا أحتاج إلى أجوبة وليس مزيد من الأسئلة فوجدتنى أجيبه فى عصبية:

- أنزل إلى أين؟ فوجدته يشير بسبابته فى إنهاك قائلًا:
- تحرك فى هذا الاتجاه بسرعة قبل أن تضيع فرصتك فى النجاة, ستجد خندقًا فى الأرض, اسلك طريقك فيه حتى تصل إلى منتهاه

فقلت : - ولكن كيف أتركك وأنت على هذه الحال؟

- لا تقلق رفاقى قادمون
- ولكنك مصاب
- لا تخف لا أحد هنا يموت



اندهشت من هذا الرد.. ما معنى ذلك؟ فهممت بسؤاله منتظرًا إجابة تجعلنى أفهم وتفك هذه الطلاسم وترفع الستار عن هذه الألغاز.

- أين نحن الآن؟ و ما هذا المكان؟

فهرنى قائلًا فى إصرار:

- أسرع! لا وقت لهذه الأسئلة, فرصك فى النجاة قليلة لا تجعلها معدومة.

ابتعدت عنه مذهولًا, كيف أترك الشخص الوحيد الذى قابلته فى هذا المكان الموحش؟ وكيف تكون هناك فرص للنجاة ولا أحد يموت هنا؟ ونجاة من ماذا؟ لدى ما يكفينى من أسئلة وألغاز ولا ينقصنى ما أضافه. أين أنا وأين عالمى؟ لماذا لم تشرق الشمس بعد؟ أظنها ليست السماء التى أعرفها, لِمَ لا ألوان غير الرمادى مختلف الدرجات هنا؟ تقريبًا لا ألوان غيره. أين زوجتى وابنتى وأهلى؟ لماذا لم يوقظونى حتى الآن إن كنت نائمًا؟

متى ينتهى ما أنا فيه؟ كلها أسئلة تقودنى إلى الجنون بحنكة وبراعة يُحسدون عليها, يبدو أنه لا منفذ ولا مُنْقِذ, بعد أن توارت الإجابات فى مكمنها الخفى ولا تفسير واحد يحفظ سلامة عقلى.



المقدمات الطويلة تخلف وراءها إما كارثة أو هراء



(3)

عاد من العمل بخطوات متثاقلة ونظرات هائمة منذ ألمت به المصائب من كل اتجاه, فلا شيء يثير اهتمامه أو يستحث فضوله, لولا أن هذا العمل هو ما يكفل له مصاريف الحياة وقوت يومه, ما حَمَّلَ نفسه عبء ساعات طويلة يقضيها هناك منتظرًا انقضائها بفارغ الصبر, اسمه منصور حسنين منصور الدوكش خريج كلية التجارة الذى كان محملًا بكثير من الأحلام اثناء دراسته الجامعية, لم يحقق منها إلا أقل القليل وذهب باقيها أدراج الرياح وليس ذلك نتيجة قصور ارتكبه فى حق نفسه ولكن نتيجة طامة كبرى حلت به وهو يخطو خطواته الأولى فى دروب الرجولة وتحمل المسئولية, حتى صار مسئولًا عن ما لا يمكن لبشر تصوره, تلك الصدمة التى تلقاها على يد والده, الذى أبلغه إياها باكيًا ليترك ولده فى حالة ذهول يظن أن والده قد أصابه مس من الجنون وكان منصور نفسه على حافة الخبل, نرجع قليلًا للوراء لنتعرف على الموضوع من البداية.

منصور ووالده حسنين يعيشان وحيدين فى منزلهما الصغير بعد رحيل والدته منذ عدة سنوات, لسبب لا يعلمه لم يُرزق بأخ وحين سأل والديه عن السر كانت الإجابة التى أسكتته بأنها إرادة الله, ولكن كان هناك بعض الأمور الغريبة تحدث ويصعب على منصور فهمها بينما هو طفل أهمها حرص والديه على النوم فى غرفتين منفصلتين, قد يبدو هذا طبيعيًا فى الغرب وقد يكون مألوفًا إذا كانت الحياة رغدة وتعيش الأسرة فى منزل ضخم أو فيلا ولكن فى مسكن بسيط لأسرة ريفية المنشأ فقد كان هذا غريبًا ولم يجد له مبررًا ولم يحصل على إجابة مقنعة, كانت الإجابات واهية منها عدم رغبة الوالد فى ازعاج زوجته بسبب الأصوات التى تصدر



من منخاريه فلا تتمكن هى من النوم بشكل مريح، حتى أنه قد ينام هو مع والدته فى نفس الغرفة أما والده فلابد أن يبيت ليلته فى سريره وعندما كرر سؤاله بعد أن كبر كان والده يرد عليه بغلظة فقرر عدم الانشغال بهذا الموضوع وأقنع نفسه بتلك الحجج الواهية مادام لم يعثر على سببٍ منطقيٍ آخر... كان منصور مدللًا بصفته الابن الوحيد، كل طلباته مجابة وكل أحلامه محققة طالما فى الإمكان تحقيقها... كانت حياة رائعة لطفل، ثم كصبى يدخل فى طور المراهقة، فى هذا السن تحديدًا كان والديه يعاملانه معاملة خاصة جدًا كما لو كانا هما الأبناء وهو ولى أمرهما حتى أنه كان دائم الحنق على نفسه عندما ينفعل على أحدهما ولكن مرت الأيام هادئة حتى صار شابًا يافعًا، قوى البنية عريض الكتفين ملامحه هادئة رغم حاجبيه الثقيلين وأنفه الكبير بعض الشىء، ذو وجه دائرى ممتلئ خمرى اللون وعينان معبرتان نافذتان تتقدان ذكاءً، قامته أقرب إلى الطول.. لم يعكر صفو حياته سوى موت والدته نتيجة صراع مع عدة أمراض صارت ملازمة لأغلب مثيلاتها فى مثل هذا العُمر.

ترك موتها بداخله جرحًا عميقًا كانت الأيام كفيلة بمداواته، ولكن الجرح كان أعمق بالنسبة لوالده الذى وجد نفسه وحيدًا يتحمل مسئولية العمل والمنزل رافضًا مشاركة ابنه إياه مهام الحياة حتى يتفرغ منصور لدراسته وينال البكالوريوس، فاستمر تدليله من جانب والده حتى بعد رحيل والدته، وبالفعل مرت السنون كان خلالها التفوق حليفًا لمنصور فى دراسته حتى جاءت السنة الأخيرة واجتاز الامتحانات بتفوق كعادته ومن ثم انتقل من وظيفة لأخرى بحثًا عن عمل ثابت مستقر يضمن له حياة كريمة ويؤهله لتحقيق باقى مشاريعه وطموحاته واستمر على هذا الحال فترة من الزمن، إلا أنه بدأ يلاحظ أن والده تغير بعض الشىء فى الفترة الأخيرة، فأصبح أكثر توترًا وأميل للوجوم والشرود حتى بدا وكأنه تقدم فى



العمر عشرة أعوام دفعة واحدة.. حتى جاء اليوم الموعود حين طلب منه والده البقاء فى المنزل لأنه ينوى الحديث معه بشأن أمرٍ بالغ الأهمية وابتدأ والده الحديث متلعثمًا مرتبكًا لأقصى درجة.. تتساقط الكلمات من فمه دون ترتيب حتى استحثه منصور برجاء على الهدوء ثم الحديث فقال والده فى استسلام:

- أنت الآن كبرت يا منصور وأصبحت رجلًا يُعتمد عليه, وما سأقوله ربما سيكون قاسيًا وغريبًا لكنه حقيقيًا, لذا أرجو الإنصات والتركيز لاستيعاب ما سأقول وصدقنى يا بنى إن الأمر يفوق طاقتى وقدراتى, ما أصعبه عليّ! ولكن لا مفر من المكتوب, وأنت الآن اقتربت من إتمام عامك الثالث والعشرين وتنتظرك مهامٌ جِسام.

كانت بداية كهذه كفيلة بإثارة فضول وقلق منصور فى آنٍ واحد مما دعاه ليقول فى تردد وقلق:

- خيرًا يا والدى... يبدو أن الموضوع أكبر وأعقد مما أظن
- هو بالفعل كذلك ولدرجة قد أبدو معها مخبولًا,ولكن ما أخفيته لأعوام آن الأوان لأطلعك عليه

بهذه الكلمات سقط منصور فريسة للقلق, يبدو أنه على وشك سماع مصيبة أو كارثة.. ولكنه عجز تمامًا عن تخمينها فلم يجد بُدًّا من أن يقول:

- تفضل يا والدى كلى أذان مصغية ومهما كانت غرابة ما سأسمع , فإنه لا يحمل ذرة شك ما قد صدر عنك
- حسنًا يا بنى وأتمنى ألا تغير رأيك بعد أن أنتهى من حديثى... أنت تعرف أن جدك (والدى رحمة الله عليه) منصور الدوكش ينتمى لأسرة بسيطة بمركز مطوبس محافظة كفر الشيخ.. كانت وقتها الحياة



صعبة وضيق ذات اليد يعانى منه الغالبية العظمى من أبناء هذه البلدة... لذا كان جدك ناقمًا على هذه الحياة وكان يسعى بشتى الطرق لكسب الرزق ... تنقل بين العديد من الأعمال وامتهن كثيرًا من المهن, لكن جميعها لم تُرْضِ طموحاته وآماله, فقرر البحث و السعى وراء الرزق فى عدة محافظات فاتجه إلى بورسعيد والقاهرة و كذلك الإسكندرية التى مكث بها عدة سنوات, كانت سنوات فارقة فى حياته وغيرت مجرى حياته بالكامل, فقد تعرف هناك على رجل إفريقى يعمل بالتجارة ويتنقل بين الدول ولكن أغلب إقامته فى الإسكندرية, وجدها جدك فرصة عظيمة فقد كان العمل معه يُدِرُّ دخلًا كبيرًا له, فاجتهد أكثر وأكثر فى عمله حتى نال رضا هذا الإفريقى فى أشهر معدودة ومن بعدها نال ثقته أيضًا فكان يأتمنه على أموال وبضائع بمبالغ ضخمة, ويعتمد عليه فى كل صغيرة وكبيرة, وكان جدك دائمًا عند حسن ظن الرجل, حتى صارا كصديقين وكان الرجل يعتبره بمثابة الابن الذى لم يُرزق به, وحدث بينهما تقارب شديد جعل جدك يَطَّلِعُ على عالم غريب لم يرَ له مثيلًا من قبل هو هذا العالم الخاص بالرجل الإفريقى, لم يكن متزوجًا وليس لديه أطفال ويعيش وحيدًا , فعرض على جدك العيش معه فى شقته الكبيرة, فوافق على الفور, فرصة كهذه ستوفر له تكلفة أجرة مسكن ولوازمه, فقد كان الرجل يتكفل بكل ما يحتاجه البيت, فى هذا الوقت لاحظ جدك بعض العادات الغريبة لهذا الرجل فغرفته دائما مغلقة هى خط أحمر لا يعلم ما تحويه ولم يكن هذا غريبًا بالنسبة لجدك منصور فمن حق الإفريقى الاحتفاظ ببعض الخصوصية, ولكن الغريب هو الأصوات التى تصدر من الغرفة ويسمعها ليلًا...ما بين صرخات مكتومة وعواء يحاول ألا يُحدِث صخبًا كان يندهش لها وباتت تخيفه وتصيبه بالذعر.



كان هناك الكثير من الطَرق كما لو كان نجارًا يتخذ من الغرفة مقرًا لعمله ولكن لم يبدو الطرق بأنه على الخشب أو على معدن فقد يبدو طرقًا على أشياء أقل صلابة, لم يدرِ جدك ما الذى يحدث بالداخل... لم تتوقف الأمور عند هذا الحد ولكن كان بين الحين والأخر يرى جدك بُقَعٌ حمراء فى الحمام أو المطبخ كانت قليلة جدًا خمن أنها بقع من الدماء ولكنها سببت له هلعًا كبيرًا.. ما الذى يقوم به هذا الإفريقى ويخفى أثاره من الدماء وما سر تلك الأصوات التى يسمعها ليلا؟ كانت الأسئلة مخيفة ولابد أنها تخفى وراءها إجابات أكثر رعبًا.

وما أن أنهى الوالد هذه الجملة الأخيرة حتى انقطع التيار الكهربى, فأضفى انقطاع التيار رهبة فوق الرهبة التى بثها الوالد فى منصور... توقف الوالد عن السرد وحاول أن يهدئ من روعه بعد أن شعر بأن القدر يضفى لمساته على الحدث لتصبح أكثر إثارة ورعبًا وكادت أن تخرج من فمه ألفاظًا وجملًا اعتراضية ولكنه تظاهر بالتماسك كى لا ينتقل هذا القلق إلى ولده ويكفيه ما سمعه وما سوف يسمعه فى هذه الليلة, فقال فى هدوء :-

- سأحضر شمعة حالًا

وما أن ذهب الوالد وأضاء الشمعة حتى تحركت الظلال على الجدران, ظلال ضخمة طبعت المزيد من الرعب على منصور وهو يراها تتحرك وقد سبقت جسد والده قادمة من المطبخ إليه لا يعرف أهو الذى يقود الظلال على الجدران أم تجر الظلال والده وحين عاد قال منصور:

- لقد اخفتنى يا أبى ولم أكن أظن أن هذا يسيرًا
- لا تخف يا بنى فأنا معك, وأنت لم تعد صغيرًا
- تفضل يا أبى واصل الحكى إذا سمحت.



سعيد حقًا من له أولاد يحبهم وخيول لها صهيل وكلاب تتمتع بحاسة حادة في الشم وأصدقاء يعبرون البحر

سولون الحكيم



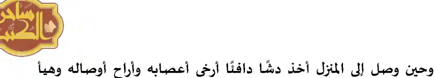
(4)

السبت

أخيرًا سيمنح شريف نفسه بعضًا من الراحة التى لم يحصل عليها منذ فترة طويلة, فبعد أن أنهى دراساته وأبحاثه الطبية فى الخارج كطبيب مخ وأعصاب عاد من جديد لوطنه الذى لم يعد كما كان ولكنه أولًا وأخيرًا وطنه, بما يمثله من ذكريات جميلة وطموحات مؤجلة ومشاريع قادمة, وكذلك لأخته الوحيدة وأطفالها, فهى كل ما تبقى له من أهله بعد وفاة والديه, وقليل جدًا من الأصدقاء, لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة على رأسهم سليم صديق عمره الذى رافقه فى رحلته من الشرقية إلى القاهرة لبدء دراستهما الجامعية بكلية الطب, بعد أن استأجرا شقة صغيرة متواضعة بحى السيدة الزينب, ذلك الحى الشعبى الأصيل, شهدت هذه الشقة ذكريات كثيرة مشتركة بعضها مؤلم حاولا نسيانه ودفنه فى قاع الذاكرة مثل الصدمات العاطفية الأولى لتجارب غير ناضجة, وذكريات أخرى سعيدة فى مواقف شتى جمعتهما بعدما تشاركا واجبات الطبخ والنظافة والغسيل , تحملا المسئولية واجتهدا وتفوقا معًا, حتى هواياتهما كانت متشابهة ما بين عشق الكرة وممارستها ومتابعة مبارياتها وكذلك حب القراءة فكلاهما ارتبط بروايات نجيب محفوظ الواقعية ومسرحيات توفيق الحكيم التى لا مثيل لها وحكايات أنيس منصور التى لا تنتهى , فما أن ينتهى أحدهما من كتاب حتى يبدأه الأخر بشغف, يتقاسمان ثمنه ويتبادلان الأراء بشأنه, يشتركان فى العديد من الصفات غير أن شريف أقصر وأنحف قليلًا من سليم, بالإضافة لكونه شخصية متأنية غير مندفعة على العكس من سليم الذى يصاحب تصرفاته بعض التهور كثيرًا



ما أوقفها شريف بقدرته على الإقناع, وإخضاع الأمور للمنطق, أسرارهما لا تخرج عنهما, فكلاهما صندوقٌ أسودٌ للأخر لن يفشى سر صديقه مهما كلفه ذلك, ظلا كذلك حتى أنهيا الدراسة بالكلية ثم فرقهما التكليف الخاص بالخريجين فى محافظتين مختلفتين, سليم اتجه إلى أسيوط, وشريف اتجه إلى البحر الأحمر ورغم ذلك ظلا دائمًا على اتصال يتبادلان الأخبار ويرويان لبعضهما كل ما هو جديد بصفتهما أطباء حديثى التخرج يمارسان المهنة التى أحباها وينالا احترام من يقابلان من أسر فقيرة ومرضى بسطاء فى تلك المحافظات محدودة الإمكانيات, ومتى واجه أحدهما مشكلة وجد الأخر بجانبه حتى يتجاوزها, وما ان انتهيا من فترة التكليف حتى قرر شريف السفر للخارج لاستكمال الدراسة فى التخصص الذى طالما تمنى سبر أغواره ألا وهو التخصص فى المخ والأعصاب, أما سليم فقد اختار النساء والتوليد بناء على رغبة خاصة من والدته رحمها الله آنذاك فلم يجد بداخله ما يمنع ففى رأيه كل التخصصات لها رسالة سامية, لا فضل لتخصص على الأخر... أثبت كلاهما ذاته وحققا نجاحًا باهرًا كلًا فى مجاله.. حتى حانت لحظة العودة بالنسبة لشريف ليبدأ عمله فى وطنه, بعد عودته مباشرة من السفر توجه إلى منزل أخته وقضى معها عدة أيام حتى انتهت من تنظيف منزل آخر خاص بوالد زوجها , بقى متروكًا بعد وفاته لحين تدبير مكان آخر.. وقبل الذهاب لهذا المنزل قرر الاتصال بصديق عمره سليم يخبره بوصوله كى يتفقا على موعدٍ للقاء, رغم أنه كان قد حاول الاتصال به قبل السفر لكن لم يتمكن من الوصول إليه ثم أرسل له رسالة على الميل الخاص به ولكن يبدو أن محاولاته للوصول إلى صديقه قد باءت جميعها بالفشل.



وحين وصل إلى المنزل أخذ دشًا دافئًا أرخى أعصابه وأراح أوصاله وهيأ نفسه للنوم قليلًا, ولكن جاء رنين الهاتف ليقطع غفوته فتلقاه قائلًا بصوتٍ ناعس:

- ألو.. مساء الخير... أهلًا وسهلًا مدام جيهان, كيف حالك وحال سليم؟
- ....
- تحت أمرك بالتأكيد
- ....
- نعم أعرفه... حسنًا موعدنا غدًا إن شاء الله

أربكته هذه المكالمة قليلًا, لم يعرف سبب طلبها لقائه ولكن غدًا لناظره قريب, لكنه شعر ببعض القلق تجاه سليم... هل هو في ورطة أو وقعت بينه وبين زوجته مشكلة؟ حاول التخمين في أكثر من اتجاه دون يقين فرأى ألا يتعجل وعليه الانتظار للغد.. ثم وقع أسيرًا للنوم.

وفي اليوم التالي وصل إلى الكافيه الذي وصفته له جيهان ..كافيه هادىء وراقي مكون من طابقين, تنبعث منه موسيقى كلاسيكية تريح الأعصاب وجدها جالسة في انتظاره بأحد الأركان المطلة على الشرفة الزجاجية في الطابق العلوي, ترتدي معطفًا جلديًا أسود اللون طويلٌ بعض الشيءأسفله توب أبيض تقبع أمامها حقيبة سوداء من نوع بولر باجز, وحين اقترب أكثر رأى وجهها الخالي من المساحيق باديًا عليه القلق والإرهاق ولكنه مازال محاطًا بهالة من الجمال اللافت...حياها في هدوء:

- كيف حالك مدام جيهان؟

فابتسمت ابتسامة سريعة مصطنعة تكاد لا تُرى قائلة:



- أنا بخير يا دكتور الحمد لله.. تفضل

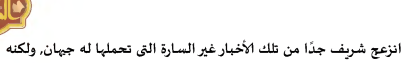
فجلس في مواجهتها على الطاولة, ثم أردفت وتغيرت ملامحها على الفور قائلة:

- ولكن صديقك يا دكتور
- ماذا به؟ ولماذا لم يتصل بي إلى الآن؟
- صديقك مختفي منذ أكثر من 48 ساعة وتليفونه مغلق ولا أعلم عنه شيئًا, وكل ما أعرفه بعد اتصالات والدي أنه خرج بسيارته من القاهرة إلى السويس.. مكث بها بعض الوقت ثم اتجه إلى جنوبِ سيناء, تم رصد السيارة هناك بعد عبوره نفق الشهيد أحمد حمدي ثم اختفى تمامًا ولا أثر له, وجاري البحث عنه.

كانت الدهشة بادية على وجه شريف وهو يسمع ما دار في الأيام الأخيرة, لم يتوقع أبدًا أن تصل الأمور لهذا الحد.. ما الذي وراء هذا التغير؟ ولماذا هذا الاختفاء؟ هل هو مقصود أم غير مقصود؟ وإن لم يكن غير مقصود فلابد وأن صديقه في ورطة.

قطع أفكارة صوت جيهان وهي تتابع الحديث:

- سليم تغير كثيرًا في الفترة الأخيرة, أكثر مما تتخيل, لم يعد يَحكِ لي همومه وأوجاعه, وأعلم أنه منذ سفرك لم يحظ بصديقٍ مثلك, فأنت الأقرب لقلبه, وأنت كاتم أسراره منذ الصغر وعلاقتكما لم تنقطع رغم سفرك, ذكر لي هذا أكثر من مرة فلا أُخفيك سرًا, فكرتُ بأنك ربما تكون على علم بسبب هذا التغير أو على علم بأيِّ شيءٍ يخصه أو ذو أهمية له في السويس أو سيناء.



انزعج شريف جدًا من تلك الأخبار غير السارة التى تحملها له جيهان, ولكنه لا يملك الإجابة على اسئلتها فأجابها فى قلق:

- أنا أيضًا لاحظت تغير سليم, ولكنى كنت ألتمس له العذر بسبب ضغوط العمل وحالته الصحية خاصة بعد الظروف الأخيرة التى انتقلتم على إثرها لفيلا والدك بالمعادى , فلم يكن يرد على اتصالاتى أو يراسلنى عبر الانترنت كما فى السابق, حقيقة لا أعلم سبب هذا التغير, كما أنه لم يَحكِ لى أبدًا عن وجود أى معارف له أو أى صلة له بهاتين المحافظتين تحديدًا, إنه لأمر غريب حقًا.
- أعتذر لك يا دكتور أنى أزعجتك ولكنى لم أجد من ... فقاطعها شريف:
- لا داعى للأسف مدام جيهان, سليم أخى وغيابه بهذا الشكل يثير قلقى أيضًا, لابد أن للموضوع أبعادًا لا نعرفها أنا أو أنتِ, هل سألتِ مساعده أو زملائه فى المستشفى؟
- لا أحد يعلم عنه شيئًا ومساعده أخبرنا بأنه أبلغه الأربعاء بعدم ذهابه للعيادة يوم الخميس وهذه النقطة تحديدًا تثير تحفظ والدى بخصوص البحث عنه, لأنها بكل بساطة تعنى أن سليم كان بصددِ شأنٍ ما, وكان يخطط للقيام به وعدم الذهاب للعيادة, كما أنه لم يذهب للمستشفى فى هذا اليوم.. أنا خائفة جدًا عليه, حتى الآن كل المعلومات التى لدينا حصلنا عليها بشكل ودى عن طريق معارف والدى, بعد ساعات سيبدأ البحث عنه بشكل رسمى, سليم لن يعرضنى لمثل هذا الموقف إلا لو كان فى الأمر كارثة.



وبدأت الدموع تترقرق فى عينيها, فحاول شريف أن يهدئ من روعها ولكن غزارة دموعها وصعوبة الموقف ألجما لسانه قليلًا فقال بعدما هدأت قليلًا:

- إن شاء الله سيعود سليم ونطمئن عليه فما يحدث له فى الفترة الأخيرة غير طبيعى على الإطلاق ولكنه سيجتاز أىَّ صعابٍ تواجهه.. هذا صديقى وأنا أعرفه جيدًا لا يستسلم أبدًا... لقد افتقدته أنا أيضًا وكنت أود لو كان بانتظارى, ولكن ندعو الله أن يكون بخير ويعود لنا سالمًا ولكنى أريد أن أعرف منكِ مدام جيهان, فأنتِ زوجته وأنتِ أقرب الناس إليه بطبيعة الحال, ما هى التغيرات التى طرأت عليه فى الفترة الأخيرة؟

- منذ أن انتقل إلى فيلا والدى وهو شاردٌ معظم الوقت الذى يقضيه فى البيت نادرًا ما يتحدث معى أو مع سلمى أو حتى أخى الذى يعتبره سليم بمثابة أخيه الأصغر, لا أعلم فيم يفكر, معنا وكأنه لا يسمعنا حتى ابتسامته سريعة جدًا, لا تتجاوز اللحظة أبدًا وكأنه انتزعها من مكانٍ بعيد لترتسم على وجهه وسرعان ما يعود لشروده, هذا بجانب انغماسه فى العمل هذه الفترة بشكلٍ زائدٍ عن الحد لا يتناسب مع حالته الصحية.. كنت أقول لنفسى أنها أمور مقبولة خاصة بعد ما تعرض له ولكن هذا الغياب الغامض...

وشَعَرَت بأنها على وشك البكاء من جديد فاعتذرت لشريف, وبسرعة أخرجت منديلًا من حقيبتها ثم استأذنته فى الرحيل على وعدٍ بإخباره بأى معلوماتٍ جديدة تَرِدُ عن سليم, ولكن قبل رحيلها راودته فكرة سريعة, فطلب منها رقم سعد, اندهشت قليلًا ولكنها أعطته إياه فى النهاية . وقبل أن تنصرف طرحت عليه سؤالًا طاردها كثيرًا قائلة :

- أتظن يا دكتور أن وراء اختفاءه امرأة أخرى؟



ابتسم شريف ابتسامة باهتة ثم أجاب فى ثقة:

- سليم ليس مجنونًا ولا أخرقًا مدام جيهان
- وأنا لم أقل عنه ذلك
- من يفكر بأخرى غيرك هو بالتأكيد مجنونٌ أو أخرق

لاحظ إحراجها بهذه الكلمات فأردف بسرعة موضحًا:

- عفوًا هذا ليس كلامى .. هذا ما قاله لى سليم بلسانه ذات مرة.. اطمئنى تمامًا على الأقل من هذه الناحية.. سليم صديقى وأعلم تمامًا أنه كان ولا زال مُتَيَّمٌ بِكِ.

منحتها الجملة الأخيرة بعض الراحة لنفيه التام لأمر يخص كرامتها كامرأة, ولكن ظل القلق هو المحرك الأساسى لمشاعرها فى الوقت الحالى.



حينما يشاركك أحد مأساتك, فإن ذلك يُهَوِّنُ الكثير, فليس هناك أصعب من أن تتعذب وحدك.. تعانى منفردًا.



(5)

بين الحين والأخر اتلفتُ ناظرًا إلى الجندى وصورته تصغر أكثر وأكثر بسبب ابتعادى عنه, كنتُ متعبًا جدًا ومنهكًا لأقصى درجة, نادرًا ماتشعر بذلك أثناء الحلم دون سبب, أنا لا أعرف نهاية لما أنا فيه, يبدو أننى عالق هنا بالفعل, كلما مر الوقت ازداد يقينى بهذه الكارثة... سرتُ فى الاتجاه الذى حدده حتى رأيت على بعد خطوات منى حفرة كبيرة فى الأرض متسعة من أعلى تضيق كلما اتجهت لأسفل, عمقها يتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعة أمتار, كانت دعوة واضحة للقفز ولكن حالة ساقاى لا تسمح بمثل هذه القفزة الآن, ولكن إصرار الجندى المصاب ووحدتى هنا لم يجعلا لى سبيلًا أخر, على أن أجرب وأرجو ألا أندم, قفزتُ وأنا فى أسوأ حالٍ ممكن, لم أعد أشعر بساقاى من فرط الألم ولكن تغلبت على ألمى وتحاملت على نفسى حتى استوعبت ما حولى, يبدو أنه خندق متعرج أو سرداب ضيق عبرت خلاله, اتجه معه يمينًا واستدر معه يسارًا, ولكنى لاحظت أنه ينحدر لأسفل تدريجيًا, قدماى تخبرانى بذلك, والإضاءة تقل أيضًا, والرؤية تزداد صعوبة, طويل جدًا السرداب لم أتخيل أن يكون بهذا الطول, أرجو ألا تكون متاهة سقطت بها أو فخ قادنى إليه هذا الجندى, كيف لم أسأله عَمَّا ينتظرنى بنهاية هذا الخندق؟! مرت دقائق حسبتها ساعات حتى أنى فكرت بالعودة من حيث أتيت ولكنى لم أفعل لعلمى بعدم قدرتى على الصعود مرة أخرى خاصة دون امتلاكى لأى أدوات مساعدة.. على أن أبقى هنا حتى أصل لنهاية الخندق ولكنى أخشى أن أبقى سائرًا عبره إلى يوم الدين.. تعرجات ومنحنيات وأنا أسرع الخطى لعلى أصل إلى منتهاه.

هل سأجد سردابًا آخر أم أنها نهاية المطاف؟ هل تقودنى إلى عالمى؟ اشتقت إليه كثيرًا هذا العالم بكل جنونه وكل سخفه, أفتقد أسرتى, عيادتى, مرضاى, حتى الروتين القاتل, أعرف تلك التجارب التى يخوضها البشر ويكتبها لنا القدر حتى ندرك مدى النعمة التى كنا فيها, قد تكون



هذه التجارب غربة فى وطن أخر، أو تعايش مع شخصيات لا تطاق، أو أزمات عائلية أو اقتصادية. أو فقدان عزيز لك، كلها أمور تدرك بعدها مدى الهناء الذى لم تستشعره أبدًا قبل أن يطرأ التغيير على مسلمات حياتك، أما هذا الفراغ الذى أكاد أكون أنا شاغله الوحيد، والتجربة التى لم يخوضها سواى، وهذا العالم الذى لا ملامح له فهو الضياع مستعرضًا عضلاته.. أخيرًا ظهر جدار فى نهاية النفق رأيته قبل بلوغى النهاية بعدة أمتار.. خشيتُ أن تكون هذه دعابة سمجة فى هذا العالم تكتمل بلافتة مكتوب عليها (من فضلك استدر للخلف وعد من حيث أتيت) ولكنى حمدتُ الله حين خاب ظنى ورأيت حفرة أقل اتساعًا من سابقتها وأقل عمقًا كذلك. تبًا لهذه الحفر والقفزات، لستُ فى اختبار لياقة بدنية للقيام بذلك، ولكنى مضطر على أى حال.

قفزت وأنا أدعو أن أجد الخلاص بعد هذه القفزة.. فعلتها لأجدنى عند مدخل ساحة عريضة واسعة تحيطها جدران شاهقة غريبة الشكل لا تبدو أسمنتية وتهتز أمامى كأنى أراها تحت الماء، لا أدرى إن كان هناك مداخل ومخارج أخرى أم أن ذلك هو المدخل الوحيد لهذه الساحة.. ولكن ما أسعدنى وكاد أن يرقص له قلبى فرحًا أنها ليست خالية من البشر.

نعم الإضاءة هنا خافتة ولا أدرى مصدرها أيضًا ودرجة الحرارة أعلى كثيرًا حتى أنى شعرتُ بلفحة فى وجهى بعد القفزة مباشرًة، ولكنى أميز وجود أشخاص جالسين وواقفين، ولكنهم جميعًا صامتون ثابتون حتى ظننتهم تماثيل أو لعلها صورة كبيرة هى التى تجمعهم أمامى، ولكن حين حدقت البصر أدركت أنها ليست صورة أو بوستر، بل أناس مثلى فى حالة مزرية، مشعثى الشعر، مغبرين، كما لو أنهم خارجين لتوهم من قبورهم.. تمنيت ألا يكون ما جال بخاطرى حقيقى، فأخر ما أتمناه أن أقابل زومبى فى هذا العالم.. تقدمت بخطوات متباطئة يشوبها الحذر داخل هذه الساحة، لكنهم لم يلحظوا وجودى، اقتربت من أحدهم لأكلمه فأشار غير ناظرًا لى



بإصبعه أن أصمت, بجانبه آخر جالسًا مستندًا بظهره إلى الجدار ناظرًا للفراغ فقلت له متسائلًا مترجيًا عساى أن أحصل على اجابة :

- أين نحن الآن؟ ما هذا المكان؟ما الذى أتى بى إلى هنا؟
- ....

كأنه لم يسمعنى, لا وجود لأى تعبير على وجهه, علاوة على أنه لا ينظر لى من الأساس كأنى غير موجود أو غير مرئى... بالقرب من هذا الشارد بصرتُ أحدهم جالسًا واضعًا رأسه بين ركبتيه, يبكى بصوتٍ خفيض.. فمددت يدى على كتفه قائلًا:

- أنت.. ما لك؟ ماذا بك؟

رفع رأسه وعيناه مغرورقتان بالدموع ناظرًا إلىّ لكسرٍ من الثانية قبل أن يعيد رأسه مكانها بين ركبتيه, حمدتُ الله أنه رآنى فقد ساورنى الشك أنى أتجول كشبح بينهم, فَرَبَتُّ ثانية على كتفه لِحَثِّهِ على إعطائى إجابة فما كان منه سوى أن رفع رأسه وقال:

- أنت لا تعلم شيئًا والأفضل ألا تعلم.

ثم أعادها مكانها وكأن هذا هو مكانها الطبيعى أو كأنه وُلِد بها على هذا الحال

ما الذى يدور هنا؟ سؤال يتضخم بذهنى حتى صار بحجم الكون.. سكون جدير بالمقابر.. صمت جدير بالموتى... اخترق هذا الصمت صوت ارتطام, نظرت خلفى فوجدت فتاة ملقاة فى نفس المكان الذى قفزت فيه منذ قليل, اتجهت إليها ساعدتها على النهوض, ورغم حالتها المزرية تملك بهاءً لا تخطئه العين وبريقًا فى عينيها الزرقاوين يسلب العقول غير أنه أول لون يخرج عن نطاق هذا الرمادى السائد مما زادها جاذبية.. فى تردد ودون مقدمات سألتنى:



- ما هذا المكان وما الذى أتى بى إلى هنا؟

إنه سؤال المليون ولا وسائل مساعدة.. إذن هذا السؤال لا يطاردنى وحدى ولستُ الأحمق الوحيد هنا... هززت رأسى بأنى لا أعلم فعاجلتنى بسؤالٍ آخر:

- منذ متى وأنت هنا ؟
- دقائق...ساعات ولكنها طويلة بطيئة, وأنتِ ؟
- مثلك , أحدهم قال لى أنه لا يزال هناك فرصة فى النجاة

قالتها بلهجة بها كثير من الأمل و التفاؤل, وددتُ لو أشاركها هذا التفاؤل ولكن حتى الآن أشعر أنى أعيش كابوسًا حقيقيًا الله وحده يعلم متى سينتهى.. فابتسمت رغمًا عنى قائلًا:

- أولئك الذين لايرددون سوى هذه الجملة ولا يعطون مزيدًا من الإجابات وكأنهم مبرمجون فقط على هذا الرد.. كيف وأين هذه النجاة؟

لم ترد.. يبدو أن إجابتى كانت صادمة فأخرجتها من دائرة الأمل التى تقنع نفسها بوجوده.. بصرتُ بعينها خوفًا وقلقًا يفوق خوفى بمراحل, لا أنكر أن وجودها وحديثها منحنى بعض الطمأنينة المؤقتة.. أتذكر الآن هذا المثل الشعبى (الجنة من غير ناس ما تنداس) وأضيف عليه والجحيم أيضًا.. فحينما يشاركك أحد مأساتك, فإن ذلك يهون الكثير, فليس هناك أصعب من أن تتعذب وحدك.. تعانى منفردًا.

بعد فترة من الصمت سألتها:

- كيف جئتى إلى هنا؟ هل نحن فى عالم موازى أو أرض أخرى؟



- لا أعلم ولكن أخر ما أتذكره أنى كنت فى طريقى الى المنزل عائدة من الجامعة مستقلة إحدى السيارات (ميكروباص).. لا أدرى إن كنت غفوت أم لا ولكن حين أفقت وجدتنى هنا.
- غريب هذا.. أخر ما أتذكره أنا أيضًا أنى كنت نائم وصحوت لأجد نفسى هنا
- أظن أننا فى كابوس؟
- لا يوجد كابوس جماعى بهذا الشكل.. لاحظت بعد هذا الرد أنى أزيد الأمور تعقيدًا لها وألعب دور المُحبِط بامتياز, فبادرتُ بسؤالٍ آخر:
- لماذا يبكى هذا الشاب؟ ما الذى يعلمه ولا نعلمه؟

لاحظتُ أن سؤالى غبيًا فكيف لها أن تعرف وهى ألقت علىَّ سؤالًا مشابهًا منذ قليل, ولكنها ردت فى نفاد صبر:

- إنه أمامك تفضل.. أنا أيضًا أريد أن أفهم وبشدة

اتجهنا إليه وجثونا على ركبتينا أمامه, فشعر بنا ورفع رأسه.. مدهش أمر عينيه.. منتهى البراءة وخيبة الأمل وحزن العالم فى نظرة واحدة ونحيب لا ينقطع.. يحمل شعرًا ناعمًا ووجهًا مستديرًا طفوليًا رغم تجاوزه أوائل العشرينات فى اعتقادى, شاب يافع لا يخلو من وسامة, ربت كلانا على كتفيه فزاد نحيبه وبكاءه حتى شعرتُ أنى على وشك البكاء أنا الآخر, أما الفتاة فكانت بالفعل تبكى مما زاد الأمر سوءًا.. أىُّ عذابٍ هذا الذى وقعنا فيه؟ رأى الشاب بكاءها فقال بصوت يمزق نياط القلوب يأسًا وألمًا:

- ما زال أمامك فرصة, أما أنا فلا

فسألته فى لهفة:

- أى فرصة تقصد؟
- فرصة أن تخرج من هذا الجحيم وتعود لحياتك الطبيعية
- كيف؟؟!!



لا شيء أكثر صعوبة, ولا شيء أكثر قيمة من القدرة على اتخاذ القرار

نابليون بونابرت



(6)

- تفضل يا أبى واصل الحكى إذا سمحت

- لا أظن أن الوقت مناسب فلننتظر قليلًا حتى يعود التيار

وقبل أن ينهى الجملة كان التيار قد عاد فجأة ليغمر الضوء الموجودات ويزيح الظلام عن أركان المنزل فى سرعة بالغة فقال الوالد:

- نعود لنكمل ما بدأناه... بدأ والدى فى البحث عن الإجابات ولم يعد النوم ليلًا ممكنًا مع سماع هذه الأصوات رغم أنه لم يعد يسمعها إلا نادرًا ولكن سماعها مرة واحدة ليلًا كفيل بجعله متيقظًا حتى يحل الصباح... فسأل الإفريقى عن هذه الأصوات فقال بعدم اهتمام:-
- أىُّ أصوات؟ لا يوجد أصوات غريبة.. إلا إذا كنت تقصد سعالى ليلًا فأنا مريض مما يجعل سعالى خشنًا عاليًا غير محبب.

لم تكن الإجابة مقنعة ... هذا الرجل يكذب ولا شك فى ذلك.. أما بقع الدماء فتارة يقول أنه لا يعلم عنها شيئًا وتارة يقول أن أنفه تنزف لانفجار أحد الشعيرات الدموية بها.... لم تكن هذه الإجابات بالتى تقنع جدك خاصة مع تكرار هذه الأمور... كان الشك قد تسلل ونفذ إلى عقله وقلبه وعليه الآن أن يعرف حقيقة ما يدور مهما كلفه ذلك... بجانب الخوف والرعب والقلق كان الفضول يقوم بمهمته لعله يرتوى ولم يعد عليه سوى انتظار اللحظة المناسبة للارتواء وقد جاءت بالفعل , فقد أخبره الإفريقى بأنه ذاهب إلى أثيوبيا لجلب بعض البضائع وأوصاه بأن يعتنى بالتجارة والمنزل حتى يعود... فوجد جدك أن الفرصة حانت ليعرف سر الغرفة التى يسكنها هذا الرجل و التى ستقدم له إجابات لتساؤلاته.



سافر الرجل وبقى جدك فى هذا المنزل وحيدًا... كان الهدوء قاتلًا... لم يكن جدك من الرجال الذين يخافون الوحدة ولكن الوساوس قادرة على إثارة شتى المخاوف لأعتى الشجعان... وكانت الغرفة كائنة أمامه يفصله فقط عن السر بابها وعليه تجاوزه .

ترى ما الذى تحويه هذه الغرفة؟ وما الذى يخفيه هذا الإفريقى؟

اقترب من الباب يكاد يسأله عما يواريه ويستره, وكأن الباب قد سمع سؤاله وأبى ألا يُجيب فجاء الرد مخيفًا حين تناهت إلى مسامعه أصوات صادرة من الغرفة المغلقة, أصغى أكثر.. هناك حركة بداخل هذه الغرفة, هذه الغرفة ليست خاوية كما ظن, أكاد أسمع دقات قلبه المتلاحقة ترجوه أن يبتعد, وأنفاسه التى تخبره بأنها قد تكون الأخيرة لو لم يحترس, أكاد أرى حبيبات العرق على جبينه تزيد الأمور سوءًا بعد أن تيقن بأنه ليس بمفرده فى هذا المنزل , نظرات متوترة تبحث عن التصرف الأمثل, طرق بيده على الباب طرقات خفيفة متوجسة, فسكنت الأصوات, أعاد الطرق بشدة أكبر لتخفت الحركة الخفيفة التى يظنها بالداخل, ليس متيقنًا من شيءٍ بعد, كم يتمنى لو كانت تلك الأصوات مجرد أوهام, ولكن عودتها من جديد, جعلت جسده يرتج كغصن تعبث به الريح, ود لو أطلق لساقيه العنان كى يفر ويرتاح من هذا المنزل الغريب ولكنه تماسك أو تظاهر بذلك, وعزم أمره.

أحضر أدواته وقد قرر اقتحامها... وبالفعل لم تستعصِ عليه كثيرًا ولم تصمد أمام محاولاته طويلًا وكأنها قد اشتاقت هى الأخرى للبوح بسرها, انفتح الباب وقلبه على وشك التوقف لو لاح ما يتهيب, فأضاء مصباحها ليجد جدك محتوياتها الرابضة وكأنها فى انتظاره ولكن لم يكن هناك أى



حركة أو مصدر لصوت كما سمع وهو بالخارج ... غرفة مربعة واسعة, رائحتها خانقة مثيرة للغثيان وكأنها مقبرة تحوى جثثًا نتنة ... كيف يتحملها هذا الإفريقى؟ ليس لها مدخل أخر أو شباك للتهوية, ويبدو أن مكان الشباك قد سده الإفريقى تمامًا من الداخل, بها سرير مرتب بعناية وكأن هذا الرجل لم ينم عليه منذ زمن أو هو مثالى فى الاعتناء بترتيب سريره, ولكن أكثر ما أرعب جدك وجود منضدة فى أحد الأركان عليها ساطوران أحدهما كبير والأخر صغير نسبيًا بجانبه كثير من العظام ذات رائحة نتنة , وقطع من اللحم العفن, كان جدك على وشك إفراغ معدته لولا أن أثار انتباهه كثير من بقع الدماء على المنضدة وعلى أرضية الغرفة, جثا جدك على ركبتيه ناظرًا إلى تلك البقع الحمراء حتى رأى أسفل هذه المنضدة كيسًا أسودًا كبيرًا رائحته نفاذة للغاية, شده جدك فى حذر وحين رأى ما بداخله, لم تقو أحشاءه على المقاومة , فأفرغ ما بداخلها تمامًا, كان الكيس يحوى جلودًا وبقايا أحشاء ورءوس حيوانات ميتة كالقطط والخنازير, هذا ما استطاع التعرف عليه ولكن أعصابه لم تحتمل المزيد فترك هذا الكيس ناهضًا وهو يتساءل ما الذى يقوم به هذا الرجل فى غرفته ولأى غرض يقتل ويسلخ هذه الحيوانات؟

كان مذهولًا ومأخوذًا كما لو كان يفعل ذلك دون وعيٍ أو إرادة .

عادت الحركة مجهولة المصدر فخانته قدماه من الفزع فسقط أرضًا فتلفت يمينًا ويسارًا فى ذعر حقيقى حتى وقعت عيناه على صوان ضخم, بدا وكأنه يهتز , لا هو بالفعل يهتز وهو مصدر الحركة الخفيفة والصوت مجهول المصدر, اتجه بخطوات متخشبة ناحيته وبحركة مفاجئة فتح ضلفتيه على مصرعيهما ليعرف أخيرًا مصدر الصوت الناجم عن قفص خشبى مربع به خنزير صغير الحجم داكن اللون يتحرك يمينًا ويسارًا



مصطدمًا بحواف القفص ليتحرك القفص بالكامل مصدرًا هذا الصوت, كان على وشك السقوط يبدو أنه كان يصطدم بضلفة الصوان لذا كان الصوت أكبر, أنزل القفص بمزيد من الاشمئزاز

بداخل الصوان وجد أيضًا الكثير من الكتب القديمة الصفراء مكتوبة بلغة غريبة لا يفهمها وتحوى نقوشًا أغرب لم ير مثيلًا لها فى حياته, حاول أن يفك هذه الطلاسم دون جدوى, وفى رفٍ آخر من هذا الصوان يوجد العديد من الزجاجات والقارورات ولكنه لم يفهم سر تواجدها والاحتفاظ بها, بجانب هذا الصوان العملاق تقبع على الأرض شنطة سفر كتلك التى اصطحبها الإفريقى عند سفره تضم بعض ملابسه والكثير من العطور وأعواد البخور, يبدو أنه يستخدمها لإزالة آثار هذه الروائح الكريهة كى لا يفتضح أمره, بعد هذه الجولة داخل الغرفة كان جدك منهكًا لا يدرى أبسبب الروائح أم بسبب تلك الصدمة فى هذا الرجل الذى يعمل معه, جلس جدك عند باب الغرفة والأسئلة تتراقص فى ذهنه لتزيد حنقه وحيرته لماذا يستخدم كل هذه الأشياء ويحتفظ بها ولماذا لم يخبره عن الحقيقة حين سأله؟ هذا الرجل لايعمل بالتجارة وحدها. إنما يمارس نشاطًا ما داخل هذه الغرفة, لم يكن جدك واعيًا بما فيه الكفاية ليدرك حقيقة ما يدور, وكان عليه أن يختار ما بين أمرين أن يترك كل هذا لِما أصابه من الرعب والتوجس من الرجل الذى يعمل معه وأن يفر غير عابئ بالإجابات أو أن يمارس عمله بشكل طبيعى حتى يعود الرجل ويفهم منه حقيقته وحقيقة أعماله داخل الغرفة, ولأنه كان بحاجة إلى إجابات واضحة وصريحة لا تحتمل الشك أو التأويل, وبحاجة كذلك إلى المال الذى يكسبه من هذا العمل قرر الاستمرار فى العمل والانتظار حتى يواجه الرجل ويفهم الأمر كاملًا وحينها سيتخذ قراره.


ساحر الكتب



سأحمل هذا الحنين إلى أولي وإلى أوله

وسأقطع هذا الطريق إلى آخري وإلى آخره

محمود درويش



(7)

عصر الأحد

حاجة شريف مُلِحَّة للراحة بعد عودته من السفر. ولكن اختفاء صديقه بهذا الشكل الغامض أزال أى احتمال للحصول على قليلٍ منها, كان يفكر فى كل الاحتمالات التى قد يكون واجهها صديقه, بعضها مقبول والبعض الآخر أزعجه لأقصى درجة, المقبول منها مثل كون سليم غير سعيد فى حياته الزوجية, أو يحتاج للعزلة قليلًا وإعادة ترتيب أفكاره لسببٍ أو لأخر, مما جعله لا يبالى بأقرب الناس إليه, لقد سمع كثيرا عن أزمات كتلك بين الأزواج والزوجات ولكنها سريعًا ما تمر.. أما الاحتمالات المزعجة أن سليم كان بصدد القيام بأمرٍ ما, فوقع له مكروه خارج الحسبان أو لعله يواجه مشاكل رأى ألا يعلمها غيره, أو أنه على علاقة بامرأة أخرى ولكنه استبعد هذا الاحتمال, فهو يعرف صديقه جيدًا زوج مثالى مخلص, من العسير أن يصدر منه أمرًا كهذا.. ليس مستحيلًا ولكنه مستبعد.. وبينما هو على هذه الحال يقلب الأمر يمينًا ويسارًا, واتته فكرة غريبة بعض الشىء ألا وهى زيارة عيادة صديقه ومناقشة مساعده.

فقام بالاتصال بجيهان وأخبرها بما ينتويه فقالت أنها لا تمانع رغم أن أخيها التقى بسعد من قبل ولكن لم تقودهم مقابلته لشىء .. وطلب منها البحث فى متعلقات زوجها مرة أخرى عساها تجد ما يقودهم إليه.. وأبلغها بأنه سيفعل ذلك بالمثل فى العيادة.. استأذنها فلم تكن فى موقف يسمح برفض المساعدة مهما كانت بسيطة.

وبالفعل بعد غروب شمس يوم الأحد التقى شريف بسعد الذى رحب به بعد أن أعرب عن قلقه من اختفاء دكتور سليم وأنه لا يعلم سبب غيابه أو اختفاءه بهذا الشكل, داعيًا الله أن يعود لأهله وعمله سالمًا.

كان شريف يبحث عن إجاباتٍ محددة تساعده فى حل لغز اختفاء صديقه بهذا الشكل, فكان أول سؤال وجهه لسعد:

- هل من شيءٍ غريب لاحظته على دكتور سليم فى أخر شهرين؟

- ماذا تقصد... إنه دائما يعاملنى بكل ود واحترام.. نحن عشرة طويلة.

- لا أقصد معاملته لك, ولكنى اقصد هل وقع شيءٌ غريب فى الفترة الأخيرة أو لاحظت تغير فى سلوكه بشكلٍ عام؟

- لا يوجد شيء معين يا دكتور.. غير إنه كان هادئًا جدًا فى الفترة الأخيرة ولا يبالى بكثير من التفاصيل التى كان دائم السؤال عنها, حتى أن بعض المرضى لاحظوا هدوئه الزائد عن الحد وردوده قليلة الكلام وعباراته المقتضبة ولكنى كنت دائمًا ما أبرر لهم ذلك بضغوط العمل وانشغاله الدائم مع العديد من المرضى, ولكنى كنت أرجح بأن ذلك بسبب الحادث الذى تعرض له دكتور سليم من أسابيع قليلة.

- ألم تلاحظ شيئًا آخر غير هذا الهدوء غير المعتاد ؟ حاول أن تتذكر, حتى وإن كانت هذه الملاحظة عديمة الأهمية من وجهة نظرك

- لا شيء يا دكتور. ثم نظر كمن تذكر شيئًا كاد أن ينساه ثم أردف :



- غير أنه كثيرًا ما كان يعطيني الإذن بالانصراف بعد الكشف على جميع المرضى وأتركه وحيدًا في العيادة, حدث ذلك كثيرًا مؤخرًا ويبدو أنه كان يطيل البقاء في العيادة بعد انصرافي.. عرفت ذلك من عدد أعقاب السجائر التى أجدها في المخلفات. فكما تعلم يا دكتور أنه لا يدخن إلا قليلًا
- أريد رؤية حجرة الكشف
- طبعًا يا دكتور.. تفضل

دلف شريف إلى الحجرة.. كانت حجرة مثالية لطبيب في مستوى سليم تحوى بعض الأجهزة الطبية وأدوات الكشف اللازمة لأى طبيب نساء.. ثم وقعت عينا شريف على برواز لآية قرآنية تقول (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فشريف يتذكر جيدًا كيف كانت هذه الآية على لسانه قبل ظهور نتائج الامتحانات وعند الحديث عن كل الأمور التى تتعلق بمستقبلهما العملى منذ قدومهما سويًا من الشرقية إلى القاهرة للدراسة في كلية الطب وأسفل البرواز يقبع كرسى مريح ومكتب أنيق بنى اللون متوسط الحجم. جلس شريف على الكرسى خلف المكتب يتذكر مواقفهما سويًا, يبتسم تارة ويشرد تارةً حتى شعر بغصة في حلقه من هاجس وقوع مكروه لسليم. ارتجف قلبه بشدة كمن يخشى السقوط أرضًا من عَلٍ, يعُز عليه أن يدخل عيادة صديقه دون أن يكون متواجدًا بها وأن يجلس على مكتبه دون استئذانه ولكنه يدعو الله بألا تطول فترة غيابه عن ذلك ويدعو أيضًا أن يجد أى خيط بسيط قد يقوده إليه.. ولكنه يسأل نفسه ما الذى يجعل صديقه يبقى في العيادة بعد انصراف مساعده ولماذا يدخن هذا الكم من السجائر رغم أنه قليل التدخين جدًا ؟ وبحركة تلقائية وجد



نفسه يفتح درج المكتب..لا شيء يُذكر سوى مجموعة أوراق ودفاتر روشتات وقلمين أو ثلاثة مع زجاجة دواء (.....) مملوءة حتى منتصفها وهو دواء معروف لعلاج الأرق وقلة النوم.. يبدو أن سليم يجد صعوبة فى بداية النوم أو يعانى استيقاظًا متكررًا أثناء الليل.. فكر شريف ولكنه لماذا لا يترك الدواء فى البيت ويحتفظ به فى العيادة.. ووجد نفسه يحاول التخمين ربما لا يريد لزوجته أن تنزعج من هذا الأرق.. وربما ليسرى مفعول الدواء بمجرد وصوله إلى البيت.. بالتأكيد يتناول الدواء قبل انصرافه من العيادة ويبدأ مفعوله بعد وصوله إلى الفيلا بالمعادى.. أغلق هذا الدرج وفتح الذى يليه ليجد شاحنًا للهاتف وميدالية بها ثلاثة مفاتيح وبعض الأمبولات... لا شيء ذو قيمة هنا.. وبإحباط فتح الدرج الأخير ولكن وجده يحتاج إلى مفتاح.. توقع أن أحد المفاتيح فى الدرج الثانى ربما يخص هذا الدرج.. جرب الأول فلم يفلح والثانى وجده يستجيب ففتح الدرج ليجد بعض الملفات يعلوها شيء جعله يشعر بأن زيارته لعيادة صديقه لم تكن هباءًا وبأنه لن يعود بيدٍ خاوية.


ساحر الكتب



للكوابيس مزية عظيمة أنها تنتهي, تخيل لو لم تفعل



(8)

- قلتُ متلهفًا : كيف أعود؟

فأجابنى هذا الشاب المثير للشفقة:

- حين تسمع اسمك يُنادى من أعلى عليك التلبية والذهاب من حيث أتيت
- ولكن بالأعلى لا يوجد سوى ساحة حرب؟

فقال فى إصرارٍ وملل:

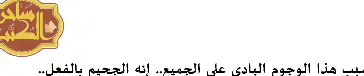
- حين تسمع اسمك لن تجد شيئًا من هذا.. ستعود إلى عالمك

فقلتُ على الفور : - ولما لا نفعل ذلك الآن؟

ابتسم رُغْمًا عنه لسذاجتى ففهمت بأنه لو كان هذا ممكنًا ما بقى أحدهم هنا.. عليك البقاء حتى تسمع النداء.. الذى قد يأتى فتعود لعالمك.

كنت أنا والفتاة نسمع فى شغف, يبدو أنه يعرف الكثير فعلًا, وأعطانى كلامه بعض الأمل بعد أن هدأ بكاءه ولكن اليأس والحزن يسيطران عليه بشكلٍ كامل, فسألته "وإذا لم يُنادى علينا؟" فجاءتنى الإجابة الصادمة التى أتوقعها:

- ستمكثان هنا ... مثلى وعاد للبكاء



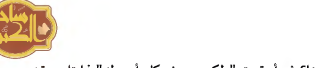
بدأت أفهم سبب هذا الوجوم البادى على الجميع.. إنه الجحيم بالفعل.. أنت فى انتظار سماع اسمك وكلما مر الوقت, كلما قلت فرصك أو انعدمت فى النجاة.

سألته الفتاة فى محاولة للتخفيف عنه: "ما اسمك؟"

فأجاب: "حسن" فحيته بيدها, وأنا صفاء ثم نظر إلىَّ فقلت وأنا دكتور سليم

ثم تذكرت بأن هذا هو أسخف وقت يمكن فيه التمسك بلقب دكتور.. ولكنى للحق لم أكن أقصده بتاتًا ولكنه خرج منى بهذا الشكل العفوى وبسبب التعود فقط لا أكثر.

تم التعارف كما لو كان يدور فى مدرج الكلية أو فى أحد النوادى وليس فى هذا المكان, لا أنكر أنى شعرتُ ببعض الراحة لوجودهما معى, ولكن كلما تذكرت حياتى السابقة انتابنى الهم وعاودنى الاشتياق لأسرتى وعملى وكل ما كان روتينيًا فى حياتى ولا أشعر بأى طعم له, كنت أشتاقه كأم اشتاقت لرؤية جنينها التى ستراه لأول مرة بعد الولادة, تبادلنا جميعًا الحديث فحكت لنا صفاء عن حياتها وأسرتها فى الإسكندرية, تعيش أو كانت تعيش مع والدها الذى يعمل بالمحاماه ووالدتها ربة منزل وأخيها الأصغر, تدرس فى كلية السياحة والفنادق.. استمعنا إليها ولكن سؤالًا ملحًا يحوم حول رأسى كما يحوم الذباب حول قطعة من الحلوى فقطعت حديثها فى قلة ذوق, ولكن كانت رغبتى فى معرفة حقيقة هذا العالم أقوى من أى مجاملات وأى قواعد, فوجهت سؤالى لحسن:



- لماذا نحن هنا؟ ثم أعقبت "ولكن بدون بكاء أرجوك" فابتلع ريقه أو ظننته كذلك وهو يقول ببطء:
- إننا جميعًا هنا مفقودون, ضائعون, أجسادنا غير موجودة الآن في عالمنا الذى نعرفه أو قل موجودة ولكن مفقودة, لم يتم العثور عليها, حين يُنادى عليك وتخرج من هنا معنى ذلك أنهم وجدوها في عالمنا.. ثم تابع في أسف:
- كلاكما أقرب إلى الموت بشكلٍ لا تتخيلانه.. أما أنا فميت فعلًا.

قالها بزهو من عرف مصيره, ولكننا توجسنا خيفة منه فقد قالها كأنما يلقى دعابة.. ليس طبيعيًا أبدًا أن تحاور ميتًا وتتظاهر برباطة الجأش وبأنه شيئًا عاديًا.. اندهشت حقيقة من كوننا لايزال لدينا القدرة على الخوف والقلق رغم هول ما نحن فيه, ولكنى سرعان ما تذكرت أننى على وشك الموت أنا الآخر وربما أكون ميتًا ولكنى لم أتأكد بعد, مازلت أشعر أن الأمر لا يخلو من عبث, لابد وأن شيئًا ما سيحدث لتنكشف الخدعة وتشرق الحقيقة مع تفسير منطقى لما يدور ولكن لا شيء من ذلك يأتى.

تابع حسن حديثه واضعًا إحدى يديه على جبهته وبدا كما لو كان نسى وجودنا وأنه بصدد محادثة نفسه:

- أنا هنا منذ شهور و سنوات لا أعلم عددها, لن يُشكل ذلك فارقًا, فلا مقياس للزمن في عالم النسيان هذا يمكن الحساب وفقه.. أنا ميت بالفعل ولكن جثتى مفقودة لم يضمها قبر ولم تحصل على حقها في الدفن. أمى كانت معى ثم وصلت بعدى بقليل إلى هذا العالم.. كنا خارجين من البنك نسحب بعض تحويلات أبى التى يرسلها إلينا من الخليج بانتظام.. ثم استقلينا سيارة أجرة



ومعنا حقيبة صغيرة تحوى المبلغ الذى سحبناه.. فوجدنا السيارة تقف ليستقلها آخر ويجلس فى الكرسى الأمامى بجانب السائق وفجأة مد يده إلينا ورَشَّ وجهينا بسائل لا أدرى كنهه لأغيب عن الوعى وكذلك أمى.. لا أدرى ماذا وقع بعد ذلك حتى حكت لى أمى ما دار حين قابلتها هنا حين استفاقت من أثر هذا السائل.. سمعتهما يتحدثان عن الحقيبة ومصيرنا.. سمعتهما وهما يهمان بإخراجى من السيارة ليلقيا بى على الطريق وأحدهما يردد:

"اقتله دون دم ولنلقيه فى قلب هذه الأرض.. لا تتعب نفسك فى دفنه.. الكلاب هنا جائعة وستقوم بالواجب"

حاولت أمى الصراخ رغم استمرار وقوعها تحت تأثير المخدر, فشعرا بذلك, فهرولا إليها ليسكتاها ويرش أحدهما المخدر على وجهها وتوجها بها إلى منزل مهجور أخذا منها الحقيبة وبعض المصوغات التى كانت ترتديها ثم بعد ذلك قتلاها.. هذا ما روته لى أمى قبل أن ترحل من هذا العالم, بعد أن بقينا سويًا نواسى بعضنا البعض, ولكن يبدو أنهم وجدوا جثتها مقتولة بالقرب من هذا المنزل المهجور, ولابد أنهم دفنوها وبناءً على ذلك غادرت هذا العالم.. وبرغم حزنى لذهابها, لكنى لم أتمنى أبدًا أن ترى ما أعانى وأن تعانى مثلى هذا العذاب. ثم دخل فى نوبة بكاءٍ حادة, تبعته صفاء فى البكاء, فاحتضنت كلاهما.. رغم احتياجى لمن يهبنى مثل هذا الحضن.. ثم هدأ كلاهما فسألته:

- متى وقع ذلك يا حسن؟
- فبراير 2011
- يااااااااه نحن الآن فى 2014



- 3 سنوات مرت على فى هذا العالم.. لا أظن أن الوضع تغير كثيرًا فى عالمنا أليس كذلك ؟
- لا تشغل بالك, فالأمور هناك تسير من سىء لأسوأ يكفيك ما أنت فيه
- بالفعل أنا هنا مسجون عديم الأمل فى الخروج من سجنه ولا مجال للعودة.. فقط قليل من الذكريات تعاد مرارًا وتكرارًا أمام عينيه.. وقليل من الجمل والأحاديث مع من ماتوا أو على وشك الموت بعدها يفقد الجميع الرغبة فى كلام لن يقدم ولن يؤخر, ليدخل الجميع فى صمتٍ إجبارى فى انتظار نداء نادرًا ما يأتى أو فناء من هذا العالم بعد طول انتظار.

خرجت الكلمات من فمه تقطر ألمًا وتئن توجعًا.

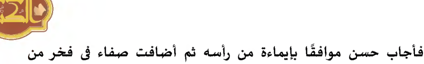
بعد فترة من الصمت قالت صفاء بلهجة تقريرية يائسة مُبكية:

- إذن كلنا هنا مفقودون, والأخرون فى عالمنا يبحثون عنا ونحن فى انتظار نداء أو فى انتظار الدفن لنرحل عن كلا العالمين عالمنا وهذا العالم

كاد شعرى أن يشيب من هول ما أسمع على الرغم من أن هذا هو ملخص ما قاله حسن.

فأكملت تلخيص الموقف:

- وإذا لم يتم النداء أبدًا فنحن مفقودون وفى عداد الموتى.. كل الموجودين هنا حتى هؤلاء الجنود أليس كذلك؟



فأجاب حسن موافقًا بإيماءة من رأسه ثم أضافت صفاء فى فخر من استطاع حل أحد الألغاز:

- بلى كذلك.. هم جنود قُتلوا فى ساحة المعركة ولم يتم العثور على جثثهم لذلك أغلبهم يرتدى الملابس العسكرية ويمارس دوره الذى مات عليه, لهجتهم عربية غير مصرية فنحن لا نحارب الآن إلا أنفسنا, وبالتالى فهم قد قُتلوا على يد أبناء وطنهم كما هى عادة شعوبنا مؤخرا تفعل بنفسها ما لم يفعله بها عدوها.. يتقاتلون على لا شيء سوى أن يثبت كل طرف أنه أكثر وطنية أو أكثر تدينًا أو أصحهم عقيدة.. ولو كان بوسع أحدهم الاستماع للفريق الأخر والتعاون معه من أجل صالح أوطانهم, لتجنبوا كثيرًا من دماء أريقت وأرواح أُزهقت دون جدوى لذا يمكنك تمييز لهجتهم العربية الواضحة وإذا أمعنت فى هذه اللهجة أمكنك تمييز جنسيتهم.. وأظن لم يقتصر الأمر على هؤلاء الجنود فقط بل يمتد لمن هم فى الشاطئ.. إن كان أحدكم قد رآه.. فقال حسن مؤمنًا على كلامها:
- بالفعل أولئك أيضًا ماتوا فى البحر أو غرقوا قبل الوصول للبر فى حياتهم ولم يتم العثور على جثثهم, ثم واصل بنبرة ملؤها اليأس متجاهلًا كلمات صفاء السابقة:
- أمنية وحيدة أخيرة لى أن أنهى سنواتى المتبقية هنا

فقلتُ فى غير فهم:

- سنواتك المتبقية هنا؟



فأجاب :- نعم لا يزال أمامى الكثير حتى أنهى أعوامى هنا وهذا عُمر الفرد فى هذا العالم

- أعوام؟ كم عامًا بالتحديد؟
- سمعت أحدهم هنا يقول أنه يتوقع بأن بقاءنا هنا يستمر ما يقرب من 25 عامًا أو أق لمرهونًا بتتحلل أجسادنا وهياكلنا العظمية فى عالمنا بشكلٍ كامل ولا يتبقى منها سوى عظم صغير بحجم البذرة يُسمى (عجب الذنب) وقتها فقط يتلاشى وجودنا فى هذا الكابوس.. لا أدرى إن كان هذا صحيحًا أم لا ولكن لا أظن أن هناك شيئًا يبقى للأبد يا دكتور حتى وجودنا هنا ولكنه عمر مديد فى هذا المكان الموحش.. الوحدة والألم والحنين هم رفقاؤك هنا, أناس يأتون وأناس يذهبون ربما تبقى هنا ما يوازى يومًا من أيامنا, ربما ساعات وربما شهور ولكن متى تعدى بقاؤك هنا بضعة أيام فهذا يعنى أنك صرت ميتًا لم يتم العثور على جثته ولم يتم دفنها فى عالمنا.

صعد الدم إلى رأسى بعد كلامه هذا إن كان ما يزال يجرى فى عروق دم هنا.. حقيقة لا أعلم كنه وجودى هنا هل هذا جسدى أم مجرد طيف أم هيئة جسدى تبدو لى وللناظرين من حولى ؟ لم أتلق إجابة من حسن فهو نفسه لا يعلم, ولكن أيًا كان حقيقة تجسيدى هنا فأنا مازلت أتمتع بالسيطرة الكاملة على حواسى وأعضائى.

"هل من سبيل للخروج من هذه الساحة؟" قلتها وقد طرأ على خاطرى فجأة هذا السؤال.

- أحدهم حاول وتسلل لخارج الساحة عبر ثقب فى الجدار



- إذن يمكننا الخروج من هنا
- لا أنصحك.. كم الصراخ الذى سمعناه هنا بعد خروجه كافى لإبقائى هنا دون أن أتحرك شبرًا واحدًا
- صراخ!!!

ليست مرة واحدة ولا اثنتان ولا ثلاث.. ومتى ظنناه انتهى يعود من جديد, ساعات طويلة بحساباتنا ونحن نسمع هذا الصراخ الذى لا أدرى كيف أصدرته حنجرته, إلا لو كانت قد اقتلعت من مكانها اقتلاعًا, فزع لا ينقطع أطبق علينا هنا عبر توالى الصرخات, أى فزع يمكن أن يسبب هذا الصوت؟ أى هلع أصابه؟ ما مدى العذاب الذى لحق به؟ لا أدرى

- ولكنه فى النهاية.. انتهى, مات , أليس كذلك؟
- هل تضمن أنت ذلك؟ انقطاع صراخه لا يعنى نهايته, ربما انتقل إلى مكان أخر أشد قسوة وأكثر إيلامًا.

بعد كلماته هذه علمت بأن الشعور المسيطر عليهم أن البقاء هنا ليس بالسوء الذى يبدو عليه مقارنة بما قد يكون بانتظارك بالخارج وأن الوحدة والملل كائنات لطيفة يمكن معاشرتها أما الرعب فيقتل بداخلك إمكانية المجازفة.

جلس ثلاثتنا ساعات طويلة نتحادث بها فعرفت من صفاء بعد أن عصرت ذهنها أن أخر ما تتذكره أنها كانت فى طريقها إلى المنزل بعد انتهاء محاضراتها فى الجامعة بعد أذان المغرب بقليل.. تستقل ميكروباصًا أو كما قالت بلغتها السكندرية (مشروعًا) يقوده سائق شاب نحيف جدًا, طويل الشعر, أسمر البشرة وذو جرح طولى بخده الأيمن كان يحدق بها فى اهتمام فى المرآة المواجهة لكرسى القيادة.. سببت لها هذه النظرات قلقًا



ولكنها قالت فى نفسها أنه أحد تلك الكلاب الجائعة التى تنظر للفتاة لتفحص كل قطعة فى جسدها وتلوكها فى مخيلتها تمامًا كما تفعل الذئاب بفريستها.. تحرش من نوع أخر كما ذكرت ولكنها قررت التجاهل كما هى عادتها فى مثل هذه المواقف التى اعتادتها كثيرًا وكانت تسبب لها ضيقًا فى كل مرة تلحظ ذلك ولكن لتكرار الموضوع لم تعد تُبالى خاصة وأن ملابسها محترمة غير ملفتة وغير مبالغ فيها, ولطمأنة نفسها أكثر قالت بأن السيارة بها أخرين غيرها فألقت نظرة خاطفة للخلف من مقعدها الكائن وراء كرسى القيادة لترى راكبًا واحدًا فقط بالسيارة يهم بالتحرك من مكانه ويتجاوز المقاعد التى أمامه حتى وصل إلى المقاعد الأولى خلف السائق فظنت بأنه على وشك النزول هو الأخر وهو ما أزعجها لأنه سيتركها وحيدة مع هذا السائق.. ولم يكن الأمر كما ظنت بل وجدت هذا الراكب يتبادل نظرات غريبة مع السائق تراها فى نفس المرآة.. ثم لا شىء ..ظلام تام اصطدمت به فى جزء حالك السواد من ذاكرتها.. حاولت أن تتخطاه عدة مرات ولكن فى كل مرة تهوى أرضًا فى هذا البئر من الظلام.. مما لاشك فيه أن كل الاحتمالات بعد ما روته سيئة تمامًا لتصل بها إلى هذا العالم.

ثم جاء دورى فحكيت لهم عن عملى كطبيب, ثم تحدثت عن ابنتى سلمى التى أحبوها وتعلقوا بها من وصفى داعين لى بالعودة لها فى أسرع وقت وحدثهم عن زوجتى جيهان التى تزوجتها عن حب يكبر بمرور الأعوام حتى صار ثابتًا شامخًا كالجبل فى قلبينا لا يتزحزح وحين سألانى عن كيفية وصولى لهذا المكان, لم أعرف بما أجيبهما فأخر ما علق بذاكرتى أنى كنت نائمًا, فما الذى أتى بى إلى هنا؟ إن قُدر لى العودة سأعرف أو يبقى هذا لغز إلى الأبد فى حال بقائى هنا.



لابأس أن يكون ماضينا أفضل من حاضرنا, ولكن الشقاء الكامل أن يكون حاضرنا أفضل من غدنا.. يا لهاويتنا كم هى واسعة!

محمود درويش



(9)

أخذ نفسًا طويلًا يفرغ به ما بصدره من هَمّ ثم استطرد الأب قائلًا:

- مر يومان وجدك يعتنى بالتجارة, وبينما هو فى العمل عاد الرجل إلى البيت مباشرة ووجد أثار اقتحام الغرفة, وأدرك أن جدك قام بدخولها أثناء غيابه, وعندما عاد جدك إلى البيت وجد الإفريقى بانتظاره كما القدر.... كان هادئًا جدًا على غير المتوقع تعلو وجهه ابتسامة لم يفهم جدك سببها إلا بعد أن قال :
- دون لف أو دوران لقد رأيت ما تحويه الغرفة وأريد أن أعرف ماهى طبيعة عملك والأغراض التى تستخدم لها الأشياء الموجودة فى غرفتك؟ ولماذا لم تخبرنى بذلك من قبل؟

فأجابه الإفريقى فى هدوء ودون أى شعور بالمفاجأة:

- أنت الآن يا منصور أقرب الناس لى على وجه الأرض, وإنى لأعتبرك بمثابة الأخ الأصغر أو الابن الذى تمنيته لما رأيته من أمانتك واخلاصك وإتقانك للعمل وطلبت منك العيش معى لأنى كرهت الوحدة التى أحياها دون رفيق, وكما ترى العمر يمر والوهن يزحف على جسدى أشعر به فى كل حركة وفى كل نفس, جبتُ بلدان كُثر ورأيت وعاشرت الكثيرين وتعلمت أيضا الكثير, ولكن ما فائدة العلم دون أن تعلمه لغيرك؟! وقد اخترتك أنت لتنقل هذا العلم بعدما اقترب القطار من محطته الأخيرة
- أى علم هذا الذى تريدنى أن اتعلمه؟ وما علاقته بجثث وجلود الحيوانات التى بغرفتك؟



- هذه الحيوانات ودماؤها أحد طقوس الاستحضار, لابد من دماء كى تكتمل أركان الاستحضار.
- استحضار؟!
- منذ زمن بعيد تعلمتُ الاتصال بهؤلاء... لا أعلم ماذا تسمونها فى عقيدتكم عفاريت أو شياطين ولكنى برعت فى ذلك منذ شبابى, حتى صرت أتواصل معهم بشكل شبه يومى.. كنت فى البداية أشعر برهبة ولكن مع الأيام اعتدتُ هذه الأمور... أقدم لهم بعض الخدمات وأمنحهم الكثير من الهيبة والإجلال وهو ما يسعدهم كثيرًا حين يرون ابن أدم يجلهم ويهابهم بهذا الشكل وفى المقابل يمنحونى بعض الخدمات, حتى صرت الأثير لكبرائهم ...استجلبهم لعالمنا المحبب لهم عبر طقوس معقدة ولكنى أتقنها, يطوفون خلال عالمنا ويقدمون لى وصفات عجيبة تعالج المرضى وتجلب المنفعة, ويمدونى بمعلومات عن الماضى والمستقب لوكل ما يخطر على بالك وبالى, لذا فأنا أجوب البلدان لست كتاجرٍ فقط بل معالج أيضًا, الكثير فى هذه البلدان يعرفوننى وينتظرون زياراتى ويروون لى مشاكلهم ويعرضون على أوجاعهم, وأنا أقدملهم الحل والدواء اللازم الذى كانت نتائجه مبهرة مع العديد منهم, فى البداية كنت أقوم بذلك دون مقابل ولكنهم شكوا فى أمرى وحين بدأت أتقاضى مالًا عن ذلك, تعاملوا معى كما لو كنت طبيبًا موثوقًا به لا يُرد له كلمة. وصرت مُطاعًا أينما ذهبت.. حتى ذاع صيتى فى عدة دول وصار الناس يأتوننى من كل صوب عند علمهم بزيارتى لأى مكان.. أما فى مصر فكانوا يتعاملون معى بحذر ثم ازدادت ثقة المصريين بى ولكنى كنت حريصًا أن أبقى الأمر سرًا

لما خبرته من طبيعتكم وعدم تقبل الكثيرين منكم لهذه الأمور, وكان اهتمامى الأكبر هنا هو شهرتى كتاجر.

سمع جدك الكلام مذهولًا, حتى أنه أخذ وقتًا طويلًا يديره فى رأسه حتى قال ببطء مذعورًا:

- أنت تحضر شياطين فى هذه الغرفة؟
- نعم
- والأصوات التى كنت أسمعها من غرفتك هى أصواتهم؟
- نعم وعما قريب ستكلمهم أنت أيضًا

لاحظ أن هذا الرجل يتحدث بثقة أكثر من اللازم, فمن أين أتى بهذه الثقة؟

كانت إجاباته سريعة وحاسمة وصادمة, ألجمت الصدمة لسانه وبدا شاردًا كأنه يدير الأمر فى ذهنه... لاحظ الإفريقى هذا التردد والخوف فقال له:

- ليس الأمر صعبًا إلى هذا الحد, أنت ستستفيد وهم كذلك لا يريدون سوى الطاعة والإجلال وأنا سأعلمك كل شىء, لقد عشتُ عمرى وحيدًا وليس لى وريث ولا أريد أن تضيع تجارتى وعلمى هباءً.. لا تخف يا منصور فأنا لم أؤذيك ولا هم أذونى... نحن نفعل هذا لأغراض نبيلة ومهمة
- ولكنى لا أستطيع فعل هذا؟

دون إضاعة وقت قال الإفريقى على الفور:



- إذن القرار لك.... أنت الآن علمت سرى, وأمامك خياران لا ثالث لهما... إما أن تبقى معى وهذا ما أرجوه, وتقاسمنى كافة أعمالى وليست التجارة وحدها, وإما أن تتركنى وترحل وتمحو من ذاكرتك ما قيل كأنه لم يكن ولا تفتح فمك بكلمة وأضمن لك السلامة.

كان كلامه باردًا قاسيًا ولكنه منطقيًا ... فلا حاجة لبقاء جدك بعد رفضه التعاون معه, كان السكوت يخيم على جدك فقال له الرجل فى حزم:

- لا أريد قرارك الآن, صباح الغد تبلغنى بقرارك النهائى بعد أن تفكر جيدًا.

قال الجملة كأنه يقذفها وتركه ودخل غرفته مغلقًا بابها وراءه (هكذا أخبرنى جدك), كان الأمر عسيرًا عليه جدًا إما أن يرحل ويبدأ من نقطة الصفر التى لا يعرف أين سيجدها ثانيًة ويترك هذا الدخل الجيد الذى اعتاد عليه ولا يعرف ماذا سيكون مصيره بعد ذلك, أو أن يقبل هذا الجنون ويُبقى على كل شىء وربما يصير الوريث الوحيد لهذا الإفريقى.

بالتأكيد يا بنى تعلم خياره لو كان رحل ما كان هناك حاجة لرواية هذه القصة القديمة, نظرًا لطبيعة جدك المغامرة قرر البقاء وهو ما أسعد الإفريقى كثيرًا, وشعر بأنه كان محقًا عندما وثق فيه... ومن ثم لم يعد جدك يفارق هذا الرجل, تحدث معه كثيرًا وأخبره عن انشطته ليلًا وكيف يأتى بهذه الحيوانات وكيف يذبحها ويسلخها وكيف يتخلص منها دون أن يثير الريبة, علمه لغة غريبة لا يفهمها ولكنها لازمة لجلب هذه الكائنات, وأفهمه ما تحويه هذه الكتب القديمة... كان قد دخل عالمًا غريبًا مهيبًا وكلما مر الوقت كلما انزلقت قدماه أكثر ... ولكنه لم يقابل أو يحضر جلسة استحضار بعد ...حتى جاءت الليلة الموعودة, حين أخبره بأنه بات



جاهزًا للقائهم, كان خائفًا بحق وود لو أن هناك مجالًا للتراجع, حاول الإفريقى طمأنته بأنه سيكون بجواره, لكن ذلك لم يهدئ من روعه وصار جدك يرتعد ويرتعش كأنما أصابته حمى شديدة فتأجل اللقاء ليلتين آخرتين ولكن الخوف يزيد ... حضر الطقوس وسمع الطلاسم وأوشك قلبه على التوقف هلعًا حين بدأ هذا الكائن فى التجلى وبدت الغرفة كما لو كانت زجاجة دواء يتم رجها قبل الاستخدام, والإفريقى يواصل حديثه بتلك اللغة العجيبة والغريب أنه هو الأخر وبرغم تظاهره بالتماسك والحنكة .. إلا أن الرهبة كانت مسيطرة عليه تمامًا.. لا أريد أن أصف لك هذا الكائن كما وصفه لى جدك ولكن سأترك ذلك لخيالك مؤقتًا...كانت هذه هى البداية .. بعدها تكررت الطقوس والاستحضار كثيرا وتعلم جدك شتى الأمور حتى أصبح يُعتمد عليه فى جلب الحيوانات وذبحها وسلخها وبعض الطقوس الأخرى.. للأسف يا بنى كل ما أقصه لك حقيقى... أرجوك لا تنصدم فى هذا الرجل.. كان الفضول والخوف من الضياع أقوى منه... استمر جدك فى ذلك حتى صار خبيرًا بهذه الأمور وجرب بنفسه كثيرًا من الوصفات فوجدها ذات فائدة لا أعلم على وجه التحديد إن كان ذلك حقيقيًا أم مجرد إيحاء .

بالطبع لم تقف الأمور عند هذا الحد فقد كان الإفريقى يعتمد على هذا المخلوق فى كثير من الأمور خاصة بالبيع و الشراء يستفسر منه عن خطواته القادمة فيمليه هذا المخلوق بما عليه فعله .كانت أمور ما كان لبشر أن يتخذ قرارًا حاسمًا صائبًا دائمًا بشأنها ولكن كانت إرشادات هذا المخلوق تعود بالنفع على الإفريقى.. مرت الأيام وفى كل يوم يمر تزداد خبرة جدك ويزداد اعتماد الإفريقى عليه فى كل شىء.. مرت سنتان على هذا الحال حتى أصيب الرجل الإفريقى بمرضٍ عُضَال ألزمه الفراش لمدة



طويلة وكان جدك يرعاه خير الرعاية... أحضر له العديد من الأطباء بعد أن جرب كثير من الوصفات لكنها لم تنفع جميعًا... وقتها بدأ جدك يساوره الشك تجاه القدرات التى يمتلكها وسأل نفسه ما جدواها إن كانت هذه القدرات والوصفات لا تنفع صاحبها, ولكن الإفريقى أخبره بأن الشياطين لن تطيل عمر الانسان ولن تمنع القدر ولكنه لم يقتنع فما فائدة أن أقدم العلاج للأخرين ولا أستطيع أن أداوى نفسى ؟ حتى أنه فى أحد مرات استدعاء هذه الكائنات كان ثائرًا ساخرًا بشكل غير متوقع مما أثار حنق هذا الوحش العملاق ليرى جدك لأول مرة الوجه الغاضب لهذا الكائن... شكله وحده يثير الرعب فى النفوس فما بالك به وهو غاضب يصيح فى وجه جدك بصوتٍ مريع, جعل قلبه يتقافز على وشك الخروج من صدره.. وقتها عرف جدك أنه لاينبغى إثارة غضب هذا الكائن وبدأ يشعر بالندم من التورط فى هذه الأمور.. أيام سريعة مرت واشتد المرض بالإفريقى فأفقده النطق وأفقده البصر حتى غادر الإفريقى دنيانا بعد أن ترك لجدك كثير من الأموال ونقل إليه ملكية الشقة والمتجر... رغم حزنه على الرجل إلا أنه شعر بالسعادة بعد أن أصبح من أصحاب الممتلكات ولم يعد عاملًا أو أجيرًا... واصل جدك العمل وواصل لقاءاته الليلية المخيفة وبدأ يشعر بوحدة واستوحش العيش وحيدًا ... ففكر فى العودة لأهله ونقل نشاطه التجارى إلى بلده ولكنه ما كان له أن يفعل ذلك دون استئذان الوحش الرابض فى انتظاره كل ليلة... سمح له بالانتقال إلى بلدته بكفر الشيخ مع الاستمرار فى خدمته وتلبية حاجاته... وبالفعل عاد إلى أهله رجلًا صاحب تجارة واشترى لنفسه بيتًا... واستمر فى ممارسة طقوسه ليلًا.. ولكنه كان وحيدًا داخل بيته الجديد أيضًا.. وأدرك دون مداراة أنه بحاجة للزواج... فعاود استئذان هذا الكائن الذى وافق مع تحذيره بعدم تخليه عن مسؤولياته كى لا تحل عليه لعنته... وبالفعل



تزوج جدك ابنة خاله (جدتك كما تعلم) ونقل أنشطته الليلية إلى قبو المنزل ينسل يوميًا من تحت الفراش متجهًا إلى القبو... في البداية لم تفهم جدتك ولكنه أقنعها بأنه يجرى تجارب ووصفات علاجية شافية للعديد من الأمراض مستغلًا تجارته في العطارة والأعشاب... أما فكرة جلب الحيوانات وذبحها وسلخها فاستعاض عن الخنازير بالقطط والأرانب ... وجعل هذا التغير تدريجيًا كي لا يلحظه هذا الكائن, وبالفعل نجحت خطته واستمر في تجارته نهارًا وأنشطته المريبة ليلًا حتى ذاع صيته في البلدة كمعالج جيد للعديد من الأمراض... ولانتشار الجهل قديمًا كان من السهل جدًا تصديق هذه الأمور وجعل صاحبها ذو منزلة رفيعة, أراك مندهشًا لقولي ذلك على جدك, في الحقيقة هو لم يكن نصابًا ولم يفعل ذلك من أجل المال ولم يسع إلى إيذاء الغير كما يفعل بعض المشعوذين, واستمر الحال بعد ذلك على نفس المنوال كان يحيا حياة كريمة ورزقه الله بي .. اجتهد في تعليمنا وتربيتنا واستمرت الأمور هكذا حتى عاد رجل آخر إلى القرية كان يدرس في الأزهر وأصبح مدرسًا للغة العربية في القرية وخطيبًا وإمامًا لأكبر مساجدها .. نشأت بين جدك وبين هذا الرجل صداقة قوية فكلاهما يحظيان بثقة واحترام أهل القرية.. وكان جدك يجل ويحترم هذا الرجل كثيرًا ويأخذ برأيه في شتى الأمور الدنيوية والأخروية.. وصارا صديقين متلازمين.. حتى سمعه ذات مرة في أحد خطبه الأسبوعية يتحدث عن الدجل والشعوذة ويقذف كل السحرة والمتصلين بالجان بالكفر...كانت صدمة كبيرة لجدك حين سمع ذلك ...لم يكن يومًا متدينًا لكنه لم يكن كافرًا بالله عز وجل... في البداية شعر بأن الرجل يبالغ قليلًا ولكنه بدأ يهتم ويسأل كثيرًا عن هذه الأمور حتى صار متيقنًا بأنه ما يجب الاتصال بهذه الكائنات السفلية لأن من يفعل ذلك ينال غضب الله سبحانه وتعالى ... في هذا الوقت كنت قد كبرت أنا وأخوتي والتحقت



بالجامعة ولم أكن ألقى بالًا لأنشطة والدى.. ولكنه فى هذا الوقت بدأ يدرك خطورة ما يفعله... تبدلت حياته تمامًا وكأنما امتلك فجأة عينين يرى بهما مصيره بعد الموت... ومع تقدم العمر شعر بأن المتبقى من حياته أقل كثيرًا من الذى فات وعليه أن يتخلص من هذا الكائن.. فبدأ عدم المواظبة على الطقوس المعتادة واستحضار هذه الكائنات وتوترت الأمور حتى اجتاحه الرعب من فرط الغضب الذى سببه لهم... ورغم فزعه من هذا الكائن إلا أن فزعه كان أكبر من مصيره بعد الموت... فى هذا الوقت ارتبطتُ بوالدتك والتى كانت جارة لنا فى البلدة واتفقنا على الزواج بعد تخرجى مباشرة .. كنت فى أسعد أيامى بينما والدى يعيش أسوأ أيامه... لم أدرك وقتها ذلك ولكنه حكى لى كل شىء تفصيلًا فيما بعد... كنت قد تزوجت وانتقلت للعمل فى القاهرة وساعدنى والدى كثيرًا فى هذا الزواج، بينما هو على وشك اتخاذ قرار مصيرى بالامتناع التام عن تلك الطقوس بعدما أثار غضب هذا الوحش أكثر من مرة بالتأخر فى تلبية حاجاته.. وفى أحد الأيام اشتد المرض بعض الشىء بجدك فارتعد وخاف أن يلقى الله بهذا الذنب.. فاتخذ قراره النهائى بحرق كل الكتب التى أعطاها إياه الإفريقى وعدم ممارسة أيًا من الأعمال الليلية مهما كلفه هذا الأمر... وبالفعل قام بذلك وشعر براحة كبيرة لم يشعر مثلها من قبل وقد تاب وأناب إلى الله عز وجلّ، وكان ما يعكر صفو حياته هو رؤية هذا الكائن فى كوابيسه يهدد حياته وينذره بالويل إن لم يعد إلى سابق عهده، لكنه كان يصحو حامدًا لله على نعمه التى وهبها له وأنه لارجعة فى قراره... حتى جاء يومٌ فاصل ذات مساء بينما جدك عائد من العمل حتى سمع أصواتًا غريبة قادمة من القبو لم يدرِ سببها.. ابتلع ريقه فى خوف وهو يبسمل ويحوقل.. اتجه إلى القبو وأضاء مصباحه من الداخل وأحكم إغلاق الباب



بعد دخوله كما كان يفعل ليجد الوحش منتظرًا إياه وقد زاده الغضب قبحًا على قبحه فقال لمنصور بصوتٍ كالفحيح:

- هذه الأرض أرضنا ويومًا ماستعود إلينا كاملة ونعود إليها دون معين سنكون أسيادها وورثتها, فقط أعواننا هم من سيأمنون شرنا حينئذ وكنت أحدهم ولكنك اتخذت القرار وحدك يا منصور وخنت العهد الذى قطعته على نفسك وخنت الثقة التى وليتك إياها.. بعد أن اخترتك وجعلت الإفريقى يشركك فى أمره.. نعم أنا من طلبت منه ذلك بعد أن علمت بدنو أجله.. كان لابد لشريك كى يحمل السر ونوليه رعايتنا ويكون فى خدمتنا, وبعد كل ما فات وكل الخدمات التى قدمناها لك تظن أنه يمكنك الإفلات من العقاب؟
- فلتفعل ما تفعل حتى وإن قتلتنى ولكنى لن أعود إلى هذا الهراء

صدر من هذا المخلوق صوت غليظ متقطع, فهم جدك أن هذا المخلوق يضحك من كلامه ويستهزأ به فاتبع تلك الضحك الشنيعة بقوله متهكمًا:

- نحن لا نقتل يا منصور... القتل يرحم من نغضب عليه ونحن لا نرحم.. لقد كنت تخدمنا طوعًا خدمات بسيطة لا تذكر ونقدم لك العون فى المقابل.. أما الآن فستخدمنا كرهًا وتقدم لنا ما هو أكبر من هذه التفاهات ... كنتُ أجىء إلى عالمكم بناءً على رغبتكم أما الآن فأنت من سيأتى إلى عالمنا وترى الأهوال التى لا قِبَلَ لك بها وستندم على مهل.. سنترك لك حياتك تعيشها كما تشاء أما منامك فهو مِلْكٌ لنا وهو بوابتك للدخول إلى عالمنا وستعبر تلك البوابة سواء شئت أم أبيت و نومك هو بوابتنا للعبور إلى



عالمك.. سنتبادل الأدوار رغمًا عنك مادمت ترفض استحضارنا لهذا العالم طواعيَّة وترفض خدمتنا على هذه الأرض.. الشياطين والمردة فى عالمنا هم رفقاؤك الجدد وهم بئس الرفقة بالنسبة لجسدك الفانى الواهن هذا... ستتجول الشياطين كل ليلة فى أحلامك وسيسكنون خلايا عقلك..ستخوض تجارب غريبة وترتاد عوالم أغرب وتقابل من ينتمون لعالمك ومن لا ينتمون, ستراهم يتلقون العذاب صنوفًا وألوانًا, ولن تجرؤ على المساعدة, ستغمض عيناك وتتمنى لو فقأتها وهى مقبلة على رؤية ما يشيب له الفانون أمثالك, ستتمنى لو لم تولد وتتمنى لو بإمكانك قتل نفسك ولن تفعل, ستتمنى لو لم يتقابل أبويك, لو لم تأتِ إلى هذه الدنيا التى قادتك إلى عالمنا.. ستندم ولن نغفر.. فالعفو والغفران ليسوا من صفاتنا يا منصور.. ستصيبك لعنتنا أنت وكل ذريتك من الذكور من بعدك.. فلا تلومن إلا نفسك... لأنك أنت من فعلت ذلك بها.

عند هذا الحد توقف الأب عن الكلام وهو يذرف دموعه بغزارة.


ساحر الكتب



وما فائدة الدنيا الواسعة إذا كان حذاؤك ضيقًا

جون وليامز





لم يجرب عماد هذا الشعور من قبل قط , شعور أن تفقد عزيز عليك ولا تعرف مكانه أو سبب غيابه, طالما بدا واثقًا عنيدًا مشاكسًا أحيانًا, تلك الصفات التى ورثها عن والده وازدادت بروزًا بعد التحاقه بكلية الشرطة, فى بداية عمله كضابط شرطة رأى الكثير من المواطنين يقدمون بلاغات باختفاء ذويهم وكان الحزن العارم والقلق الذى لا حد له عاملان مشتركان بينهم جميعًا, فى البداية كان يتعاطف معهم ويتأثر لحزنهم ويحاول بذل أقصى ما فى جهده للعثور على ذويهم وبذل أقصى طاقته لتهدئتهم ولكن بمرور الوقت صارت هذه الوقائع والبلاغات أمور روتينية معتادة.. ففى كل الأحوال سيقوم بدوره على أكمل وجه لمحاولة إيجادهم أو إيجاد تفسير منطقى لسبب اختفاءهم, لكن بعد اختفاء سليم ووقوع جيهان أخته فى هذه الهوة السحيقة من الحيرة والقلق عاد يدرك من جديد ما كان يعانوه أهالى المفقودين والغائبين.. فبجانب معزة سليم واعتباره له بمثابة الأخ الأكبر وفقدانه وقلقه عليه بشكل شخصى كانت هناك تلك المعاناة التى يراها فى عيون جيهان, فهو لم يرها أبدًا هكذا.. كانت دائمًا صلبة صامدة, تعالج أمورها بصبر ومثابرة أما الآن فنظرة العجز فى عينيها جلية.. شعوره هو شخصيًا بعدم القدرة على مساعدة أقرب الناس إليه أزال من صدره الكثير من الثقة التى منحته إياها ارتدائه للزى العسكرى وما يصاحبه من الهيبة والسلطان اللذان يكتسبهما صاحب الزى وكذلك ما يترتب عليه من إصدار أوامر وتعليمات وما يقابله من طاعة مرؤوسيه ورهبة فى عيون الكثيرين لم يفرضها ولم يطلبها ولكنها الهالة التى تحيط بأى ضابط يعمل فى الشرطة.



لاتزال ضحكات سليم وكلماته ترن فى أذنه, فى الفترة الأخيرة لجأ إليه سليم كثيرًا بغرض مساعدة بعض أصدقائه كما ذكر سليم له بعضهم فى القاهرة وبعضهم فى الإسكندرية, فقد طلب مساعدته فى حل لغز إحدى الجرائم التى وقعت فى الإسكندرية, لأن الضحية تنتمى لعائلة كبيرة وسليم هو الطبيب المعالج لأفرادها المقيمين فى القاهرة.. الغريب أن عماد لم يسأل نفسه يومًا ما علاقة طبيب نساء بهذه الأمور؟ ولماذا يتوسم فيه الأخرون مساعدتهم؟ ولماذا يروون له من الأساس شؤونهم الخاصة؟ ولماذا يتعامل معها سليم بهذا الاهتمام؟ هل هم بهذا القرب منه الذى يسمح لهم بتجاوز حدودالمتابعة الطبية لما هو أبعد؟ كان سليم نفسه مهتمًا جدًا بهذه المواضيع بشكلٍ غير مسبوق كما لو كانت تخصه هو شخصيًا..كل ذلك جعل عماد يتيقن بحسه الأمنى أن اختفاء سليم وغيابه بهذا الشكل ليس مصادفة ولكن يبدو أن سليم فى الفترة الأخيرة ورط نفسه فى مشكلةٍ ما.. لم يفهم عماد سببًا لهذا التغير فى حياته .. فيكفى سليم ما وقع له فى الفترة الأخيرة من ابتلاءات.. فلِمَ يجلب لنفسه المزيد من المشاكل ولِمَ يورد نفسه فى المهالك؟ كل ما يتمناه عماد الآن هو سلامة سليم وعودته لأهله وكانت الأسئلة التى تتردد فى ذهن عماد مثيرة محيرة .. تُرى أين أنت يا سليم؟ ومتى ستعود؟ وهل ستعود هذه المرة؟


ساحر الكتب



إلهى أنا ما قتلت وما غدرت, ولم أرتكب الفحشاء, ولم أدنس شيئًا مقدسًا, ولم أغتصب مالًا حرامًا, ولم أنتهك حرمة الأموات.. أنا طاهر, أنا طاهر, أنا طاهر, ومادمتُ بريئًا من الإثم, فاجعلنى يا إلهى من الفائزين

كتاب الموتى (الخروج فى النهار)

نصوص مصرية قديمة



(11)

عند هذا الحد توقف الأب عن الكلام وهو يبكى ويذرف دموعه بغزارة, أما منصور الابن فشعر فى برهة بعودته فجأة إلى أرض الواقع بعدما كان منصتًا لقصة أشبه بالحواديت والأساطير لو كان سمعها من أحد لأدرك مدى اتساع خياله ولكن لأن الراوى هو والده فلا مكان للشك, جملة واحدة هوت به إلى الأرض هى (ستصيبك لعنتنا أنت وكل ذريتك من الذكور من بعدك), أدرك بعدها لماذا كل هذا القلق والهم الباديان على وجه أبيه, وأدرك بعدها أيضًا حجم المصيبة التى يعيشها والده.. والتى سيبدأ دوره فيها إن آجلًا أو عاجلًا.. أفكار كثيرة متناقضة تتلاحق وتتزاحم فى عقله الذى ود لو أفرغ ما بداخله ليعود كما كان قبل هذه الجلسة ولكن بالطبع لم يكن بوسعه ذلك.. قطع حبل أفكاره صوت أبيه من جديد هادئًا هذه المرة:

- حين سمع جدك هذا الكلام .. كنت أنا وأمك متزوجين منذ عدة أشهر وفى انتظار قدومك بالطبع لم أكن أعلم وقتها شيئًا مما قصصته لك ... وجدك نفسه فى البداية لم يصدق هذا التهديد.. حاول إقناع نفسه بأنه لا سلطان لهذا الكائن عليه وأنه مجرد تهديد بكلام غير معقول ... ولكن ما المعقول الذى تنتظره من هذه الكائنات .. استدعاءهم من الأساس لم يكن معقولًا والتعاون معهم لم يكن معقولًا .. فلِمَ التمسك بالمنطق والمعقول وأنت أول من خالفته.. لساعات طويلة بقى جدك مصدومًا مما حدث.. واستبد به القلق والصداع الذى اكتنف رأسه منذ سماع هذا التهديد ووصل به الحال إلى الشعور بالهلع من النوم وأن ينفذ



هذا الكائن تهديده... مرت 4 ليالٍ عليه دون نوم, ساهرًا متيقظًا مستعينًا بأكبر كمية ممكنة من المنبهات كالشاى والقهوة حتى المواد المحظورة ولكن لا طاقة لبشر بهذا سيأتى النوم لا محالة, ووقتها أدرك فداحة وشناعة ما ارتكب من جرائم بحق نفسه..

- ولأن جدك بقى بدون نوم أطول فترة ممكنة, فقد نام بعدها لأعمق فترة ممكنة ولكنها كانت أطول وأسوأ ليلة فى حياته, رأى فيها الأهوال التى لا يمكن لبشر تخيلها ولا تحملها.. رأى التهديد الذى لوح به هذا المخلوق ولم يتخيل أبدًا أن يكون العقاب بهذه البشاعة وهذه القسوة .. عذاب أبدى متنوع ومزيج من صنوف التنكيل المادى والمعنوى عقابًا له على مخالفته العهد معسفراء الجحيم الذين اختار التعامل معهم بمحض إرادته.. تبدلت حياته وساءت أحواله وأهمل تجارته, لم يفهم الكثيرون من حوله سبب ذلك..

قطع حديثه سؤال مفاجئ من منصور:

- وأنت يا أبى متى علمت بكل هذه الأمور؟
- قبل أن يغادر جدك عالمنا بشهور.. كانت قد تغيرت أحواله تمامًا فى الفترة الأخيرة من حياته.. صامتًا شاردًا أغلب الوقت, حتى عندما أخبرته بقدومك لم يفرح الفرحة المتوقعة لحفيده الذى يحمل اسمه.. بالطبع لم أفهم وقتها السبب, ولكنى عرفت فيما بعد.. حين اشتد به الوهن وشعر بقرب رحيله...دعانى لأمرٍ عاجل كما أخبرنى.. وحكى لى ما سمعته أنت الآن بنفس التفاصيل التى ذكرتهالك مرارًا وصرت أحفظها عن ظهر قلب مع كثير من الأسف والأسى لتلك اللعنة التى أورثنى إياها.



فقال منصور بصوتٍ مختنق:

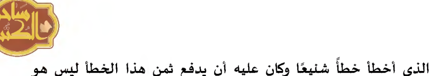
- وأنت الآن تحمل هذه اللعنة كل ليلة؟

- أجل يا بني

- لذلك تنام وحدك دائمًا في غرفة منفصلة ولنفس السبب صرت الابن الوحيد لك؟

- نعم يا بنى لا أحد يتحمل النوم مع جسد يعانى كل تلك الآهات والأنَّات أثناء نومه كل يوم ... ولم أرغب فى جعل المزيد من الأبناء يعانى هذه اللعنة.. لا أدرى ما يمكننى قوله معهذه المصيبة التى أحملها لك... طالما تمنيت لو أن بإمكانى تغيير هذا المصير ولكنها حقيقة لا مفر منها... الموت قادم لا محالة...وإنى أشعر بدنو الأجل أكثر من أيّ وقتٍ مضى ربما يمهل الله فى عمرى المزيد وقد لا يحدث وتكون أيامى بجوارك معدودة.. ولكنى فى كل الأحوال راحل ولا أريد أن تشهد هذه الكوابيس بعد موتى ولا تفهم سرها... سامحنى يا بنى سأحاول فى أيامى القليلة المتبقية أن أنقل إليك بعض ما رأيته وهو على صعوبته سيهون عليك الكثير.. حتى إذا ما حانت ساعتى وانتقلت إلى جوار ربى وجاء الدور عليك تتذكر كلماتى لعلها تخفف من هول ما ينتظرك. الأمر خطير والقواعد كثيرة واللعبة لا تتوقف ولا تنتهى لأن زمامها ليس بأيدينا, وأنا مجرد دمية تئن ليس لها القدرة على تغيير المصير.

بعد هذا اليوم لم تعد الحياة بعده كما كانت قبله.. قدر جديد ومصير أسود كان بانتظار منصور.. لا زواج.. لا أبناء كى لا يحملوا هذه اللعنة من بعده وليكن هو أخر من يحمل هذه اللعنة وأخر من يتحمل خطأ الجد



الذى أخطأ خطأً شنيعًا وكان عليه أن يدفع ثمن هذا الخطأ ليس هو وحده, بل وذريته الذكور من بعده. أى خطأ ارتكبه أو ذنب اقترفه كى ينال هذا العقاب؟! لا شيء.

حياة بائسة يسودها اليأس والإحباط تلك التى عاشها منصور بعد هذا اليوم, بريق كان يلمع فى عينيه صار يخبو.. طال ليله وأُقِض مضجعه, فقد كثيرًا من وزنه, تراخى جسده الممشوق, وتراجع اهتمامه بمظهره, صار لا يربطه بالعالم الخارجى سوى ذهابه للعمل الذى التحق به فى أحد البنوك... ولشدة يأسه صارت جملة واحدة تتوارد على ذهنه مرات ومرات يوميًا سمعها قديمًا من أحد أساتذته كان يظنها كناية عن التشاؤم ولكنه يعتقد بأنها حقيقية وعميقة بعض الشيء ألا وهي "من الأفضل لبنى البشر ألا يكونوا قد وُلِدوا قط, أما إذا حدث ووُلِدوا, فلا خير لهم سوى أن يرحلوا بأقصى سرعة ممكنة عائدِّين إلى حيث قد جاءوا".

بقى منصور هادئا وحيدًا صامتًا, مبتعدًا عن كل من يحاول الاقتراب منه.. وحدها منال زميلته فى العمل والتى تكبره بعامين ولكنها مطلقة هى من تثير اهتمامه بجمال طلتها وخفة دمها وأنوثتها الصارخة والتى تحاول جمحها والسيطرة عليها قدر المستطاع.. بشرة من فرط نعومتها تكاد تكون شفافة, بياض حليبى يتشرب بحمرة مع أى انفعال لوجهها, جبين مشرق وأنف دقيق, شفتان تنتظران أن تتفوه بما لا يمكن سماعه سوى من أخرتين عاشقتين, إنها واحدة من أولئك الحسناوات اللاتى لا تصدق بوجودهن ما لم تراهن رأى العين واللاتى تصير رؤية إحداهن ضارة جدا بالقلب والعين والصحة ما لم تكن ملكك, وعندها ستدرك كم أنت محظوظ أن منحتك الحياة إحدى حورها الندراوات.



كانت غير باقى الزملاء والزميلات لها حضور طاغى يفقد أمامها منصور اتزانه وثباته.. يتلعثم ويتلجلج كلما هم بالحديث معها كما لو كان طالبًا مراهقًا لا يمكنه السيطرة على نفسه أمام فتاته , فى الوقت الذى كانت تحاول فيه هى بث الهدوء والطمأنينة له لما تعرف عنه من انعزال وهدوء.. حتى انتقل والده إلى جوار ربه وانقطع عن العمل لأسبوع متواصل لتبدأ مهمته فعليًا مع هذا العالم, وحين علم زملاؤه بالخبر.. زاروه لتقديم العزاء ووجدوه فى أسوأ حالٍ ممكن, طويل الذقن, منكوش الشعر, هالات سوداء تعلن عن نفسها بقوة أسفل عينيه حتى صوته صار مبحوحًا ورائحة الشقة خانقة, يبدو أنه يعانى أشد المعاناة.. حاولوا الشد من أزره ومواساته وحثه على العودة إلى العمل... ولكن ما أدهشه هو إصرارهاعلى الحضور مع مجموعة من زملائه الرجال رغم غرابة الأمر.. وحين عاد إلى العمل كانت أكثر من يحاول التخفيف عنه والتقرب منه.. لم يكن باستطاعته المقاومة مع قسوة ما يشهده فى أحلامه ولكن علمه باستحالة أن يحيا حياة طبيعية كان حائلًا بينه وبينها.. حتى علم بالصدفة من زميل له بأن سبب انفصالها عن زوجها عو عدم قدرتها على الإنجاب.. كان هذا الخبر كفيلًا بتغيير تفكيره ولكن كان ينقصه دراسة جيدة للأمر وشجاعة اتخاذ القرار.

لم يستمر تأجيل اتخاذ القرار طويلًا فعلى الرغم من قسوة الظروف التى وُضع فيها وفرضت عليه وعلى خططه كثير من التغيرات.. إلا أنه أولًا وأخيرًا إنسان له متطلباته العاطفية والجسدية والتى مهما حاول فلن يستطيع كبحها أكثر من ذلك.. خاصة وأن الطرف الأخر يمد له الجسور للتواصل ويمهد أمامه الطرق ولا يبقى له سوى اتخاذ المبادرة والاعتراف بالمشاعر والتى هى فى المقام الأول فى مجتمعنا من شأن الرجل.. وكيف لرجل مهما



بلغت ظروفه ومهما بلغ صموده يمكنه مقاومة أنثى رقيقة بهذا الجمال كوردة تتفتح كل يوم ونجمة ساطعة تتلألأ كل مساء؟ من ذا الذى يقاوم هذه العيون التى تفصح عن حبٍ مكنون وتعد بلذة لا مقطوعة ولا ممنوعة لامتلاك قلب لا يتصور حبيبًا غيره.. كان منصور يتساءل هل هى هدية القدر لتعويضه عن المأساة التى يحياها والتى لم يكن له يدٌ فيها وإنما اضطرته اضطرارًا وأجبرته إجبارًا لكبح جماح أحلامه بل والتصدى لها؟ ولكن منال غيرت كل هذا بعد أن أمتلأ قلبها بحبه فهى من الوهلة الأولى معجبة به ولها أسبابها التى لم ولن يعلمها منصور فهو من البداية يذكرها بزميل قديم لها فى الجامعة, الشبه بينهما كبير.. كانت البنات يهمن به حبًا.. وقتها كانت منال احدى معجباته ولكن لم يكن بمقدورها الاعتراف أو حتى التلميح بهذا الإعجاب لأنها ستكون مجرد فتاة جميلة تنتظر فى طابور طويل رهن نظرة منه.. فاضطرت لدفن بذرة الإعجاب هذه ومَنَّت نفسها بأنها ستلقى يومًا من يبادلها الإعجاب وتكون حبيبته الأولى والأخيرة التى لن يرى سواها ولا يكترث لغيرها ويبقى ملكها وحدها حتى قابلت الرجل الذى تزوجته كان يعشقها ويعرف قيمتها ولكنه كان يتمنى هو وأهله أن يكلل زواجهما بالأطفال ولكن الأقدار حرمت الزوجين من هذه النعمة بعد أن زارا العديد من الأطباء والذين أخبروهما بصعوبة حدوث حمل بسبب مشاكل فى الرحم.. فكان زوجها دائم الشكوى والتأثر من هذا الأمر أما أهله فكانوا أكثرة حدة فى التعامل معها ووصلت الأمور إلى معايرتها بعدم قدرتها على الإنجاب.. كل هذه الأشياء جعلت استمرار زواجهما دربًا من دروب المستحيل حتى وقع الإنفصال وقد رضت هى بما قسمه الله لها.. فعادت لمنزل والدتها ومن ثم طلبت نقلها لأحد فروع البنك القريبة من سكنها.. وبالفعل انتقلت إلى الفرع الذى يعمل به منصور.



فى البداية أعجبها هدوءه ووقاره وقدر من الوسامة لا ينقصه سوى الاعتناء به جيدًا وأثارت انطوائيته فضولها حتى تحول هذا الإعجاب والفضول إلى اهتمام خاص حاولت مداراته ولكن شيئا ما كان يدفعها دفعًا لاقتحام حياته وللتعبير عن إعجابها به بشتى الوسائل المعنوية, وكان منصور يتلقى كل محاولة بدرجة من الحذر كانت تقل مع تكرار المحاولة حتى تحطمت حصونه وانهارت سدوده ووقع هو الآخر أسير هواها ولم يعد يفصله عنها سوى قرار بعد تفكير عميق.. هو لديه كارثة لا يمكن إطلاع أحد عليها وهى لديها نقطة ضعف لا يمكن غض الطرف عنها.

وفى أحد الأيام بينما منال جالسة على مكتبها تمارس عملها إذا بها تجد منصور واقفًا أمامها يحاول جاهدًا تثبيت ابتسامة ثقة على وجهه, تلك الابتسامة التى كان فقط ينقصها ابتسامتها كى تكتسب القلة القليلة الباقية من الثقة المفقودة, وبالفعل لم تبخل عليه بها بل كانت أجمل ابتسامة يمكن تخيلها من هذا الوجه المضىء ذى الوجنتين الناضرتين الشهيتين لا يشوبهما أى تدخل من مساحيق التجميل. حياها منصور وطلب لقاءها بعد العمل لمناقشة أمر شديد الأهمية كما أخبرها.. بالطبع أدركت هذا الأمر ولكنها تظاهرت بعدم الفهم, وافقت على طلبه حتى أنهيا عملهما واتجها سويا لأحد الكازينوهات الهادئة القريبة من البنك.. لاحظت مدى اهتمامه بمظهره فى هذا اليوم واختياره لألوان ربيعية زاهية ومتناسقة تُظْهِر تناسق جسده وقوة بنيانه مع طوله غير الزائد عن الحد.. وما إن جلسا حتى دخل مباشرة فى الموضوع واعترف لها بحبه وإعجابه بها وبأنه يتمنى الارتباط بها وسيكون الأسعد لو وافقت على طلبه.. وبرغم تخمينها سبب طلبه لقاءها وتوقعها لكل كلمة إلا أن وقع الكلمات عليها كان مفاجئًا لها شخصيًا.. فارتبكت بالفعل وبرقت ثناياها وزادها الخجل



جمالًا فوق جمالها.. وصار وجهها شديد الحمرة.. لم تتمكن من الكلام ولكن نظرتها وابتسامتها الخجولة تفيان بالغرض.. تأكد منصور من القبول فضغط أكثر ليسمع الإجابة بصوتها.. حاولت الكلام فخرج غير مرتبًا... حاولت التماسك وما أن تمكنت من ذلك حتى قالت فى مزيج من السعادة والقلق:

- هناك شيء لابد أن تعلمه أولًا يا منصور, أنا أواجه صعوبة فى الإنجاب والأطباء أخبرونى بأن الأمومة حلم بعيد المنال بالنسبة لى.. وأنت من حقك أن..

قاطعها منصور وقال فى حسم متظاهرًا بالجدية:

- أعلم ذلك يا منال وفكرت فيه كثيرًا قبل مفاتحتى لكِ فى هذا الموضوع, أنا أريد أن أحيا حياة هانئة سعيدة وموقن بأنك قادرة على إسعادى وإرضائى وهو هدفى أنا أيضًا أن تنعمى معى بحياة هادئة جميلة, سنتجاوز هذا الأمر معًا .

كانت نظراتها له تحمل أسمى معانى الحب والتقدير خاصة بعد هذا الكلام, أما هو فلم يصدق بأنه قادر على التماسك والتظاهر باستغناءه عن حقه فى الإنجاب إلى هذه الدرجة, فلم يكن ليخبرها أبدًا بأن هذا هو السبب الأهم فى الارتباط منها بجانب الإعجاب المتبادل بينهما.. بعد هذا اللقاء كان كلاهما غارقًا فى بحر من السعادة حتى أذنيه, فقد رأت فيه تعويضًا عن حياتها وزواجها الأول وهو رأى فيها هدية من السماء لإضفاء بعضًا من السعادة على حياته البائسة.. تعددت لقاءاتهما بعد هذا اللقاء واتفقا على كل التفاصيل الخاصة بارتباطهما بعد التشاور مع والدتها التى رحبت وسعدت بمنصور أيما ترحيب آملة هى الأخرى بأن يكون خير



تعويض لها عن زواجها الأول.. تمت إجراءات الخِطْبَة التى استمرت لأشهر قليلة بمباركة الزملاء والأقارب..وقتها شعر منصور بأن الأيام ابتسمت له قليلًا لتخفف عنه بعض العناء الذى يعانيه فى عالم آخر لايدرى عنه أحد شيئًا وظلا فى انتظار إعداد مسكن الزوجية فى بيت منصور وتجهيزه بالشكل اللائق لعريس وعروسته وما أن تم الانتهاء من تجيز السكن حتى حددا موعدًا للزفاف, والمشكلة الأكبر التى واجهت منصور هى كيفية إقناعها بنومه فى غرفة منفصلة عنها.. كانت هذه النقطة بالتحديد تؤرق ذهنه, وواجه صعوبة كبيرة فى الخروج من هذا المأزق فما من عروس ستقتنع بأى عذر لمبيت زوجها خارج غرفة نومه فى أول يوم زواج.. لذا جاهد كى يبدو مقنعًا قدر الإمكان وهو يخبرها فى لقاءاته بها قبل إتمام الزواج بأنه يعد غرفة نوم ثانية, وحين سألت عن السبب فى توجس أجابها بشىء من التردد بأنه يعانى من مرض أقرب إلى الصرع يسبب له بعض التشنجات أثناء النوم, وأنه لايريد إزعاج ملاكه النائم لأنه اعتاد هذا الأمر.. حاولت إثناءه عن هذا وطلبت منه زيارة طبيب ورحبت فى إخلاص بألا يقلق من ذلك فهى تود أن تكون بجانبه لتخفف عنه وتساعده ولكنه كان حاسمًا بأنه قرار نهائى.. اندهشت كثيرًا لهذا الأمر الغريب لكنها لم تكن لتغضبه والتمست له الأعذار بداخلها حتى حل موعد الزواج واحتفلا وسط جمع قليل من الأصدقاء والمعارف ليبدأ فصل جديد فى حياة منصور التى تُسَيِّرُهَا الأقدار على غير وتيرة واحدة.



أوه! أوه! قم يا أخى

خذ رأسك واجمع عظامك!

واجمع أطرافك, وانثر الغبار عن جسدك!

وقف أمام الأبواب التى تحجب عامة الناس!

سيأتى لك حارس الباب, ويمسك بيدك

سيأخذك إلى أهلك

ويفرحون بحضورك ويعتنون بك

سينتظرك المشاهدون ويقدمون إليك المشرب

قم يا أخى, فإنك لن تموت!

نصوص الأهرام (نصوص مصرية قديمة)

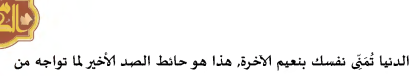


(12)

ما أطول الوقت وأثقله في عالم الأوجاع هذا.. الثواني والساعات والدقائق هنا تتعاظم لتغدو سنوات وعقود وقرون معلنة عن ظهور وحدات قياس زمنية جديدة متناهية الصغر لدرجة تبدو معها الفمتو ثانية دهرًا.

فالملل هنا ليس ضيفًا بل صاحب مكان, فهو في عالمنا ذلك الكائن المتخفى الذى يفسد حياة الكثيرين كعقاب مستحق للكسالى وضيف ثقيل على المبدعين الذين ما يلبثون أن يطردوه شر طردة ليصيب البشر العاديين مُخَلِّفًا وراءه العديد من الضحايا, تساءلت بداخلى ذات مرة بعد أن أضنانى السأم ما هو مصير الملل بعد زوال الدنيا؟ البعض يظن أن مصيره الفناء وإن كنت أظن أن الجحيم لن يكتمل بدونه, ويبدو أنى كنتُ محقًّا.

وجعٌ نفسىٌّ دائم يسيطر على الحاضرين هنا, لا أمل فى الشفاء منه, الوقت المتبقى لك عظيم مهما قَلّ, ستتمنى لو لم توجد من الأساس... ستتجرع الألم كأسًا وراء كأس فى خضوعٍ تام, لا سبيل للمقاومة فهى نفسها مستسلمة تمامًا, فهمت الآن لماذا تسيطر تلك اللامبالاة على الجميع, كل من يئس من العودة لا يحاول أن يحيا, فهو يعرف إنها رحلة شقاء ألقته الأقدار بِركّابِهَا وكل الرفقاء فى هذه الرحلة أشقياء كذلك, فما الداعى لتتعرف وتتشارك أوجاع الأخرين, فالمصيبة هنا واحدة مقارنة بمصائب الدنيا... مصيبة لن تنتهى إلا بانتهائك.. إذن فليكفيك ما أنت فيه, فلا طاقة لبشر فى عالمنا على تحمل تلك المعاناة الأبدية.. فى عالمنا نحن نحيا بالأمل حتى وإن قَلَّت نسبته و إن غابت أماراته... لابد وأنك ستحتفظ بقدر ضئيل منه يبقيك على قيد الحياة, وإن تلاشى الأمل فى



الدنيا تُمَنِّي نفسك بنعيم الآخرة, هذا هو حائط الصد الأخير لما تواجه من شدائد وصعائب في دنياك. ولكن هنا فالأمل ضيف ثقيل غير مرغوب فيه, لذا لا يبقى طويلًا.

عرف اليأس طريقه إلينا أنا وصفاء, فالدقائق تمر نحسبها ساعات والساعات تمضي كأنها أيام ولا أي بشائر في الرجوع, تَيَقَّنَّا أننا ميتين, وكدتُ أبتسم لهذه الدعابة القاسية, أنا أشهد موتى من هذا العالم, أرى دموع جيهان وسلمى وهما يبحثان عني ولا يجداني... أشد ما يحزنني أني رحلت عنهما دون وداع, دون عناق, دون نظرة أخيرة تقول الكثير مما يعجز عن قوله اللسان. عناق أخير صار أغلى أمنياتي ولكن هيهات .مكثت على هذا الحال طويلًا أفكر في مصير أهلي وحالهم بعد رحيلي.. كيف يكون الوضع حين يتيقن الجميع من وفاتي؟ سيحزنون لبعض الوقت, ستبقى هذه نقطة ضعف في حياة ابنتي أن تشب يتيمة دون والدها الذي فارقها وهي في سن صغيرة.. هل ستتذكرني فيما بعد؟ أم ستكتفي بحكايات والدتها عني إذا تذكرتني هي الأخرى؟ مساحات الحنين تمددت واستطالت لتحتل كل ذرة من كياني هنا, ذكرياتي القريبة والبعيدة استحالت لسهام تنغرز في قلبي, أوقاتًا عصيبة مرت ظننتها لن تفنى أبدًا.

ولكن لم يقطع أفكاري السوداء هذه سوى صدى يتردد قادم من الفراغ ليملأ الفراغ بصوتٍ لا يمت للبشر بصلة ولكنه وياللغرابة يحمل اسمي.. سليم مصطفى البشري.. انتبهت ولم أفهم حتى التمعت عيون حسن وصفاء, فبدأت أفهم أني سأعود لعالمي, لأهلي وبيتي وعملي.. أني سأنجو.... هل رأيت سعادة مريض السرطان عندما يبلغه الأطباء بالشفاء؟ هل رأيت سعادة عاشقين اجتمعا بعد سنوات من الفراق؟ هل رأيت سعادة أُمّ برؤية وليدها؟ لقد تجاوزت فرحتي ذلك بمراحل, كدت أطير فرحًا لولا أني



شاهدت دموع حسن وصفاء تهمران غير أنهما يحاولان الابتسام وتغالبهما الدموع ... بكيت أنا الاخر وكأنى سأفارق أهلى ووطنى... غريب هذا شعرت بمرارة لفراقهما ووضعت نفسى مكانهما, تُرى ماذا سيكون شعورى لو كان النداء لأحدهما؟ لا منطق هنا فالاحتفاظ بعقلك فى هذا المكان هو إنجاز لا طائل منه ولا جدوى فيه.... احتضنانى بشدة ثم دفعانى قائلين:

- هيا لا تعد هنا ثانية... أحرص على ذلك

كان الموقف عسيرًا أن تفارق رفقائك بهذه السهولة وتركهم فى هذا العذاب دون أن يكون هناك طريقة لمساعدتهم, تمنيت لو أن بيدى اصطحابهما.. أعلم أن ذلك مستحيلًا وهما يعلمان قبلى أن ذلك غير متاح.. تقدمت بخطواتٍ متثاقلة وأنا أفكر كيف سأترك حسن بِطَلَّتِهِ الطفولية وصفاء بوجهها الملائكى وحينها سمعتُ اسمى بصوت رقيق عذب حفظته عن ظهر قلب هو صوت صفاء وهى تنادي:

- دكتور سليم ... فنظرتُ للوراء وإذا بها تقول باكية " حين تعود و إذا قُدِّرَ لك أن تتذكر هذا المكان فاحرص على أن تجدنى.. أقصد أن تجد جثتى"

كانت هذه الجملة هى الأصعب نظرتُ لحسن فلم يكن أحسن حالًا من صفاء ثم تردد هذا الصوت الغليظ الغير أدمى مرة أخرى, فأسرعت خطواتى وأنا أحييهما بيداى وهما كذلك.

اتجهت إلى السرداب عائدًا إلى نفس المكان الذى جئت منه, وجدت حبلًا يتدلى فتشبثتُ به وأنا أحاول الصعود... سمعت أصواتًا كثيرة متداخلة لم أتبينها, وبعد أن بدأت فى التسلق, شعرت بفقدان الاتزان, لا أريد أن أبقى



هنا ولكن قواى تخور فجآة وأصبحتُ غير قادر على الحركة, نظرت لأسفل فوجدت وجه يتمتم بكلمات ناظرًا إلىّ.. صاحب الوجه لم يكن موجودًا من قبل ولم أره هنا قبل ذلك, ولكنه وجه أظن أنى أعرفه.. لا أذكر الآن أين رأيته من قبل تشبثت بالحبل أكثر بعدما زاد الدوار, عينى لم تَعُد تعمل كما اعتادت ولكن أذنى التقطت جملة أخيرة بصوتٍ متقطع من صاحب الوجه المألوف وهو يقول " أفهمتتتتت الآاان لماذا قلت لك بأنه نـــــجـــــا؟ أرااأيـــــــــت بنفســـــــــك؟ "

ثم سقطت أرضًا وأنا أغوص فى غياهب اللاوعى.

لا أعلم كم مضى من الوقت ثوانى أم دقائق أم ساعات ولكنى ميزت بعض الأصوات بعد أن عاد وعيى تدريجيًا... شعرت وقتها بآلام لا حصر لها فى كل موضع فى جسدى, حتى أنى غير قادر على رفع جفناى ولكن أُذنى هذا الجندى الصامد المُصر على القيام بعمله لأخر رمق سمعت بعض الكلمات مثل "الله أكبررر... مااء بسرررعة... إنه يتنفس" بجانب نباح مستمر لعدد من الكلاب, بالطبع لم أتعرف على أصحاب هذه الأصوات... فتحت عيناى ملليمترات بجهد بالغ فتسلل شعاع الشمس إليهما لأغيب فى إغماءة جديدة, لا أعرف كم دامت وحين عاد إدراكى ثانيًة سمعت جمل مثل (الحمد لله كُتب له عمر جديد, أكثر من 70 ساعة دون ماء أو طعام تحت الأنقاض, لقد فقدنا الأمل فى العثور على أحياء) وحين ابتعد مصدر الصوت فتحت عينى فى إنهاكٍ بالغٍ, لأجدنى فى سرير مستشفى وكثير من المحاليل تتسلل إلى شراييني, غير قادر على تحريك أى جزء من أطرافى وبدأت الأمور تتضح بعد أن عدتُ لجسدى.

إذن لقد انهارت العمارة التى أقطن بها وأنا نائم, كانت حادثة مروعة تناقلتها وسائل الاعلام المرئية و المسموعة لعدة أيام لمتابعة أعداد المصابين والضحايا ولحسن الحظ لم تكن زوجتى وابنتى فى البناية عند سقوطها بل كانت زوجتى فى زيارة لوالدها.حمدًا لله على ذلك وحمدًا لله على عودتى.

دخلت زوجتى ومنحتنى حضنًا افتقدته كثيرًا وطبعت العديد من القبلات على وجهى المغطى أغلبه بقطع من اللواصق الطبية وعلى رأسى المغطى بالشاش حتى شعرت بحرارة دموعها الصادقة تملأ وجهى وهى تحمد الله على نجاتى سالمًا لها ولابنتنا, ثم بصرت من وراءها سلمى طفلتى المدللة, كم أفتقدها هى الأخرى وأود لو تبقى بحضنى عُمرًا بأكمله.

كدتُ أبكى فرحًا وأنا أراهما من جديد ثم تبعهما عماد بقامته الفارعة وجسده الممشوق وبزته العسكرية ووجهه الحليق دائمًا وشعره المنبت قليلًا فوق رأسه وابتسامة من القلب تعلو وجهه وعينان تلمعان فرحًا قائلًا:

- أرعبتنا يا دكتور...لا تتركيه يا جيهان وحده فى المنزل لاحقًا

فقلت بصوتٍ خفيض: "حمدًا لله أنها تركتنى وحدى فى المنزل"

- أقصد أنها ما كان يجب أن تتركك وحدك فى البيت ... ليتها اصطحبتك معها

- قدر الله وما شاء فعل يا عماد

قالت جيهان فى رضا:



- الحمد لله يا سليم أنا كدت أموت حزنًا بينما تتواصل أعمال الإغاثة.. فقد خرج جميع السكان ما بين جثث ومصابين حتى أنهم أعلنوا صعوبة العثور على أحياء بعد ذلك... وقتها أخذنى أبى إلى فيلته فى المعادى رافضًا بقائى حول الأنقاض. ولكنى كنت متأكدة من بقاءك حيًا لذلك طلبت من عماد أن يبقى بجانب الأنقاض أو يبقى بعض جنوده على الأقل لإبلاغى بأى جديد...

واصل عماد الحديث:

- لا يمكنك تخيل حجم المعاناة التى كانت تعانيها كانت تهاتفنى عشرات المرات خلال هذين اليومين, فى الحقيقة لم أكن مصدقًا ما يدور, شعرت أنه كابوس سنصحو منه فى أى وقت ولكن كان هناك لحظات أتيقن من يقظتى فكنت أفكر بمشاركتهم أعمال البحث بنفسى لأنى قد وصلت لحالة من الرعب من فكرة أنه لا يفصلنا عنك سوى كتل أسمنتية وجدران متهدمة وقطع أثاث مُهَشَّمَة.

- وهل توصلوا لسبب انهيار البناية؟

الصحافة تقول بأن العقار مال فجأة وانهار على السكان والتحقيقات ترجح أن سبب السقوط هو أعمال الترميم فى الدور الأول وكذلك الأدوار المخالفة التى بناها صاحب العمارة فى الشهور الماضية.. كل ذلك أدَّى إلى سقوط العمارة, تواصلت عمليات الإنقاذ وتشكل فريق طبى على مستوى عالٍ بمكان الحادث لتقديم الإسعافات اللازمة للمصابين, وتواصلت جهود الإغاثة من قِبَل رجال الإنقاذ والحماية المدنية, وتقرر التحفظ على ملف العقار الموجود بالحى واستدعاء المسئولين ومهندسى الإدارة الهندسية بالحى لسؤالهم عن تلك المخالفات.



حكوا لى الكثير و الكثير عن الأوقات القاسية التى عانوها فى غيابى كيف مَرَّت وشبح الخوف يخيم عليهم حتى جاءت عودتى لتزيل الفرحة كل أحزان ومخاوف الساعات السابقة, وبرغم الألم الذى تسلل واحتل كل ذرة فى جسدى إلا إنى لا أنكر سعادتى بعودتى ورؤيتى لأسرتى, وجاء التقرير الطبى ليوضح بأنى أصبت بارتجاج فى المخ أدى إلى دخولى غيبوبة طويلة وأنا بالفعل لا أذكر أَىَّشىءٍ عن هذه الحادثة فقد كنت نائمًا ولا أتذكر وجودى حتى تحت الأنقاض, كذلك يوجد العديد من الكدمات والسحجات فى الوجه والرأس تحتاج إلى غيار بشكل مستمر على الجروح.. أما النصيب الأكبر من الألم فقد كان فى ذراعى الأيسر, فقد حدث جرح قطعى نتيجة لاختراق أحد الاسياخ الحديدية لذراعى وجرح تهتكى فى العضد وكذلك تَهَتُّك فى الأنسجة والعضلات أدى إلى التهاب خلوى وحدوث عدوى بكتيرية نتيجة عدم تلقى العلاج المناسب فترة وجودى أسفل العقار مما استلزم وضع جبيرة داعمة للطرف العلوى بطول الذراع حتى تلتئم هذه الجروح بجانب وجود مضاعفات خطيرة فى الكُلى نتيجة عدم تلقى أى طعام أو سوائل طوال هذه الفترة وأدى كذلك إلى ضعف عام فى حالة الجسد.. فقرر الأطباء بأنه لا خروج من المستشفى قبل مرور أسبوع على الأقل مع متابعة حالتى الصحية باستمرار بعد ذلك, وبعد أن استوعبت الوضع الذى أنا فيه وأنى نجوت بأعجوبة من موتٍ مُحَقَّق كنت فى وادٍ آخر.. لدهشتى وجدتنى أتذكر كل صغيرة وكبيرة وقعت فى هذا العالم الآخر بالتفصيل.. لم أتصور أنى حال عودتى سأحتفظ بأىّ ذكرياتٍ من هذا العالم, فكما علمت بأن أناس كثيرون يذهبون لهذا المكان منهم من يعود ومنهم من يبقى حتى يتلاشى.. فهل جميعهم تذكر ما وقع له؟ أما أنا فقط من أتذكر؟ وإذا كانوا يتذكرون فلماذا قرر جميعهم الصمت؟ هل خافوا هم أيضًا من أن يتهمهم الآخرون بالجنون؟



أمر وارد بالطبع فما أسهل توزيع الاتهامات هذه الأيام خاصة وأن حقيقة هذا العالم خارج نطاق المنطق, فوجدتنى أتخذ قرارًا بعدم البوح بأيِّ شيءٍ يخص ساعاتى فى هذه الأرض الغريبة, فلم أجرؤ على الإعتراف بأيٍ مما رأيت, لن يصدقنى أحد.. أنا نفسى لن أصدق ذلك لو حكاه لى أحدهم, وكان كل من يسألنى أجيب بأنى لا أذكر أىَّ شىء كان الجميع يطاردنى بأسئلته ونظراته بعدما انتشر خبر العثور علىَّ حيًا تحت الأنقاض لهذه الفترة عبر وسائل الاعلام بما يُعد معجزة بكل المقاييس, لذا وجدت الكثير من الصحفيين ومراسلى القنوات فى انتظار الحصول على سبق جديد للساعات المثيرة التى قضيتها تحت حطام البناية, ينتظرون منى أن أتاجر بآلامى وأستعرض قدراتى فى البقاء حيًا ... ولكن كانت إجاباتى تصدمهم فلا يخرجون منها بشىءٍ حتى كفوا عن إزعاجى بمساعدة أسرتى الصغيرة الذين كنت أفتقدهم بحق... افتقدت كل أهلى وأحبابى وأصدقائى , افتقدت كل التفاصيل اليومية التى لم أكن أكترث لها كثيرًا... قهوتى المعتادة, فراشى الوثير, الدُشّ الدافىء, البالطو الأبيض ,ضحكات سلمى, دعوات مرضاى, جميعها أشياء بسيطة لكن تخيل إن فقدت أحدها للأبد, سيتعاظم احتياجك لها, وأنا كنت على وشك فقدان حياتى والبقاء عالقًا فى عالمٍ آخر, لقد وقعت فى الخط الفاصل بين الحياة والموت.. كنت قريبًا جداً من الموت وكان هو حولى يحصد أرواح فى ألية رتيبة ولكنه لسببٍ ما غَضَّ بصره عنى.

ورغم أن الموت دائم الوجود وقريبٌ جدًا لا يشكل الزمان والمكان والمستوى الاجتماعى فارقًا لديه, فإنه يعمل بجهد ومثابرة كفارس عادل ممتطيًا جواده, لا يتأخر أبدًا عن إنجاز المهام الموكلة إليه ولكننا ويا للأسف نتجاهله بنفس الإصرار والتحدى, وأنا كغيرى ما ألبث أن أتجاهله



مع أنه لا يتوانى فى الإعلان عن نفسه كُلَّ حينٍ ولا يَكُفُّ عن إحداث الضجيج اللازم للفت الأنظار ووضعه فى المكانة التى يستحقها كحقيقة واحدة مؤكدة ولكنها منسية عن عمد لأننا بمنتهى الجحود والبرود نتناسى ونتشاغل ولا يمكث فى ذاكرتنا إلا لدقائق معدودة نعود بعدها لدوائرنا الدنيوية المتداخلة فلا نمنحه الاحترام المستحق ولا الهيبة اللازمة... والأشد والأدهى من ذلك أننا نختزله فى كلمات مجازية لا معنى لها ولا دافع يبررها فتراهم ينعتون أنفسهم والأخرين بأن أحدهم يموت غيظًا وأخر يموت كمدًا وثالث يموت عشقًا ورابع يموت ألمًا وخامس يموت شوقًا وسادس يموت ندمًا وسابع يموت خوفًا وهكذا مع مجموعة لا نهائية من الأفعال التى لا تتماشى مع حقيقة الموت بل على العكس جميعها يتفق مع كينونة وأطوار الحياة ما بين العشق والألم والندم والشوق والخوف أما الموت نفسه هذا الفعل الذى لا نعلم الكثير عنه سوى أنه انتقال الروح من عالمنا إلى عالمٍ آخر مجهول تمامًا مع فناء حتمى للجسد, فإننا أجهل ما نكون به.. فهذا الفعل لم يعد أحدهم من الجانب الأخر ليروى لنا كيفية وقوعه, أو حقيقة وجودنا بعده.. هل سنعود لنفس الحالة التى كنا عليها قبل الميلاد؟ أم أن ميلادنا هو فى الأساس موت لحالة كنا عليها.. وبالتالى بعد موتنا هناك ميلاد جديد لحالة لا نعلم عنها شيئًا.. فقط توقعات وتخمينات دون شهادة حقيقية غير معلومات بسيطة وردت فى الأديان السماوية.. وأنا برغم عملى كطبيب واعتيادى على مشاهدة لحظات ميلاد حيوات جديدة وأنفس وليدة ولكنى شعرت بأنى أولد من جديد وأنى نجوت من الموت بأعجوبة وهو نفس إحساس كل أم بعد الولادة أنها نجت من الموت لأن الله أراد ذلك... فحجم الألم الذى تتعرض له أثناء الولادة يفوق طاقة أشد الرجال ولكن يُكتب لها الحياة لترى حياة جديدة تولد بينما كانت هى مقبلة على الموت بصدرٍ رحب.



حين استرجعت ما دار راودنى الشك للحظات أنى وقعت تحت وطأة الإضطرابات العقلية وربما الهلاوس نتيجة للحادث الذى تعرضت له. ربما اختلق خيالى هؤلاء الأشخاص وتلك الأحداث, ربما كان حلمًا طويلًا مزعجًا, ولكن أىَّ حُلْمٍ هذا الذى يبلغ ذاك الطول وتلك التفاصيل, وفجأة انقَضَّت علىَّ بعض الأسئلة كالوحش حين ينقض على الفريسة لقد انهارت البناية بالكامل وسقط العديد من الضحايا والمصابين فلماذا لم أرى غيرى فى هذا المكان؟ هل كانوا هناك ولم أرهم أم لم يصلوا أصلًا؟ وإن كانوا وصلوا هل يتذكرون ما شاهدوا؟ هل من يعود يتذكر مثلى؟ لقد وصلت لبعض الإجابات ومازلت أبحث عن إجاباتٍ لأسئلة لا تنتهى, يبدو أنى على حافة الجنون, لم أكن متأكدًا من شىء, لهذا نويت البحث حول كل ما دار وكل ما شاهدته بعينى.

وبرغم الكثير من الإصابات والكسور والجروح, ولكن كما أخبرنى الأطباء بأنها أيامٌ قليلة مع الرعاية الطبية ويمكننى بعدها العودة إلى حالتى الطبيعية وممارسة حياتى بشكلٍ عادى. وحين بدأت استرد جزءًا كبيرًا من صحتى, كنت أخاف النوم خشية أن أذهب ثانية لهذا العالم الغامض, ولكن فى الساعات القليلة التى أنامها لم يعد النوم راحة لى كما كان قبل الحادث, كنت أرى حسن وصفاء... أحيانا يضحكان وأخرى يبكيان وأبكى أنا الآخر حالهما, وأتسائل هل عادت صفاء مثلما عدتُ وتركت حسن وحيدًا أم لم تعد كما أراها فى منامى؟

كان من الصعب مواصلة حياتى وَغَضَّ الطرفِ عَمَّا عِشْتَهُ ورأيته طوال فترة وجودى تحت الأنقاض, فبعدما تحسنت أحوالى قليلًا وانتقلنا للعيش فى فيلا والد زوجتى حين أعدوالدها غرفتين مجهزتين واحدة لنا أنا وزوجتى وأخرى لابنتنا, بدأت رحلة بحثى للتأكد من بعض الأمور وحل



بعض الألغاز. وفى ذاك الحين وقبل أن أسلك هذا الطريق كانت تراودنى فكرة مجنونة بإلحاحٍ غريب.. حتى استيقظت فى صبيحة أحد الأيام عازمًا على تنفيذها.. أخبرت زوجتى بسفرى إلى الشرقية لزيارة أقاربى بشأن أمرٍ مهم كما أخبرونى.. فى البداية طَلَبَت منى أن أعتذر بسبب وضعى الصحى فأخبرتها بأنهم حتى الآن لا يعلمون شيئًا عن الحادث وأن هذه فرصة جيدة لإطلاعهم على ما حدث ومعرفة ذلك الأمر الذى يريدوننى فيه.. لم تكن علاقتها بهم وطيدة ولا مجال لكشف كذبتى وامتَثَلَت لرغبتى على مضض واتجهتُ بالسيارة إلى الشرقية دون الذهاب إلى أقاربى كما اخبرتها ولكنى قصدتُ مكانًا لم أزره منذ فترة طويلة وشعرت بحاجة عظيمة لزيارته والمكوث فيه قليلًا.. كنت بحاجة لزيارة قبر والدى.. دلفتُ إلى باب المقابر بعد أن طرقت عدة طرقات ففتح لى غلام صغير توقعت بأنه ابن حامد اللحاد وصدق توقعى.. فما أن رآنى حامد حتى رحب بى فى مودة مصطنعة مستفسرًا فى قلق مصطنع عن سر هذه الإصابات والجروح فى وجهى ويدى وكذلك العرجة الواضحة فى خطواتى, فأبلغته بأنه حادث سيارة بسيط.. فنظر إلىّ مستفسرًا دون كلام عن سبب الزيارة فقلت له باختصار:

- أريد الجلوس قليلًا عند قبر والدى

فنظر إلىّ مندهشًا من طلبى المفاجىء ولكن لم يدم اندهاشه كثيرًا, لأنى فى نفس الوقت وضعت يدى فى جيبى مُلَوِّحًا بورقة من فئة الخمسين جنيهًا فصاح على الفور "تحت أمرك يا دكتور.. تفضل, تفضل.. تعيش وتتذكر يا دكتور.. ربنا يرحمه ويجعل مثواه الجنة" ثم أحضر عدة مفاتيح وتبعته إلى الداخل حيث قام بفتح الباب المؤدى للحوش الخاص بمدافن العائلة ثم مشينا بخطوات متأنية إلى قبر جدى ووالدى وما إن وصلت حتى وقفت



لأقرأ الفاتحة ثم نظرت إلى حامد التُربِى الواقف بجانبى وأخرجت من جيبى ورقة مالية أخرى من فئة المائة جنيه مناولًا إياها له.. فوجدته يبتلع ريقه ناظرًا إليها بعيون متسعة جاحظة ثم قلت فى ثقة بعد ما شاهدتُ وقع النقود عليه:

- أريدك أن تحضر أدواتك وتفتح هذا القبر يا حامد... فاندهش من طلبى هذا قائلًا:

- لماذا يا دكتور.. خيرًا إن شاء الله؟ فأخرجت ورقة أخرى من نفس الفئة قائلًا:

- بدون لماذا يا حامد.. ممكن؟

فأخذ الورقة الأخرى بسرعة وهو يردد: طبعًا يا دكتور أنا أريد الاطمئنان فقط.. ثوان سأحضر العدة وأفتحها حالًا.. كما توقعت.. المال دائمًا يكمم الأفواه ويخرس الألسنة ويغمض العيون ويسكت الضمائر.. خاصة مع هذه الفئة من البشر التى لم تنل قسطًا كافيًا من التعليم ولم تحظ بمكانة اجتماعية جيدة... فلا تجد سوى المال سندًا وحصنًا لها فى حياتها يجمع منه ما يستطيع بكل وسيلة ممكنة.. لن أظلمه لو ظننته شهد وأقدم على ما هو أغرب من طلبى بفتح مقبرة فى وضح النهار دون سبب واضح وقد رضخ لهذا الطلب الأخر من أجل حفنة جنيهات أو عدة ورقات من فئة المائة جنيه.. وأنا كطالب فى كلية الطب سابقًا وطبيب حاليًا أعلم تمامًا بأن معظم المنتمين لهذه المهنة دخلهم الأساسى ليس من عمليات الدفن التى تتم تحت سمع وبصر من الجميع ولا حتى من الزيارات فى المواسم المعروفة ولكن دخلهم الأساسى يعتمد على تلك الصفقات التى تتم سرًا مستترة بعباءة الليل بمقابل مادى أكبر.. طالب يبحث عن جثة



لتشريحها.. تاجر أعضاء بشرية يبحث عن قطع غيار طازجة.. هذا بالإضافة إلى بعض الأمور الأخرى الأكثر دناءة التى تقشعر لها الأبدان وتشمئز منها الأنفس.. لا أعلم لماذا استحضرت كل هذه الصور بينما أقوم بمنحه هذه النقود.. كنت بداخلى أُكِنُّ له احتقارًا كبيرًا فى هذا الشأن رغم سابق علمى به ورغم استئمان أعمامى وأقاربى له, ولكنى فقدت كل هذه الثقة بمجرد ما سال لعابه لأقل من ثلاثمائة جنيه.. ماذا لو عُرض عليه اكثر؟ لربما أفرغ محتويات هذه المقابر والمقابر المجاورة إن أمكن دون مراعاة لأمانة أو حرمة موت.. لم أندهش فالجهل والجشع يفعلان أكثر من هذا.. ولوهلة سألت نفسى وما أدرانى بأنه لم يتصرف فى جسد والدى وباقى أقاربى؟ كيف يمكننى التأكد؟ هل من سبيل إلى ذلك؟ ازداد حنقى أكثر وأنا أتخيله يقول فى نفسه "يا للمسكين يظن أن أباه وأهله ما زالوا هنا, ولا يدرى أنهم فى الليلة التالية لموت أغلبهم كانوا صفقة مربحة لى وللآخرين" .. وقتها شعرت برغبة عارمة فى خنقه ونهش رقبته بأسنانى حتى خُيل لى للحظة بأن دمائه تلوث فمى وأسنانى وبأنه جثة هامدة بين يدى.. لا أعلم سر الراحة التى انتابتنى وأنا أتخيل ذلك.. فلم أكن يومًا دمويًا أو عنيفًا حتى بعددراستى للطب.. صحيح أنه جعلنى أكثر جرأة وإقدامًا من ذى قبل وجعلنى معتادًا على مشاهدة الدماء ولكن ليس إلى هذه الدرجة.. لا أعلم هل السر فى ذلك تلك التجربة المريرة التى مررتُ بها تحت الأنقاض؟ هل هذه التجربة خَلَّفَت لدىَّ نقمة على كل من لا يحترم هيبة وجلال الموت؟ لا أدرى.. عدتُ لرشدى وطردت هذه الأفكار الدموية من رأسى خاصة وأنى لا أملك دليلًا ماديًا على تلك الشكوك.. ظللتُ أحدق به وهو يقوم بكل خفة ومهارة بالحفر فى الموضع المطلوب حتى بدت درجات سلم تقود إلى داخل القبر.. سرت فى جسدى قشعريرة ما أن رأيت ذلك وشعرت بدوار بسيط غير مصدق بأنى فعلتها يومًا وتركت أبى هنا وحيدًا

فى هذه الظلمة وهذه المساحة الضيقة.. كيف طاوعنى قلبى على ذلك؟ وبدأت الدموع تتأرجح فى مقلتى؟ وأنا أتخيله ينادى علىّ ولا أسمعه.. يصرخ بأعلى ما فى صوته.. ربما كان لديه المزيد من الوصايا.. الكثير من النصائح.. العديد من الأمنيات ولم يمهله القدر لإبلاغى بها خاصة وأنى لم أكن معه فى لحظاته الأخيرة.. بل أخبرونى فى الهاتف باشتداد المرض على أبى ورغبته فى رؤيتى..فاتجهت مسرعًا إلى بلدتنا فى ساعتين مروا علىَّ عامين.. وحين وصلت أخبرونى والدموع تبوح بما لم يقو عليه اللسان.. فهرولت إلى غرفته وأنا أرتمى فى حضنه الذى لم يكن دافئًا كعادته بل وجدت جسده المُسْجَى أمامى باردًا يغطيه ملاءة بيضاء من إخمص قدميه حتى أسفل ذقنه.. بكيتُ حتى بَلَّلَت دموعى وجهه ولحيته الخفيفة البيضاء, والآخرون يشهقون بالبكاء من حولى.. منهم من يحاول جذبى ومنهم من يربت على ظهرى وكتفى.. حتى جذبونى إلى خارج الغرفة وأنا أستمع إليهم وهم يَعُدُّونَ العُدَّةَ لتغسيله وتكفينه ومن ثم دفنه.. وأحدهم يصيح مُستعجلًا ومُحَمِّسًا للأخرين:

- هيا يا رجال نريد ألا نتأخر.. ويردد فى إصرار "إكرام الميت دفنه", مشهد لن أنساه ما حييت, وقد استرجعته كاملًا بينما أقف على قبر والدى.

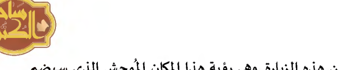
سامحنى يا أبى.. أتذكر حنانك ورعايتك وحبك لى بشكل أعجز عن وصفه وأدعو لك فى كل يوم ومع كل صلاة وأذوب شوقًا لرؤيتك دقيقة واحدة وأحيا على أمل واحد هو ما يُهَوِّنُ علىَّ ألم الفراق.. أمل لقائى بك أنت وأمى ليس على هذه الأرض ولكن فى جنة عرضها كعرض السماوات والأرض, ورغم ذلك سأفر كالأرنب المذعور يوم ألقاك تطلب منى حسنة.. لا أدرى كيف سأفعلها ولكنى متيقن من وقوعها.



شردت ببصرى سابحًا فى الخيال أرانا مجتمعين سويًا فابتسمت من قلبى.. ولكنى تذكرت تلك الجملة التى ترددت فى أذنى مرات ومرات (إكرام الميت دفنه) ما أصل هذه الجملة؟ وما المقصود بها؟ وسؤال أخر أهم ماذا لو لم يتم دفنه؟ ما النتائج المترتبة على عدم الدفن؟ كلها أسئلة تحتاج لتوضيح وإجابات شافية أتمنى أن أعثر عليها.

نظرتُ حولى فلم أجد حامد اللحاد.. يبدو أنه انصرف عندما رآنى على هذه الحال.. ووجدتُ بجانبى كرسيًا خشبيًا يصلح بالكاد للجلوس يبدو أنه من أحضره.. عدتُ من جديد أتحسس أشعة الشمس التى تغمرنى من كل اتجاه فشعرت بالحياة تدب فى أوصالى رغم أنى كنت موشك منذ أيام على فقدها.. ويا للسخرية فقد كانت أغلى أمنياتى إن لم أعد حيًا أن يجدوا جثتى سريعًا وأن يلقوا بى فى هذه الحفرة لألحق بأبى وأجدادى وأفر من المصير الأسود فى هذا العالم الغريب إلى مصير أشد غموضًا ولكن الجميع يؤول إليه فى النهاية.. كلاهما غامض ولكنى فى هذه الحالة وجدتنى أفضل مبدأ غريب بعض الشيء وهو (الذى أظن أنى أعرفه أفضل من الذى على وشك التعرف عليه).

حقيقةً كنت بحاجة للهدوء ومنحنى هذا المكان الهدوء المطلوب والسكينة المرجوة.. وكنتُ بحاجة للتأمل فى الحقيقة الغائبة عن الأذهان بأن هذا المكان هو المصير بعد عمرٍ لا أعرف مقداره ولكنى قادم إليه بِخُطىً ثابتة.. كل خطوة تبدأ بشروق شمس يوم جديد ولا أشرع فى خطوة أخرى إلا بعد غروبها وهكذا إلى أن تحين لحظة غروبى أنا الآخر.. ناديتُ على حامد ليعيد كل شيء لمكانه متناسيًا أنى كنت واقع تحت رغبة شديدة فى قتله منذ قليل وتركته واضعًا فى كفه ورقة بحركة لا إرادية.. ورقة مالية أخرى لم انتبه لقيمتها ولكن نظرته وَشَت بقيمتها.. ثم انصرفت وقد



حققت أهدافى من هذه الزيارة, وهى رؤية هذا المكان المُوحِش الذى سيضم جسدى بعد موتى إن آجلًا أو عاجلًا والذى كان منذ أيام أملى فى الخلاص من جحيم العالم الآخر حين يعثرون على جثتى ويدعوها فى باطن الأرض لأبدأ رحلة أخرى نحو حياة جديدة ليس بالضرورة أن يكون الجحيم فيها هو المصير, بل ربما ينتظرنى نعيمٌ لم يخطر على قلبِ بشر. وقتها أدركت أن الموت ليس مُخِيفًا إلى هذا الحد, المخيف بحق هى اللحظة التالية له التى سيعود فيها إلى وعيه فهى اللحظة الفاصلة إما نعيم أو جحيم لا بين بين.

بعدها عدتُ إلى القاهرة لأبدأ رحلة بحثى للكشف عن حقيقة ما شاهدت بينما جسدى يرقد تحت الأنقاض.


ساحر الكتب



لابد وأن النهاية أهم بكثير من البداية

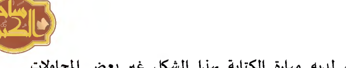




(13)

(بعدها عُدتُ إلى القاهرة لأبدأ فى رحلة بحثى للكشف عن حقيقة ما شاهدت بينما جسدى يرقد تحت الأنقاض)

كانت هذه أخر جملة قرأها شريف وعيناه متسعتان عن أخرهما بعد أن طوى هذه الورقات التى كتبها سليم صديقه بخط يده فى هذه الأجندة التى وجدها شريف فى درج مكتبه الأخير حين قام بزيارة عيادة سليم. حين وجدها شريف حسبها لتسجيل المواعيد أو للتذكير بالمناسبات المهمة ولكن حين تصفحها فى العيادة وجد بها بعض الجمل التى توضح كونها مذكرات بخط يد سليم ومن الواضح أنها كانت على درجة من الأهمية لأن سليم وضعها فى الدرج الأخير المغلق بالمفتاح مما يعنى أن سليم لم يكن يريد لأحد أن يطلع عليها ولكن فى هذا الظرف لم يجد شريف بُدًّا من التعرف على ما كان يجول بخاطر سليم فى الفترة التى تلت حادثة انهيار مسكنه وسبقت اختفاؤه.. فحمل الأجندة معه إلى البيت كى يقرأها بعناية عسى أن يجد فيها ما يشير إلى مكان سليم أو أى معلومات تُفيد وتحل لغز اختفاؤه بهذا الشكل, ولكنه لم يتصور أبدًا أن يجد بها هذه الحكاية العجيبة التى يرويها صديقه بمنتهى الصدق والإيمان كما لو أنه عاشها فعلًا.. فى الحقيقة إن كل كلمة قرأها توحى بالصدق وتشير لمعاناة كاتبها ومحاولة بحثه الوصول للحقيقة والحصول على إجابات واضحة لأسئلة مثيرة.. ولكن أيضًا ما يرويه صديقه فى مذكراته أقرب ما يكون للمستحيل ويتحدى المنطق بشكل سافر.. بحكم الصداقة يعلم أن سليم قارئ جيد مثله فقد كانت هواية قديمة مشتركة جمعتهما سويًا, ولكن لم يعرف أبدًا



عن سليم بأن لديه مهارة الكتابة بهذا الشكل غير بعض المحاولات الشعرية المحدودةغير الناضجة أثناء الدراسة الجامعية.

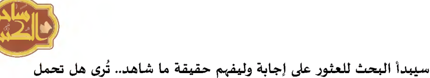
كان من الصعب على شريف تصديق ما قرأه بقلم صديقه, وظن فى البداية أن سليم قام بمزج حادثة حقيقية هى حادثة سقوط البناية ووجوده تحت الأنقاض ساعات طويلة بأحداث أخرى خيالية لا يمكن قبولها عقليًا ونسج منها خيوط رواية جيدة جاذبة مشوقة ولكنه لا يجد تفسيرًا مقنعًا لإقدامه على ذلك.. وأثناء قراءته لتلك السطور التى خطها سليم حاول تقبل الأحداث على أنها حقيقة بسبب دقة التفاصيل التى رواها سليم عن أسرته وأهله وعمله والحادثة التى أصابته, وما تلاها من متغيرات ولكن شيئًا ما فى عقله يخبره بأن ذلك مستحيل ويُعَدُّ دربًا من دروب الخيال.. لأنه كحقيقة مفروغ منها لا يوجد ما أسماه سليم عالم الأوجاع أو عالم النسيان أو الأرض الغريبة التى وصفها سليم بشكل تفصيلى كأنه يراها رأى العين.. فهناك كثير من الكُتاب اختلقوا عوالم لا وجود لها فى إطار درامى تشويقى وكثير من المخرجين نقلوا هذه الأعمال الأدبية إلى شاشة السينما مع كثير من المؤثرات البصرية ولاقت نجاحًا عظيمًا لدى المشاهدين.. ولكنها تظل أعمالًا إبداعية خيالية لا يجرؤ أحد على التظاهر أو القول بأنها حقيقة أو أنه قد جال فى هذه العوالم, وإنما هذه العوالم من نسج خيال خصب لمبدعين كُثُر قد يكون سليم صديقه أحدهم.

ولكن فى الأحداث التى قرأها شريف لاحظ أن سليم يصف حياته بدقة دون مواراة أو مداراة بل ويذكر أسماء زوجته وابنته وزوج أخته حتى حياته فى الشرقية لم يخفها سليم.. بل حتى حامد التُربى الذى يعرفه شريف جيدًا جاءت سيرته فى الأوراق وهو يعرف جيدًا حقيقة مشاعر سليم تجاه تلك الفئة من البشر.. حجم الصدق الذى بدا فى المذكرات

جعل شريف واثقًا بأن سليم مازال يعانى من جراء حادثة سقوط البناية وأنها تركت به عظيم الأثر.. لذا كان يبقى فى العيادة لأوقات متأخرة كى يدون فى هذه المذكرات تلك الأحداث وينفث هذا الكم من السجائر الذى كان سعد مساعده يجده فى اليوم التالى, ولكن ماذا لو كان تأثير بقاءه تحت الأنقاض لم يقتصر على بعض الإصابات والجروح؟ ماذا لو كان تأثيرها امتد إلى عقله وجعله يهئ له أمورًا غير حقيقية؟ ماذا لو كان ما يصفه سليم فى مذكراته ليست أحداث خيالية أو رواية يكتبها؟ ماذا لو كانت هلاوس وترهات من أثر الحادث ويظنها سليم حقيقة؟ لو أن الأمر كذلك فإن سليم فى ورطة كبيرة لأن فى هذه الحالة لم تعد إصابة سليم إصابة جسدية ولكنها نفسية أكثر.. إنه يتحدث عن موتى ومفقودين قابلهم وحادثهم وارتبط بهم, بل وينوى التأكد من مدى حقيقتهم على أرض الواقع.. ما جاء فى المذكرات يؤكد بأن سليم نفسه ليس متأكدًا من حقيقة ما شاهد وآخر جملة تؤكد ذلك بمنتهى الوضوح.

بمزيد من التركيز واسترجاع سير الأحداث فى الفترة الأخيرة بدأ الآن شريف يفهم لماذا صار سليم قليل الكلام مع زوجته وأصبح أكثر انعزالًا وميلًا للوحدة حتى أنه لم يعُد يهتم بالتواصل معه كما فى السابق.. لاشك أن تلك الأمور التى تَحَدَّثَ عنها سليم أضحت هى الشغل الشاغل له, ولم تفارق مخيلته وقد أخذته بشكل أو بآخر من المحيطين به وقد لاحظ الجميع ذلك حتى شريف نفسه الذى كان خارج البلاد فى هذا الوقت..

استبعد شريف الآن احتمالية كتابة سليم رواية يمزج فيها بين الحادث الذى تعرض له وبعض الأمور غير المنطقية مثل زيارته لعالم مجهول لا يعرف أحدًا عنه شيئًا.. وعليه الآن أن يجيب على سؤال غاية فى الأهمية هل ما رآه سليم أو ما يظن أنه رآه سببه عضوى أم له تفسير نفسى؟ من الواضح أن سليم حتى السطور الأخيرة لم يجد إجابة بل وسجل بأنه



سيبدأ البحث للعثور على إجابة وليفهم حقيقة ما شاهد.. تُرى هل تحمل له السطور والصفحات القادمة إجابة وافية أو على أُقل تقدير توضح سبب اختفائه بهذا الشكل؟ ولعلها تنبئ عن مكانه أيضًا.

كان الليل قد انتصف وقد بدا على شريف الإنهاك من أثر التركيز مع كلمات صديقه ولكنه لايريد أن يسقط أسيرًا للنوم.. لذا اتجه إلى المطبخ لعله يجدبه ما يعينه على السهر والتركيز فقد كان فى أشد الحاجة لفنجان من القهوة ليجدد نشاطه ويمنح عقله اليقظة اللازمة لقراءة كل كلمة كتبها صديقه بتركيزٍ وإمعان, فربما يستشف من بين السطور ما لم تخبر به الكلمات صراحة.. فحتى لو أن سليم أصيب بمرضٍ ما نفسى أو عضوى من جراء تعرضه للحادث وبقاءه فترة طويلة تحت الأنقاض وكان قاب قوسين أو أدنى من الموت.. فإن كلماته الصادرة ببساطة وتلقائية قد تكون عامل مساعد جيد فى الوصول لتشخيص المرض والبدء فى رحلة العلاج.. وأثناء إعداده القهوة شعر بإشفاق شديد تجاه صديق عمره.. شعر بمدى المعاناة التى لاقاها صديقه ليس فقط فى أثناء الحادث والساعات الطويلة التى قضاها تحت الأنقاض ولكن أيضًا بعدها والأوقات العصيبة التى عاشها سليم ويحكى عنها تفصيلًا فى تلك الأوراق.

"تُرَى أين أنت يا سليم؟ كم أفتقدك يا صديقى " كانت تلك الكلمات نابعة من داخله وتتردد بذهنه فى قلق حقيقى أطار من عينيه النوم, فبدا فى غير حاجة لفنجان القهوة الذى صار جاهزًا وأصبح شريف أكثر لهفة لمواصلة قراءة الصفحات المتبقية من أوراق صديقه. وشرع يقلب الصفحات حتى وصل إلى المكان الذى توقف عنده وبدأ فى قراءة صفحة جديدة بشغف.. فقد تحمل له أخبارًا ومفاجآتٍ جديدة.


ساحر الكتب



أنا اتلهيت وخدل زندى

مانيش لا عنترولا غاندى

إن كانت الغلطات من عندى

يكون فى عون اللى عملها

بيرم التونسى



بعد الزواج تغيرت حياة منصور كثيرًا وصارت الصفة الأبرز لوصف هذه الحياة هى التناقض الفج بين حياتين متضادتين يعيشهما.. كلاهما منفصل ومختلف تمامًا عن الأخر.. حياة ليلية لا يدرى أحد عنها شيئًا تنغص عليه أيامه وتذيقه أقسى درجات العذاب والاشمئزاز.. يسعى جاهدًا كى يداريها ويخفى وقعها عليه بالأخص أمام زوجته.. حياة يقابل فيها يوميًا المسوخ والشياطين بل ويقوم بخدمتهم والتى لا يتصور أحد مدى بشاعة هذه الخدمات التى يقدمها دون مقابل ولكنه عقاب موروث لم يكن له يومًا ذنبًا فيه, وحياته الإجتماعية والعملية والتى طرأ عليها الكثير من مسببات السعادة والتى يشهدها الجميع من حوله, بل وصار موضع حسد من زملائه وأصدقائه بعدما تحسنت الأمور بشكل جذرى وكبير.. فقد منحه هذا الزواج راحة نفسية ودفئًا أُسَرِىّ افتقده منذ وفاة والدته تلاها وفاة والده بعد أن استحالت حياته عذابًا متواصلًا لا ينتهى.. منحته منال كل السعادة والهدوء والثقة.. فقد أحبته بصدق وبادلها نفس المشاعر وكان كلاهما للأخر طوق نجاة ووصفة ممتازة للخلاص من ألم نفسى يعتمر قلبيهما مع اختلاف ظروفهما.. شهدا معًا أجمل أيام عمرهما وأسعد لحظاتهما لم يشبعا أبدًا من الحب نتيجة لظمأهما الدائم لبعضهما البعض.. حالة فريدة من العشق المتبادل أرادت منال أن تُتَوّجُهَا بطفلٍ تُسْعِدُ به قلب زوجها وتروى عطشها لهذه الغريزة المتأصلة فى أعماقها ولكنها تعلم استحالة ذلك.. كثيرًا ما صارحت منصور بهذه الرغبة مقدمة له اعتذارها عن كونها لم تستطع أن تحقق له هذا الحلم الذى يتمناه كل رجل بأن يصير أبًا.. ولكن منصور يغمرها بحنانه طالبًا منها عدم التفكير فى هذا الأمر مجددًا.. فقد وهبهما الله سعادة تملأ بيتهما,



ولكن لم يكن هذا الكلام كافيًا لها.. أما منصور على الرغم من رغبته المستترة هو الأخر كى يصبح أبًا ولكنه تهيأ نفسيًا لاستحالة حدوث ذلك, ولكنه لم يكن يعلم بأن الأنثى متى وضعت أمرًا فى بالها فإنها ستبذل أقصى ما فى وسعها للوصول إليه, وبالفعل عاودت منال التردد على عيادات الأطباء دون علم منصور.. علمت أن الأمل ضعيف فظلت فى سعيها ولم تُرِد أن تشركه فى سعيها الحثيث نحو الإنجاب كى لا يمنى نفسه بذلك ثم يتيقن باستحالة حدوثه. كان خيطًا واهيًا أرادت أن تتبعه حتى النهاية, حتى إذا ما انقطع فى وسط الطريق, تكون الصدمة من نصيبها وحدها.

مرت الشهور وزياراتها للأطباء تتوالى.. زارت العديد منهم وجربت الكثير من الأدوية حتى أبلغها أحدهم بأن الأمل موجود لكن ضعيف.. فتابع معها الحالة وفى كل مرة تزور الطبيب تخبر زوجها بأنها فى زيارة لوالدتها حتى هلت البشائر حين لاحظت تأخر الحيض لفترة أطول من المعتاد, لم تُعِر الأمر اهتمامًا كبيرًا حتى زاد الوقت الى الحد الذى لا يسمح بالتجاهل, فما أن زارت الطبيب حتى زَفَّ إليها الخبر السعيد بأنها حامل فى الشهر الأول وعليها أن تحافظ على هذا الحمل لأن فُرَصَ سقوطه أقوى من احتمالات بقائه.. حملتها الفرحة على جناحين من البهجة وأخبرت زوجها بأنها فى حاجة إلى إجازة طويلة من العمل لشعورها بالإجهاد وحاجتها للراحة, فوافق على الفور عقب إبلاغه وسعى لها للحصول على هذه الإجازة التى بلغت 3 أشهر حتى تضمن استقرار الحمل.. كانت خلالها تتبع تعليمات الطبيب بكل حذر ودقة مبتعدة عن كل ما يسبب لها الإجهاد والتعب وحين بلغ الحمل منتصف الشهر الثانى رأت ضرورة إبلاغ منصور بحدوث الحمل ومشاركته إياها السعادة التى تحياها على أمل الحصول على طفل



يرعياه سويًا ليكون ثمرة حب أبدى ربط قلبيهما.. وبالفعل ذات مساء عقب تناوله للغداء ومشاهدته للتلفاز.. طلبت منه بإيماءة من رأسها أن يلحق بها على غرفة النوم فما كان منه إلا الإستجابة وعلى وجهه تتشكل ابتسامة تعكس نوعًا خاصًا من الحبور.. وما إن لحق بها حتى ألقت بنفسها في أحضانه.. فتلقفها في سعادة فهمست في أذنه:

- بارك لي يا منصور

فامسكها من كتفيها وتطلع لوجهها الصبوح والبسمة تتسع على وجهه قائلًا:

- ألف مبروك يا حبيبتي
- الله يبارك فيك يا حبيبي.. ومبروك لك أنت أيضًا

فمال رأسه على عنقه مستفسرًا.. فصرخت في سعادة وهي تقول:

- ستكون أبًا يا منصور وسأصبح أمًا يا حبيبي

فتحول وجهه مائة وثمانين درجة من ابتسامة ملء الشفتين إلى وجهٍ عَبُوس حتى ظنت أنها لو كانت تحمل إليه نبأ وفاة والده ما بدا بهذا المنظر.

وقف الكلام في حلقه وهو يقول:

- كيف؟

فأجابت وهي محافظة على ابتسامتها الودودة:



- بدون أسئلة يا منصور لقد أذن لنا الله وقدر لنا أن نتشارك طفلًا يملأ علينا حياتنا
- ولكنكِ تعلمين جيدًا بأن صحتك لا تحتمل؟
- لذا طلبت الإجازة يا منصور
- أتعلمين منذ فترة؟
- نعم يا حبيبي وأردتُ أن أفاجئك بهذا الخبر السعيد ولكنك تبدو مصدومًا

بدأ منصور ينتبه لردة فعله وحاول التظاهر بالسعادة لكن محاولته لم تفلح, فاحتضنها وفي عقله خيول ترمح يجر كُلًا منها حفنة من الأسئلة حتى كادت حوافرها تفتك بخلايا عقله.. نظرت إلى وجهه فوجدته مُكْفَهِرًا وزالت فرحتها بينما تراه شاردًا فعاتبته في حنان وهي تضع أصابعها برفق على خده الأيسر:

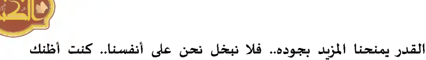
- ماذا بك يا منصور؟ ألم تُرِد بأن يهبنا الله طفلًا نمنحه حبنا ونوليه اهتمامنا ويكون سندًا لنا؟ فعاد من شروده قائلًا:

- بالطبع أردت

- إذن لماذا أراك غير سعيد؟

- أنا فقط خائف عليكِ يا منال.. أنتِ معي ولا أريد غير ذلك.. تعلمين مدى خطورة هذا الحمل على صحتك.

- طفل واحد يا منصور سأرعاه بداخلي.. وأحافظ على حياتي لأجله ولأجلك يا نورعيني.. لا أريد سوى أن أكون أمًا وقد وقع الحمل أخيرًا لأن



القدر يمنحنا المزيد بجوده.. فلا نبخل نحن على أنفسنا.. كنت أظنك ستطير من الفرحة بمجرد علمك.

ابتسم منصور نصف ابتسامة وهو يراها متحمسة سعيدة لهذا الحدث ثم احتضنها بقوة كى لا يحرمها من تلك السعادة التى تغمرها.. ففى الأحوال العادية والظروف الطبيعية ربما يصبح أكثر سعادة منها بمجرد علمه بذلك.. ولكن لأنه وحده يعلم تلك اللعنة التى يحملها والمعاناة التى يلقاها كل ليلة.. فلا ينقصه أيضًا عبء تأنيب الضمير كل ليلة ومعايشة نفس الحالة التى انتابت والده لسنواتٍ طِوَالٍ فى انتظار إخبار ابنه بكارثة لا تُحتمل, تُحِيْلُ حياته كابوسًا لا ينتهى إلا بموته. كان يريد لهذه اللعنة أن تنتهى بموته لا أن يحملها لذريته حتى لو كان ولدًا واحدًا.

مرت الأيام بعد ذلك بطيئة بعض الشىء ولكن ما يُهَوِّنُ عليه هى الفرحة التى يراها فى عيون زوجته وهى تعتنى بنفسها وتخطط للشهور الأولى فى حياة مولودها وما تنتوى شراءه وإعداده له وأنها فى انتظار أن تعرف من طبيبها بعد أسابيع قليلة نوع المولود كى تبدأ فى تجهيز وشراء احتياجاته, كان يسمع حمدها الدائم للنعمة التى مَنَّ الله بها عليها فلا يجد بُدًا هو الأخر من حمد الله على نعمه التى لا تعد ولا تحصى وأهمها زوجته التى وهبته سعادة لم تخطر له على بال.. وكان كذلك يتظاهر بالسعادة ويفكر هو الآخر بأنه لابد من حكمة لا يعلمها لوقوع الحمل فى هذا التوقيت ويُمنى نفسه بأن يكون القدر رفيقًا به فيكون هذا الجنين أنثى.. وقتها بالفعل سيكون أسعد والد بمولودته وسيكون أحن أب لأنه لم يُحرَم من الأبوة ولن يورثها لعنته.. لأن اللعنة من نصيب الذكور فقط من ذرية جده.. أمنية جديدة لا يعلم إن كان القدر سيستجيب ويحقق له هذه الأمنية أم لا وعليه الانتظار.



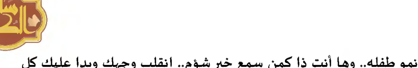
انقضى الشهر الثانى من الحمل دون مشاكل وبدأ الثالث وكانت تداوم على زيارة الطبيب فى مواعيد منتظمة للاطمئنان على صحة الجنين وكانت وصية الطبيب الأولى والأخيرة لها أن تلزم الراحة التامة وأن تتخلص من كل الأعباء الجسدية والنفسية كى لا يؤثر على صحة الجنين, وكانت بطبيعة الحال ملتزمة أشد الالتزام بنصائح الطبيب وكان منصور يقوم بكل صغيرةٍ وكبيرةٍ داخل المنزل وخارجه موفرًا لها كل أجواء الراحة المطلوبة حتى انتهى الشهر الثالث وجاء الشهر الرابع وفى منتصفه أبلغها الطبيب بنوع المولود.

وللمرة الثانية بينما هى ترفرف بجناحين من السعادة, يُصدم منصور حين أبلغته بأن الجنين ذكر.. ترسم ملامحه علامات الكمد والأسف وتلاحظ منال ذلك.. فتضيق من ردة فعله فينطق بكلمات غير مقنعة ولا تبرر وجومه بهذا الشكل بأنه كان يتمنى ابنة تشبهها كى ترعاها وترعاه وينالا من حنانها.. فتخرج منال عن شعورها والدم يفور فى عروقها وقد تحول وجهها الأبيض إلى ثمرة طماطم على وشك الإنفجار وتقول صارخة باكية:

- وما الفارق يا منصور؟ هذا كلام غير معقول تضحك به علىَّ أم على نفسك لا أعرف؟ لماذا لم تصارحنى بأنك لا تريد الإنجاب منى كى لا أصدمك بهذا الشكل؟

- من قال ذلك يا منال؟ بالطبع أريد الإنجاب هذه أمنية كل رجل أن يصير أبًا

- أنت لم تر وجهك فى المرآة يا منصور حين أخبرتك.. لقد فُجِعْتَ بدلًا من أن تفرح وطوال الفترة السابقة ولا ألمس الفرحة التى يعيشها كل زوج مع



نمو طفله.. وها أنت ذا كمن سمع خبر شؤم.. انقلب وجهك وبدا عليك كل ما تحاول إخفاءه عنى لماذا يا منصور لماذا تزوجتنى؟

ارتبك منصور وهو يعلم أنها مُحِقَّةً فى كل كلمة لفظتها.. بل على العكس فهى لم تلاحظ سهره وأرقه كل ليلة منذ أن علم بنبأ حملها وهو يفكر فى نوع هذا الجنين ومصيره إن كان ذكرًا.. لم يجد ما يقوله ولكنه فى هذا الوقت تحديدًا أشفق عليها أشد الإشفاق.. لأنه لم يُقَدِّر أبدًا سعيها وحِرْصِهَا على أن تكون أمًا لابنه.. فهى أيضا لا ذنب لها فى هذه اللعنة التى حملها ولا علم لها بها من الأساس.. فلماذا يحرمها من مشاركته لها فرحها وسعادتها دون عذرٍ مُقْنِع.. حاول تهدئتها وأخبرها بأنها تبالغ وضمها إلى صدره طالبًا منها ألا تسىء الظن به وأن توقن أنه أوفر الناس حظًا لزواجه منها وسيكون الأسعد حين يحمل ابنه على يديه بعد الولادة.. هدأت منال بعض الشىء وإن كان لايزال على منصور بذل المزيد من الجهد كى يزيل هذه الفكرة المطبوعة فى مخيلتها عنه وأن يكون أكثر حرصًا على مشاعرها فى الفترة القادمة.



لم يعد هناك ما يكفى من الوهم, لأخاف خيبة الأمل

محمود درويش



(15)

كان عليَّ مقابلة عدد من الناجين من انهيار البناية لأعرف هل خاضوا نفس ما رأيته وعشته أم لا؟ بالفعل قابلت بعضهم بهدف الاطمئنان عليهم, وحاولت استنباط أَىَّشيءٍ عن أيِّمماحدث وشعروا به تحت الأنقاض, فلم أجدأىَّ شيءٍ غريب .. معظمهم عانى بعض الوقت جَرَّاء الإصابات وكانوا فى وعيهم محاولين الخروج أحياء والأخرون لا يذكرون شيئا فكانوا فى إغماءة طويلة حتى عثروا عليهم, وخرجت بنتيجة واحدة.. لا أحد منهم رأى أو عايش ما رأيت, حتى أنى لم أرى بالفعل أحدهم فى هذا العالم الغريب, فقررت البحث من نقطة أخرى, ووجدت أنه من الصعب البحث عن أسرة حسن أو جثته فكما أخبرنى أنه من الصعيد, وأن أباه دائم السفر للخليج سعيًا للرزق, كما أنه قد مر 3 سنوات أو أكثر على اختفائه فمن الصعب البحث حول كيفية موته أو العثور على جثته التى لابد وأنها تحللت بفعل الزمن وصارت هيكلًا عظميًا فى طريقه للتحلل هو الأخر فوجدت أن الأنسب البدء بموضوع صفاء.

أخبرتنى صفاء من قبل أنها تدرس فى كلية السياحة والفنادق بجامعة الإسكندرية. لُمتُ نفسى كثيراً عن عدم سؤالى إياها عن كثيرٍ من التفاصيل كانت ستوفر الكثير من الوقت و المجهود, ولكنى عزمت ألا أدخر جهدًا للوصول للحقيقة, سافرتُ للإسكندرية رغم امتعاض زوجتى متعللًا بحضور مؤتمر طبى مهم, وصلت هناك وأنا مُشَتَّتٌ بين الشك والحيرة هل سأجدها وقد عادت إلى الحياة مثلى؟ أم أتأكد أنها مفقودة أم لا أصل لشيءٍ على الإطلاق وكأن ما رأيته كان هذيانًا من عقل مريض؟!!



بحثتُ في جميع الفرق والأقسام الخاصة بالكليةعن أنَّصفاء غائبةٍ أو مفقودةٍ, حتى وصلت إلى هذه الحقيقة التي لا مِراءَ فيها _ صفاء سالم عبد الحي _ طالبة بالفرقة الثالثة غائبة عن الكلية منذ أسبوعين أو أكثر. شيرين أعز صديقاتها أخبرتني بالأمر كاملًا, لأنها آخر من رآها, بعد أن أنهيا محاضراتهما, استقلت صفاء ميكروباصًا

(مشروعًا كما يطلقون عليه هنا في الإسكندرية) وكان ركاب الميكروباص كما ذكرت شيرين بعد اختفاء صديقتها اثنين, راكب بالمقعد الخلفي بخلاف السائق. بالطبع اختفت صفاء بعدها تمامًا وهاتفها أصبح خارج الخدمة.

بصيصٌ من الأمل مازالت أسرتها تُمَنِّي به نفسها, أبلغوا الشرطة وبحثوا في جميع المستشفيات دون جدوى, في التحقيقات لم تتمكن شيرين من تذكر ملامح السائق ووصف أيَّ شيءٍ مُمَيَّز به أو حتى رقم السيارة, بالطبع لم تتذكر ولم تشاهد أصلًا رقم السيارة, هذا يحدث فقط في الأفلام العربية الركيكة حيث صديقك يتذكر كل شيءٍ وقت الحاجة ولكنها وصفت الراكب في المقعد الخلفي أنه ذو وجه مثلث خمري اللون, مجعد الشعر عمره يتراوح بين الخامسة والعشرين والثلاثون كأنها تصف ثلث شباب البلد, مما صَعَّبَ عملية البحث على رجال المباحث بفرض أن هذا الراكب اشترك في الجريمة أصلًا.

روت لي شيرين ذلك وهي تتساءل عن سر سؤالي عن صفاء, لم أكن مستعدًا لمثل هذا السؤال ولا جاهزًا بأيِّ إجابةٍ مُقْنِعَة فقلت غير مكترث:

- أنا صديق لصفاء منذ فترة قصيرة, انقطعت أخبارها ولا ترد على هاتفها (الذى لا أعرف رقمه أصلًا) .

كانت نظرات شيرين توحى بالشك الذى لا ألومها عليه من كلماتى ومن المظهر الذى أبدو عليه بكمية الإصابات التى فى يدى ووجهى ورأسى بجانب اتكائى على عصا فى سيرى. بالطبع لم تصدق حرفًا مما قلت فكيف أكون صديقًا لصفاء وشيرين لا تعلم عنى شيئًا وهى أقرب صديقة لصفاء؟ ولكنى فى الحقيقة لم أهتم وقد رأيت ما رأيت.

تركت شيرين لأسئلتها الظاهر منها و الباطن دون أن أعطى إجابة واضحة فليس كل ما يُعرف يُقال, وليس كل ما يُقال يُصدق, وحتى وإن وجدت من يصدق وهذا مستحيل فلا داعى لأحد أن يتخيل تلك المأساة التى ابتلعت الفتاة, يكفى ما يعتصر قلبى من ألم, خاصة بعدما تيقنت أن ما رأيته لم يكن محض خيال أو وليد تجربة مريرة مررتُ بها. بالطبع صفاء كانت لها حياتها الطبيعية كأى فتاة لها أسرتها وصديقاتها ودراستها وأحلامها, ربما خَلَّفَت وراءها حبيبًا يهيم بها ويتعذب شوقًا لها وقلقًا عليها, يحيا مأساة فقدان حبيبته واختفائها فى ظروفٍ غامضة ليتضاءل الأمل فى العثور عليها.

الآن يمكننى تصور ما حدث, صفاء تركب الميكروباص, تلاحظ أن السائق لا يقف لأحدٍ فى الطريق, يتبادل النظرات مع الراكب الأخر, ربما كانا واقعين تحت تأثير مخدرٍ ما صار بعض السائقين يعتبرونه كالماء والهواء, يتسلل إليها الخوف حتى يشن الذعر هجومه عليها عقب انحراف السيارة عن الطريق المعتاد, تطلب النزول ولكن هيهات, يقترب منها الراكبان



الآخران يحاولان التحرش بها والوصول لأماكن حساسة بجسدها, تصرخ تقاوم يضرباها حتى تفقد وعيها وربما خَدَّرَاهَا قبل كل ذلك, يصل السائق إلى مكانٍ مهجور ومعهما صفاء فاقدةً للوعى, يتناوبان الإعتداء عليها, سحقًا للحيوانات فى ثوب الآدميين. نهشوها الذئاب ودَنَّسُوا جسدها الطاهر ولم يكتفوا بذلك بل قتلوها كى لا تبحث عنهم وتفضحهم.. هل استفاقت؟ هل شعرت؟ هل وهل؟ هى لم تَحْكِ شيئا عن هذا الجزء, ربما لم تتذكره, أخر ما ذكرته أنها كانت فى طريقها إلى البيت بعد أن استقلت الميكروباص ولا تعلم ماذا حدث بعد ذلك. أسأل نفسى لماذا أتصور أن الأمر صار على هذا النحو وقد تكون وقعت حادثة مثلًا للسيارة وماتت مع باقى الركاب؟ لو وقع هذا ما كانت وصلت إلى هذا المكان, إن كانت وقعت لها حادثة غير مقصودة, فبالتأكيد سيتم العثور على جثتها وأوراقها وإعادتها إلى أهلها, ولكن اختفاءها بهذا الشكل يعنى أن الأمور قد صارت مثلما توقعت وألقوا بها فى أيِّمكانٍ مهجور حتى دون أن يُكَلِّفُوا أنفسهم عناء حفر قبر يضم جسدها المُنْتَهَك.

هناك خيطٌ واهٍ تتبعه الشرطة كما عرفت وهى أوصاف الراكب التى أدلت بها شيرين, قد يقودهم هذا إلى خيطٍ ما ولكن بعد كم من الوقت؟ اتخذت قرارى بمساعدة صغيرة لرجال الشرطة, رسالة صغيرة للمحققين الذين يتولون القضية أرسلتها إليهم أذكر فيها ملامح السائق التى روتها لى صفاء ممهورة بإمضاء فاعل خير, أظن أن هذا سيساعدهم كثيرًا للوصول لحل لغز اختفائها ويُمَكِّنَهُم من العثور على جثتها حتى تحصل على حقها فى الدفن وعزاء يليق بها تأخذه أسرتها سيترك جرحًا عميقًا سيندمل مع الأيام بدلًا من هذا العذاب الذى يحيونه الآن وهم لا يعرفون حتى إن



كانت حية أو ميتة. وعزمت على متابعة الأمر من بعيد حتى أطمئن أنهم عثروا على جثتها لتغادر العالم الذى جمعنا. وترحل لعالم لابد وأنه سيجمعنا يومًا ما.شعرت ببعض الغُصَّةِ عندما فكرت فى أنها ستترك حسن فى معاناته طويلًا, فقد تركتهما يخفف كل منهما عذاب الآخر ولكن ذلك كان أهون من أن أترك من كان بيدى مساعدته وأخف وطأة من أن أتجاهل طلب أخير لفتاة تتوسل من عالم بعيد.



إننى جاهل لا أعرف إلا حقيقة واحدة وهى أننى لا أعرف شيئًا

إسحق نيوتن



عقب عودتى من الإسكندرية عدتُ لممارسة حياتى بشكلٍ طبيعى وأوشك الكسر بساقى على الالتئام , توقعتُ أنهم عثروا على جثة صفاء بعد رسالتى وما عزز توقعى أنها لم تعد تزورنى فى أحلامى مع حسن كما كان يحدث سابقًا.

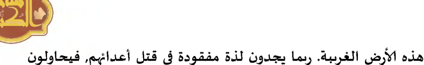
بعد هذا الحادث بِتُّ أعتقد أن هناك عوالم أخرى لا نعرف عنها حرفًا حتى هذه الأحلام التى نراها فى نومنا لا تأتينا هباءًا, لابد وأنها تحمل رسالة ما من عالمٍ ما للفت أنظارنا لأمورٍ عِدة, لم أكن مهتمًا يومًا فيما قبل بالأحلام وتفسيرها ولكنى بحثت فى هذا الشأن كثيرًا وقرأت العديد والعديد عن أسباب ودوافع الحلم وتفسيراته لأفهم سببًا مقنعًا لتلك الرؤى التى أراها يوميًا ولكن أثناء بحثى عثرت مصادفة على الآتى :_

العديد من المرضى النفسيين يُظْهِرُونَ ميلًا شديدًا إلى تكرار بعض خبراتهم المؤلمة السابقة, وهم يفعلون ذلك تحت تأثير دافع قوى يلزمهم على التكرار, واستنتج الباحثين من هذه الظاهرة وجود دافع غريزى يُسمى إجبار التكرار (Repetition-Compulsion) بمعنى أن يميل المريض الذى تعرض لخبرات مؤلمة لفترات طويلة لمحاولة تكرار هذه الخبرات بشكل لا إرادى .. وهو ما لا يتفق مع مبدأ اللذة لأن المريض لا يحصل على أية لذة من وراء تكرار الخبرات المؤلمة القديمة. و لكن ما أثبت هذا الدافع وهذا المبدأ أن الباحثين رأوا أثناء الحرب العالمية الأولى ظاهرة جديدة أيدت رأيهم فى مبدأ (إجبار التكرار), وهى ظاهرة عصاب الصدمة (Traumatic Neuosis) وهى ظاهرة أخرى تعارض مبدأ اللذة. وينتج عن عصاب



الصدمة تكرار الظروف السيئة والأحداث القاسية للفرد ولكن فى أحلامه, حتى أنه لوحظ أن الجنود الذين تعرضوا لصدمات شديدة أثناء القتال يقومون دائمًا بتكرار هذه الخبرات المؤلمة فى أحلامهم , وبما أن الأحلام وسائل لإشباع الدوافع المكبوتة, وكل إشباع يؤدى بالطبع إلى اللذة, ولكن هنا لا يوجد لذة يمكن حدوثها من تكرار الخبرات السابقة المؤلمة التى تظهر فى أحلام الجنود المصابين بعصاب الصدمة, فاضطر الباحثون أمام هذه الحقائق إلى القول بوجود ميل غريزى للكائن الحى إلى الرجوع إلى الحالة السابقة, بمعنى أن الفرد يعود للحالة السابقة فى أحلامه سواء كانت سعيدة أو أليمة, وهو ما جعلهم يصلوا إلى حقيقة أخرى تقول بأنه وإذا كان هناك دافع غريزى يدفع الكائن الحى إلى الرجوع إلى الحالة السابقة أيًا كانت, فلابد إذن من أن نفترض وجود (غريزة الموت) تدفع الإنسان للرجوع للحالة غير العضوية السابقة للحياة.أى أن الانسان لديه غريزة تدفعه نحو الموت.

كان ما وجدته مدهشًا بالنسبة لى.. ولكن هل صرتُ مريضًا نفسيًا لأعانى هذه الظاهرة . لقد أصبح من النادر ألا أرى حسن فى أحلامى, أحادثه ويشكو لى همه وأحيانًا أرانى معه هو وصفاء نعانى نفس الكابوس قبل أن أرحل وأتركهم, حتى الآن أحمدُ الله أن تأثير ما حدث لم يتجاوز سوى بعض الرؤى وإلا صرت مجنونًا أمام الجميع. ولكن فكرة أن الناجين من الجنود فى الحرب العالمية يميلون لتكرار تجاربهم المؤلمة فى أحلامهم هى شديدة القرب لما رأيته هناك, فكما علمت أن هؤلاء الجنود قتلوا فى الحرب حتى وإن كانت حربًا أهلية وفُقِدَت جثثهم وربما تم التنكيل بها ولم تحصل على حقها فى الدفن, ومن ثم تواجدوا فى هذا العالم ليمارسوا نفس الدور على



هذه الأرض الغريبة. ربما يجدون لذة مفقودة في قتل أعدائهم، فيحاولون إشباعها عن طريق هذه الحرب الوهمية الدائرة.

أعتقد أن من يعش فترة الحرب هو أكثر الناس عُرضة للإصابة بمرضٍ نفسي ولكن هذا إذا كان حيًا. لكن أن ينتقل المرض لطيفه في هذا العالم لهو أمرٌ غريبٌ جدًا. ولكن لماذا الاندهاش وقد تقبلت واقتنعت بفكرة وجود عالم لا ندري عنه شيئًا. لقد تخليت عن المنطق منذ خروجي من هذا الكابوس وكل شيء صار قابلًا للتصديق.

نقطة أخرى أرهقني البحث عنها وهي جملة (إكرام الميت دفنه) التي يرددها الأحياء في لوم للمتباطئين عن الإعداد لمراسم الجنائز وفي زهو من هو على بَيِّنَةٍ من دينه مُتَرَفِّعًا عن آلامِ الفراق فيقوم بالواجب المُلقَى عليه تجاه دينه وتجاه الميت الذي يحرص على دفنه إكرامًا له.

فَتَّشتُ وبحثتُ كثيرًا حول هذه النقطة وحول أصل هذه الجملة في العديد من المصادر.. قرأت الكتب وسألت الشيوخ وبحثت على شبكة الانترنت وكانت دائمًا إجابة واحدة التي أحصل عليها.. لا أحد يعلم بأصل هذه الجملة ومن قائلها، ويرددها البعض منسوبة خطأ كحديث شريف ولكنها ليست بالحديث.. فلا أصل لهذه الجملة وإن كان معناها يتماشى مع صحيح الدين ووردت على لسان العديد من الفقهاء بأنه لابد من تجهيز الجنازة ودفن الميت متى بدت على الميت علامات الموت الظاهرة على المتوفى كتصلب الأطراف وبرودة الموت وانتفاخ البطن.

إذن غير معلوم أصل هذه الجملة ولكنها حقيقية وصحيحة تناقلها السابقون دون أن يعرفوا مصدرها وقائلها ولكنها لا توضح ما هو المترتب



على عدم الدفن؟ هل هو إهانة، ألم، عذاب للميت؟ ربما كان قائلها المجهول على علم بالحقيقة ولكنه لم يُرِد أن يُفْزِعَ الأخرين أو لكى لا يستغلها أحد المهاويس والحمقى من البشر تجاه بعضهم البعض وتصبح وسيلة انتقام أو تعذيب للفرد بعد موته. فيُترك الأمر كله للواحد الخالق هو من يحاسب الجميع حسابًا عادلًا وكل شيء عنده بمقدار.

الآن بقى لى نقطة أخيرة كى أغلق هذه الصفحة من حياتى تمامًا ولكنها النقطة الأهم فى هذه الأحداث العجيبة التى مررت بها مؤخرًا وأعتقد أنها ستزيل الكثير من الغموض المحيط بالأحداث الأخيرة وربما تزيح الستار عن حقائق مُخفِيَة وتمنح تفسيرًا مُقْنِعًا لكل ما شاهدت.

بينما شريف يقرأ هذه الكلمات التى دَوَّنَهَا صديقه كانت دقات قلبه تزلزل خلايا صدره وقد بدا له سليم صادقًا فى بحثه بعض الشيء خاصةً فى ما يخص موضوع صفاء حتى وإن كان أصل القصة غير منطقى بالنسبة له.. وشعر بإثارة غير عادية فى تلك الأحداث التى كتبها سليم باحثًا عن الحقيقة وشعور أخر يصاحبه هو القلق منذ أن عرف بتفاصيل اختفاء صديقه.

كيف كتمت كل ذلك بداخلك يا سليم؟ إلى أيِّ مدى انزلقت قدماك فى بئر التخبط والحيرة هذا؟ ألم يكفِكَ ما قادتك إليه الأقدار بوقوع تلك الحادثة الغريبة وبقاءك هذه المدة تحت حُطَامِ العقار؟

وفجأةً جال بخاطره موضوع الجسد الأثيرى لقد قرأ شريف كثيرًا عن هذا الموضوع بحكم تخصصه واطلاعه والجسد الأثيرى ليس إلا هالة نورانية تحيط بجسد الإنسان وتأخذ شكل الجسد وتُعَبِّرُ بشكلٍ ما عن



حالته الصحية والمزاجية, غير أن هناك بعض الأبحاث أوضحت بأن العقل الباطن هو من يتحكم فى شكل وحركة الجسد الأثيرى لذا فبمجرد دخول العقل الواعى فى مرحلة النوم يتحرر الجسد الأثيرى ويبدأ فى النشاط والحركة ولكن هذه الأبحاث أشارت بأنه من الصعب جدًا التحكم فى الجسد الأثيرى لأنه من العسير جدا التحكم فى العقل الباطن إلا عن طريق تمارين الإسترخاء وهو على أى حال أمر غاية فى الصعوبة والتعقيد, ولكن هل فى حالة سليم وبعد تعرضه للحادث تحرر جسده الأثيرى؟ حتى لو حدث ذلك فما حقيقة هذا العالم الذى انتقل إليه؟ أسئلة كثيرة تدور بخلده فلم يجد بُدًا من استكمال قراءة ما خطته يد سليم.

آسفًا راثيًا لحال صديقه عاد للأوراق من جديد عساها ترحمه وتفتح له سبيلًا للعثور على صديقه.



لقد جاء الأمل.. وذهب

ترك الباب مفتوحًا

ولكنه قال أنه لن يعود

لم يعد صديقى ينتظر إلا ضيفًا واحدًا

ينتظره فى سكون

سيأتى هذا الضيف يومًا

ليطفئ المصباح الباقى..

ويأخذه فى عربته المطهمة

بعيدًا.. بعيدًا..

فى طريق لا بيوت فيه ولا أكواخ

روبندرونات طاغور بتصرف بسيط



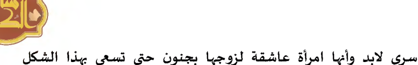
(17)

إن أخر ما أذكره في هذا العالم الغريب الذى نجوت منه بأعجوبة أنه بينما أتشبثُ بالحبل المتدلى تاركًا حسن وصفاء بعد سماعى لاسمى يتردد من مصدر لا يمت للبشر بصلة معلنًا إمكانية عودتى لحياتى الطبيعية, شعرت بالترنح وأنا أمسك هذا الحبل محاولًا الصعود.. وحين نظرتُ لأسفل رأيت من يصيح ناظرًا لأعلى موجهًا كلامه لى, كانت هذه أول مرة أرى فيها هذا الوجه فى هذا المكان ولكنه بدا لى مألوفًا تمامًا.. كان من الصعب وأنا فى هذه الحالة من الشعور بعدم الإتزان والخوف من السقوط ثانيَة لهذا العالم أن أتذكر صاحب الوجه وأين رأيته من قبل, ولكن بعد نجاتى كانت صورته لا تزال واضحة جلية فى مخيلتى, استرجعتُها مرارًا وتكرارًا حتى بدأ النشاط يدب فى ذاكرتى وأنا أتذكر صاحب الوجه هذا الذى لا أعلم سبب تواجده فى هذا العالم ولماذا وجه لى هذا الكلام أثناء صعودى .. بعض كلماته مازالت عالقة فى أذنى .. كان يرددها فى صراخ يصل لدرجة البكاء (أفهمت الآن لماذا قلت لك أنه نجا؟) . كان هذا السؤال يتردد فى ذهنى باستمرار ولكنى مازلت غير فاهم, أو فلنقل غير متيقن.. لا داعى للحيرة سأحاول ترتيب الأمر كما حدث لعلى أفهم.. صاحب هذا الوجه رأيته عدة مرات فى عيادتى مصطحبًا لزوجته التى أتابع معها الحمل.. إنسانة رائعة بحق شكلًا وموضوعًا, بسيطة متواضعة رغم جمالها الأخاذ, هذا الجمال الذى لا تملك أمامه سوى أن تُسَبِّح بعظمة الخالق الذى صَوَّرَ فأبدع, صحيح أننى لا أبالى كثيرًا بشكل وهيئة المريضات ودرجة جمالهن احترامًا لنفسى ولمهنتى, ولكن هذا جمال من نوع أخر يخطف البصر الراكز ويفتن القلوب المسكونة سلفًا وعليك أن تجاهد لكى تدير بصرك لركن أو شخص أو لجهة غير تلك الكائن بها, ولا ينكر



وجود القمر إلا أعمى يعيش وحيدًا فى شرنقة.. وفى الحقيقة لم أشعر بذلك طوال عملى إلا فى حالات محدودة جدًا لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة كانت هذه السيدة الفاتنة التى تُدعى منال آخرهن.. كنت أتابع معها حالتها الصحية التى لا تسمح بالإنجاب, ولكن كان لديها عزيمة وإصرار على خوض التجارب والمحاولات واحدة تلو الأخرى لعل احتمالات حدوث الحمل تزيد.. وما بين التكيس على المبايض وضعف بطانة الرحم كانت فرص حدوث حمل لها ضئيلة جدًا.. وكما ذكرت لى فى إحدى المرات أنها حاولت كثيرًا من قبل مع طبيب آخر وحاول معها بعدة طرق وأخبرها أنه حتى لو حدث حمل فإن الإجهاض هو مصيره المحتوم, شَعُرَت بالإحباط بعض الوقت ولكنها عادت من جديد لتحاول مرة ثانية وثالثة وأخبرتنى فى المرات الأولى التى كانت تزور فيها العيادة بأنها عزمت على ألا تستسلم أبدًا, كنتُ معجبًا بإصرارها وكان لدى يقين بأن الله لن يخيب رجاءها وسيمنحها يومًا ما طفلها الذى تتمناه.. وبالفعل تحسنت الحالة كثيرًا بفضل الله وأصبح بالإمكان حدوث حمل.. حتى أبلغتها بعد الكشف عليها فى أحد الأيام بخبر حملها.. سعادة غير عادية رأيتها على وجهها.. وَدَّت لو قَبَّلَت يدى من فرط سعادتها وبكت عيناها فرحًا.. مشاهد كتلك اعتدت عليها كثيرًا ولكن كان لرؤية هذه الزوجة الصبورة القوية فى هذه الحالة عظيم الأثر على نفسى وكنت بحق سعيدًا لها شاعرًا بعظيم دورى فى منحها هذه السعادة.. بالطبع أعلم أن الله هو من جعلنى سببًا لمساعدة هذه الزوجة, ولكنى شعرت وقتها بقيمة ما أعمل وفخرى بانتمائى لهذه المهنة.

زارتنى وحدها بعد ذلك مرتان أو ثلاث لا أذكر على وجه الدقة, ولكن فى المرات التالية كانت تأتينى بصحبة زوجها الذى رأيته لأول مرة.. وقلت فى



سرى لابد وأنها امرأة عاشقة لزوجها بجنون حتى تسعى بهذا الشكل للتمكن من الإنجاب وبالتأكيد يبادلها هذا العشق.

سارت الأمور على ما يرام فى الأسابيع التالية وكنت أتابع الحالة بانتظام وأطلعها وزوجها على أخر مستجدات وضع الجنين وأكتب لها بعض الأدوية والفيتامينات وأوجه لهما بعض النصائح كأى حالة أخرى.. حتى فوجئتُ فى إحدى الليالى بمكالمة من المستشفى يطلبون منى الحضور على وجه السرعة.. أبدلت ملابسى واستقليت السيارة مسرعًا .. فاستدعائى فى هذا الوقت لا يتم إلا لو كان الأمر خطيرًا فعلًا وقد أنبأونى بأن إحدى مريضاتى فى حالة متدهورة جدًا.. وصلتُ إلى المستشفى لأجد هذا الزوج فى حالة يُرثى لها وما إن رآنى حتى اتجه إلىَّ مسرعًا قائلًا فى توسل يشبه توسل الأطفال:

- انجدنى يا دكتور.. منال تنزف بشدة.. أرجوك أغثها.. أوقف هذا النزيف يا دكتور

كانت الممرضات فى انتظارى فقلت وأنا أغير ملابسى وأرتدى القفازات بسرعة

- لا تقلق.. خيرًا ان شاء الله

وقتها لم أفهم بعد سبب النزيف وما إن دخلت غرفة العمليات حتى وجدت زملائى الأطباء صغار السن فى المستشفى يخبرونى بحالتها وأن سبب النزيف هو انفصال مبكر للمشيمة فقد انفصلت عن الجدار الداخلى للرحم قبل موعد الولادة, فى حين أن المفترض أن لا يقع هذا الانفصال إلا بعد خروج الجنين للدنيا لتخليص الرحم من المشيمة..



ووقوع شىء كهذا قد يكون له أخطار على حياة الأم وبسبب فقد الدم إذا كان النزيف حادًا وهو أحد أهم أسباب الوفاة للمرأة الحامل, وأشد خطرًا على حياة الجنين لأن انفصال المشيمة يحرمه من الدم الذى يمده بالأكسجين الذى يحتاجه ليبقى حيًا.. حالة نادرة لا تحدث إلا فى واحدة من كل 150 ولادة تقريبًا، وسببها غير معروف.. لذا ما إن عرفت بالحالة حتى انصببت على المريضة فوجدت أن حالتها متأخرة جدًا.. لحظة كتلك من اللحظات العصيبة على أى طبيب توليد فإما أن تكون بطلًا أمام نفسك وأمام الآخرين.. وإما أن تفشل لتعلن باستسلام أنها مشيئة القدر لتحيطك النظرات من حولك ما بين نظرات مواسية من زملائك أو سهام نارية حانقة تكتوى بنار الدموع من أسرة الحالة التى كانت بين يديك.. لحظات عصيبة مرت علىَّ برغم السنوات المتعددة لمزاولة مهنة الطب.. ولكن أن تعلم أن حياة مريض بين يديك الآن لهى مسئولية كبرى عليك أن تكون جديرًا بها.. هنا بداخل غرفة العمليات لا تكفى شهادات أو خبرات.. أنت والحالة وإرادة الله فوقكما فإما أن تكون سببًا فى النجاة أو تكون شاهدًا على الهلاك.. ولأن الحالة وصلت متأخرة بعض الشىء فبات الاحتفاظ بالجنين غاية صعبة المنال وهو أمر معتاد فى حالات انفصال المشيمة الخطير حيث تصل نِسَبُ احتمال فقد الجنين إلى 70 بالمائة أو أكثر.. وفى الحالات التى يتمكن فيها الطبيب من إنقاذ الجنين تتزايد معدلات اعتلاله.. عادةً لا يلتفت الزوج كثيرًا لبقاء الطفل أو فقده وتصبح أغلى أمانيه الإبقاء على حياة زوجته أما الزوجة فيكون حزنها أشد وكأنها ما رأته أبدًا إلا على شاشات السونار فقط وكنت أفكر دائما إذا كان هذا حزنها على من لم تراه أبدًا فكيف يكون الحال إذا ما كان المفقود طفلًا صغيرًا أو شابًا يافعًا وليس جنينًا لم ير النور بعد.



بمرور الثوانى والدقائق صار الجنين فى خبر كان وهو ما ترك فى نفسى غضاضة هذه المرة لعلمى برغبة الأبوين و مدى تعبهما من أجل الحصول عليه ومدى صعوبة تكرار ذلك.. ولكن صار علىَّ الآن مهمة إنقاذ الأم.. لا أخفى سرًا ولا أبالغ إذا قلت بأنى فعلت أفضل ما فى وسعى كالعادة فى مثل هذه الحالات كطبيب لإنقاذ هذه المرأة لعدة أسباب أولها الأمانة المهنية وثانيها إدراكى لجلل مهمتى فى إنقاذ انسان أيًا كان وكذلك تجنبًا للحالة التى سأكون عليها من الألم والندم لو لم أُوَفَّق.. مازلت لم أتخلص بعد من عقدة الإحساس بالذنب وتأنيب الضمير فى الحالات القليلة التى لم يحالفنى التوفيق بها ولم يُكتب لى النجاح فى إنقاذ الجسد المُسجى أمامى.

بعد دقائق قاسية بطيئة أنهيتُ دورى ناظرًا إلى تلك الأم أو التى كانت تحلم بأن تكون أمًا وهى فى غيبوبة تامة وفى حالة حرجة جدًا نظرًا لكمية الدم التى فقدتها جراء هذا النزيف.. غادرتُ غرفة العمليات وقلبى منقبض أشد الانقباض خوفًا على حياتها.. وخرجتُ لأجد زوجها فى انتظارى وقد التهم القلق أعصابه.. هذا رجل فقد ابنه من دقائق ولا أعلم إن كانت احدى الممرضات أخبرته أم لا.. فوجدتنى أقول فى اعتذار حقيقي:

- أنا أسف.. الجنين لم ....

فقاطعنى قائلًا فى استسلام:

- لقد نجا يا دكتور.. لقد نجا.. طمئنى على منال أرجوك!

لم أفهم وقتها النصف الأول من جملته وفى الحقيقة لم أكترث بمراده من هذه الكلمات وكان ما يشغلنى حقيقةً وضع زوجته الحرج فقلت له:

- حالتها صعبة.. ادعُ لها فهى بحاجة لدعائك



تركته وأنا مدرك تمامًا صعوبة موقفه.. فى حالات كهذه لا يصبح للكلام معنى ويكون الصمت أبلغ تعبير عن ما يكتنف بداخلك من مشاعر.. غير أن نظرات عينه تقول ما يجول بخلده.. هذا الرجل يحترق داخليًا خوفًا على زوجته أو فلنقل حبيبته.. فى هذه اللحظات بالذات تدرك بأنك ما أحببت أحدًا بقدر حبك لزوجتك وأن أى امرأة دونها لم تكن لتستحق حتى تلك النظرة التى منحتها لها وقت أن كان خافيًا عليك قطعة الماس التى يحملها لك القدر لأجلٍ قريب.. رأيت هذه النظرة سابقًا فى عيون منال.. نظرات عشقها لزوجها.. وأراها الآن فى عيون زوجها خوفًا عليها.

غادرتُ المستشفى عائدًا إلى بيتى فى سرعة مثيلة للتى قدمتُ بها إلى هنا أملًا فى الحصول على قسط هين من النوم لأبدأ بعدها يومًا جديدًا من العمل.

حين وصلت البيت (بيتى القديم قبل انهياره) كانت زوجتى وابنتى تَغُطَّانِ فى نومٍ عميق.. خلعتُ ملابسى لأرتدى البيجامة وأنام على مقعدى الوثير فى صالة منزلى.. لم يدم نومى على هذا الحال طويلًا فنهضتُ ناظرًا إلى ساعتى لأجدها تقترب من الخامسة صباحًا.. حاولت تذكر الأسباب التى دفعتنى للنوم هنا فتداعت الأحداث السابقة فى ذاكرتى.. فوجدتنى أتجه إلى تليفون المنزل محاولًا الاتصال بالمستشفى.. مرة واثنتان وثلاث.. متى يردون على الهاتف إذن؟ وأين النوبتجى المسئول؟ بإصرار أمسكت المحمول لأُجرى اتصال بإحدى الممرضات تكاد تكون هذه المرة الأولى منذ دخولى العمل أن أجرى اتصالًا بإحدى الممرضات للاطمئنان على إحدى الحالات فعادة أعطى التعليمات لهن قبل مغادرتى وعليهن تنفيذها بدقة وفى حالة وقوع أمر طارئ يقمن هن بالاتصال بى.. ولكنى هذه المرة وجدتنى مدفوعًا



للاتصال بإحداهن لمعرفة حالة منال.. قمت بالاتصال فوجدت الممرضة ترد بسرعة:

- صباح الخير.. كيف حالك يا دكتور؟

بخير.. طمئنينى.. الحالة التى جاءت تنزف ليلة أمس.. كيف حالها؟

- ....

- ماذا؟!!! كيف؟!!



إننا ما نخطط لنحيا حياتنا على النحو الذى يرضينا بقدر ما نخطط لإنهائها على النحو الذى رسمه لنا القدر سلفًا.



وَدَّ شريف لو تخطى بعض الأوراق ليعرف أخر هذه الأحداث التى يكتبها سليم, ولكنه كان يخشى أن تفوته تفصيلة أو حدث صغير يمكن منه استنباط أى معلومة عن سر اختفاء سليم بالإضافة إلى أن المتبقى من الصفحات ليس بالكثير.. لذا واصل القراءة متحفزًا, قراءة متأنية متفحصة, واتسعت مقلتيه طاردة أى فكرة للنوم قبل الإنتهاء من هذه الأوراق رُغمَ إشارة الساعة للثانية بعد منتصف الليل فجر يوم الأحد.

أغلقتُ الخط بمجرد سماعى رد الممرضة وأغلقت معى عيناها لتبدأ شاشة العرض السينمائى لعقلى ثلاثية الأبعاد نقية الصورة لتعرض فيلمً تسجيليًا قصير جدًا, مكثف جدًا, مؤثر جدًا, عالى الجودة, شديد التميز, لو اشترك بإحدى المهرجانات الدولية لنال عدة جوائز أهمها جوائز الإخراج والتصوير والمونتاج مع جائزة خاصة لمدير الإضاءة.

بطلة الفيلم هى منال فى أبهى صورها التى لا أظن أن لها صورة سيئة فى سنوات عمرها.. صور متعددة بتعدد زياراتها لى مع كادرات خاصة عن قرب وعن بعد من جميع الزوايا فى لحظات مختلفة مبتسمة, صامتة, قلقة, شاكرة, ضاحكة, راجية, وحيدة, بصحبة زوجها, جالسة أمام مكتبى فى العيادة بعد الكشف, متكئة على الشيزلونج, على السرير فى غرفة العمليات, ثم ملاءة بيضاء تغطى وجها جميلًا, بهيًا لم تغادره النضارة بعد رغم أن الروح فعلت, فى طريقه إلى مثواه الأخير.



يا الله.. رحلت منال وتركت عالمنا وكنت أنا أقوم بدورى المرسوم بعناية من جانب القدر لتضاف حالة جديدة واسمًا جديدًا فى سجل ضحاياى.. صحيح أنهم حتى الآن لم يتجاوزوا أصابع اليد الواحدة ولكن كل حالة منهم تركت بداخلى شرخًا عميقًا وجرحًا لا يندمل بسهولة.. لا أدرى لماذا لم أصبح مثل باقى زملائى من الأطباء؟ لماذا لم أصب بنفس البرود الذى صار ملازمًا لهم مع تعدد رؤياهم للمرضى والموتى لأسباب متباينة؟ نظرات الجمود والبرود والثبات وعدم التأثر تفضحها عيونهم، يخلفون وراءهم عشرات الموتى دون أدنى تأثير.. نعم بالفعل اسأل العديد من الجراحين كم عدد الوفيات من مرضاه.. مرضى الكبد والسرطان والجلطات.. جميعهم مشاريع موتى تمشى على الأرض أو مسجاة على فراش الموت.. مدعوة لمغادرة الحياة بتذكرة ذهاب مجانية لا يتبعها عودة.. لا يكون القرار بأيديهم عادة ولكن بعضهم يمتلك إرادة من حديد تحتفظ لنفسها بلحظات أخرى من الحياة وبعضهم يعلن الاستسلام ليقضى أمرًا كان مفعولًا.

ساعات وأيام مرت على بعد وفاتها وأنا غارق فى التفكير فى كل الأحداث والتفصيلات المتشعبة.. هذه المرأة كادت أن تفقد الأمل فى الإنجاب ولم يكذب طبيبها السابق حينما أخبرها بأن عليها أن تنسى ذلك حفاظًا على صحتها ومع ذلك لم تيأس وحاولت ونجحت المحاولة وقمت بدورى على الوجه الأكمل حتى يتم الحمل وتجنبت المشاق وابتعدت عن الضغوط بكافة انواعها وأذعنت للتعليمات الطبية فى سعادة ورجاء وتخطت الأشهر الأولى الحاسمة من الحمل وبدأ الجنين يكبر ويكبر ومع كل كشف أشرح لها حجم التغير الذى طرأ على جنينها وترى وتصغى بكل رضا وشكر حتى



تبقى أسابيع قليلة حتى تلمس حلمها الذى تكون بداخلها وتتحرق شوقًا لرؤيته واحتضانه, ليعلن القدر بعد كل هذا عن رأيه الحاسم والأخير.. تلك المرأة لن تلد بل ولن تعيش, قد يبدو الأمر فى ظاهره وكأنه عقاب على محاولتها وقد تكون غريزة الموت التى طالما قرأت عنها ولم أرى حالة واحدة بعينى بهذا القرب منى مثل هذه الحالة, هل غريزة الموت هى من دفعت منال للمحاولة مرة تلو الأخرى للحصول على طفل يحمل لها وله نهاية سريعة حزينة؟

بالطبع لا يمكن الجزم بهذا ولكن ما يمكن القطع به هو أنه بينما تخطط وتسعى للحصول على طفل.. كان القدر ينفذ خطته الكبرى للهدف الذى لا سبيل لعدم تحقيقه.. هذا الهدف هو إنهاء حياتها فى هذه السن وبتلك الكيفية, وإذا نَحَّيْنَا الأقدار جانبًا فأى حظ هذا الذى يجعل امرأة تحمل رغم صعوبة ذلك لمشاكل فى الرحم لتقع فى براثن مشكلة أعقد وأعوص هى انفصال المشيمة رغم ندرة حدوثها.

بعد هذه الحادثة بِتُّ أؤمن أننا ما نخطط لنحيا حياتنا على النحو الذى يرضينا بقدر ما نخطط لإنهاءها على النحو الذى رسمه لنا القدر سلفًا.

على أى حال ليس هذا ما أبحث عنه الآن حتى وإن كان شغلنى لبعض الوقت حينها ولكن ما أنا مشغول به الآن هو هذا الزوج الذى يُدعى منصور الدوكش, الوحيد الذى أعرفه من عالمى ورأيته فى العالم العجيب الذى بقيت فيه هذا الوقت العصيب لقد رأيته بعد علمه بوفاة الجنين لكنى لم أره ثانية عقب علمه بوفاة زوجته ولم أره بعدها أبدًا سوى فى أثناء وجودى فى عالم آخر.. هذا الأب المكلوم الذى ردد على مسامعى جملة



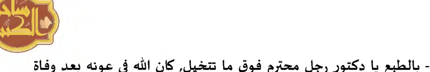
لم أكترث لها فى عالمنا ورددها على مسامعى صائحًا بها بينما أنا فى طريقى للعودة إلى عالمى, لكن لابد وأنها تعنى الكثير وتشير إلى الكثير حتى ينطق بنفس هذه الكلمات

(لقد نجا يا دكتور.. لقد نجا) ماذا تقصد بها يا منصور؟ أين أنت الآن؟ هل من جديد سنلتقى؟ كل من قابلتهم على هذه الأرض هم موتى أو على وشك الموت, فهل صرت أحدهم, أحد سكان هذا العالم من الموتى أو المقبلين على الموت؟ إن كنت ميتًا أو كنت فى طريقك إلى الموت فأظن أنه من العسير أن نلتقى إلا إذا كُتِبَت لك النجاة مثلى, وقتها فقط سأجد من يشاركنى معرفتى بهذا العالم وربما يقدم لى الإجابات عن الأسئلة التى تجول بخاطرى, لابد من الوصول إليك أو حتى معرفة ما آل إليه مصيرك.

فى الحقيقة لم يكن الوصول إليه صعبًا كما تصورت, بل أننى لم أظنه بهذه السهولة, لم أحاول أن ألجأ إلى عماد ثانيَة كى لا أثير شكوكه, سألت سعد مساعدى فى العيادة فقد كان الزوجان يأتيان معًا ويبقيان بعض الوقت قبل الدخول للكشف, ولعلمى بطبيعة سعد المحب للكلام والدخول فى مواضيع مختلفة مع المرضى يُسلى بها نفسه ويهون بها الوقت عليهم, فذكرته بمنال وزوجها منصور فوجدته يقول فى حزن:

- وهل يمكن نسيانها يا دكتور؟ بالطبع أتذكرها رحمة الله عليها واسكنها فسيح جناته

- حسنًا يا سعد وزوجها منصور أتتذكره هو الآخر؟



- بالطبع يا دكتور رجل محترم فوق ما تتخيل، كان الله في عونه بعد وفاة زوجته

- ألا تعلم عنوانه أو مقر عمله يا سعد؟ ألم يحدثك ذات مرة عن ذلك؟

- بلى بالطبع عرفت منه في إحدى الزيارات بأنه محاسب في بنك... وزوجته السيدة منال رحمة الله عليها تعمل معه ولكنه لم يذكر في أي فرع يعمل.

- أشكرك يا سعد

في الحقيقة لم أكن محتاجًا لما هو أكثر من ذلك، ويمكن بعد ذلك معرفة الفرع الذي يعمل به بسهولة.

أظن أنني اقتربت كثيرا من النهاية.



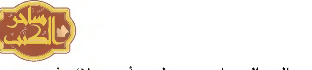
قانون الغابة واضح "الحملان تهشها الذئاب", أما قانون البشر "عذرًا, نفس القانون السابق"



سليم لازال غائبًا والوقت يمر والمخاوف تزداد والقلق يسود حتى أنه تسرب إلى ملاك الأسرة البرىء سلمى التى بسهولة لاحظت أن الأمور ليست على ما يرام واستطاعت بفطرتها إدراك أن هناك خطب جلل يخص والدها, عادة قد يغيب بعض الوقت ولكن لا يصاحب غيابه هذا التوتر والخوف منجانب والدتها فلا تلبث أن تسأل:

- أين بابا يا ماما؟

قد تتلقى جواب فتكون الإجابة " سيأتى قريبًا يا سلمى" وقد تكون الإجابة منزوعة الكلام مُطعمة بالمشاعر مغلفة بالخوف مكسوة بالحيرة, فتضمها والدتها إلى حضنها دون أن تغمغم ولو بشبه إجابة, تسكت سلمى ولكن جيهان كالغزال المذعور الذى يشعر باقتراب الخطر ولكنها لا تعلم ولا يمكنها تحديد الجهة القادم منها هذا الخطر, تود لو تركض فى جميع الاتجاهات لدرء هذا الخطر ولو بإمكانها الوصول لسليم فقط لتطمئن عليه ولكن التمنى سهل وبلوغ الأمانى غير ذلك, كل هذا وعماد يتابع عن قرب تدرج الحالة السيئة لأخته وابنتها, يحاول هو الآخر طمأنة نفسه وبثهم هذا الشعور بأنها ساعات قليلة وسيأتى سليم كعادته ليغمرهما بحنانه ورعايته, ولكن فاقد الشىء لا يعطيه, هو نفسه قلق فكيف يمنحهم الهدوء؟! وعلى الرغم من ذلك كان عقله يعمل دون توقف, هذه هى قضيته الخاصة وهو المكلف الأوحد بها, وقرر البحث وراء النقاط التى تثير الريبة فى حياة سليم, وهى الخاصة بسؤال سليم لعماد عن جريمة تمت فى الإسكندرية حيث اختفت فتاة باسم صفاء ولا أحد يعلم مكانها أو سر اختفائها وهو ما سأل عنه سليم, فما كان من عماد إلا أنه أخبره بجهة



التحقيق وأخر ما وصلت إليه التحريات عن طريق أحد زملاؤه في الإسكندرية , وأخبر سليم بأنه لا جديد لأن المواصفات التى أعطتها صديقتها للراكب في السيارة غير كافية, كما أنها لم تلتقط رقم السيارة وأن الأمور لو استمرت على هذا فإن القضية في طريقها إلى الحفظ, تلك هى المعلومات التى عرفها عماد وأبلغها لسليم, تُرى هل لهذا الموضوع علاقة باختفاء سليم؟ فالفاصل الزمنى بينهما لا يتجاوز أسابيع قليلة.. هذا ما كان يدور بخلد عماد فقرر الاتصال بصديقه طارق في الإسكندرية لمعرفة أخر تطورات هذه القضية, وبالفعل هاتفه فرد صديقه على الفور:

- عماد, أين أنت يا رجل؟

- أنا هنا يا طارق, وإن لم أسأل أنا فلا تسأل أنت؟

- سامحنى يا عمدة, ولكنى أفتقد حقًا أيامنا معًا يا صديقي

- وأنا أيضًا ليتها تعود

- تعود نعم ولكن بعيدًا عن الكلية

- هههههه معك حق, سأنتظرك في القاهرة أو تدعونى على وجبة سمك لديك في بحرى

- تعال أنت فقط وستتناول أفضل وجبة سمك تذوقها في حياتك

إن شاء الله يا طارق, أتذكر الحادثة التى سألتك بشأنها والتى تخص اختفاء فتاة باسم صفاء؟

- بالطبع يا عماد, لقد حللنا لغزها أخيرًا



- حسنًا وتوصلتم للفتاة؟

- لا للأسف توصلنا لجثتها

- ماتت؟! قالها مصدومًا

- بل قُتِلت بعد أن اغتُصِبَت؟

- وأمسكتم بالجانى؟

- تقصد الجناة, لم يكن واحدًا بل كانوا ثلاثة أوغاد

- وكيف وصلتم إليهم؟

- هدية من السماء جاءت لترشدنا نحو أحد الجناة

- هدية؟!!!

- نعم هدية, رسالة من فاعل خير تعطى مواصفات أكثر دقة لقائد السيارة التى اختطفتها, كان من السهل بعدها الوصول إليه وعمل تحريات عنه ومراقبته حتى أوقعنا به وقد دلنا على شريك له بينما فَرَّ الثالث وجارى البحث عنه فى الوقت الحالى

- ومن هم الجناة يا طارق؟

سائق ميكروباص واثنان آخران يعملان فى محل قطع غيار السيارات يربطهم الكيف والمزاج كل ليلة, وفى هذا اليوم اختطف اثنان منهم الفتاة فى الميكروباص وَخَدَّرَاهَا وذهبا بها إلى منزل الثالث فى منطقة معزولة, تناوبوا الاعتداء عليها وحين اقتربت من الاستفاقة ضربوها وأعطوها



جرعة أخرى مخدرة, وتناوب ثلاثتهم الاعتداء عليها وهى تحت تأثير المخدر, ثم بعد أن انتهوا وجدوها ميتة, لا أظن أن لها مصيرًا أخرًا بعد أن فعلوا بها ذلك. كانوا مذعورين فألقوا بها عند الطريق الدولى بعدما توغلوا فى الدخول على أحد جانبى الطريق ثم أخرجوا الجثة من السيارة وألقوها هناك وهما مفزوعين بحسب وصفهما. أتعرف المثير للغثيان فى الأمر أننا حتى الأن لا نعرف إذا كان سبب الموت النزيف الذى نتج بسبب الإعتداء عليها أم الجرعة المخدرة الزائدة التى حقنوها بها, وربما يكون وقع اعتداءهم عليها فى المرة الثانية بينما روحها غادرت جسدها أو فى طريقها لمغادرة الحياة. نحن الآن فى انتظار تقرير الطب الشرعى لمعرفة سبب الوفاة ولكنهم فى كل الأحوال لن يفلتوا من حبل المشنقة.

بعد سماع تلك التفاصيل سرت قشعريرة فى جسد عماد, برغم اشتراكه فى التحقيق للعديد من الجرائم ولكن هذه التفاصيل نالت من ثباته.

- وهل توصلتم لفاعل الخير الذى دلكم عليهم؟

أنت تعرف يا عمدة هذا لا يهمنا كثيرًا, ربما أحد الشهود ولا يريد سين وجيم, ربما أحد أعدائهم وعَلِمَ بالموضوع, المهم أنه تم حل اللغز

- هل لى من طلب يا طارق؟

- بالطبع يا عماد تفضل

- أريد رقم أسرتها, لابد وأن حالتهم صعبة

- الأم فى المستشفى بعد دخولها غيبوبة منذ فترة, والأب يكتم فى نفسه ودموعه لا تنقطع



- كان الله فى عونهم, أعطنى رقم هاتفهم سأتحدث إليهما بعد أن تتحسن أحوالهما قليلًا

- تمام سيصلك الرقم فى رسالة, لأنه ليس معى الأن

أغلق عماد الخط بعد أن تعرف على حقيقة هذه القضية, لم يجد مكانًا لسليم بها أو هكذا تصور, لولا أن هناك بذرة شك عجيبة تنمو بداخله تحوم حول فاعل الخير الذى أسهم فى حل القضية.

ارتياب لا يعلم إن كان فى محله أم لا وعليه أن يقطع الشك باليقين.



ما ذاق مر الموت قبل مذاقهِ　　إلا مُحِبٌّ غاب عنه حبيبُ

النارُ فى أحشائِهِ مَشبُوبَةٌ　　والدمعُ فى أجفانِه مَسْكُوبُ

جندان مختلفان يعتورانِهِ　　لِيَتِمَّ فى الدُنْيَا لَهُ التَعْذِيبُ

أبو أحمد اليمانى



(20)

تحتاج قبل أن تنام أن تدس همومك وأوجاعك فى حقيبة وتلقى بها من الشباك حتى تتمكن من النوم.. ولكن لا تسأل متى ولا كيف عادت بجوارك فى الصباح.. فهذه إحدى عجائب الحياة, أما منصور فالقدر لم يكتف معه بذلك, بل جعله يصطحب معه هذه الحقيبة أثناء نومه حاملًا إياها على ظهره, يغترف من عالمه الأخر مزيدًا من الأوجاع.

هذا وقد صارت حياته أشد بؤسًا وأكثر شقاءً بعد وفاة ابنه وزوجته, رحلت وليمة قلبه وزاد روحه, تاركة إياه تتقاذفه الأمواج فى بحرٍ غاضبٍ غير مأمون الجانب رغم قدرته على السباحة, يتحسر على أيام جميلة كانت تشاركه فيها زوجته المرح وَتُهَوّنُ عليه الكثير مما يلقاه فى ليله.

يا لها من وردة منحت لعمره عطرًا أبديًا فى صورة ذكريات.. كانت حياته قبلها أليمة عسيرة, وصارت أكثر ألمًا وأشد قسوة بعد رحيلها, صار صورة مجسدة للتعاسة تسير على قدمين ومثال حى لليأس فى ثوب آدمى. هكذا يمكن القول أن حياته انتهت ليس بالموت ولكن بالأنين.

زملاؤه وأصدقاؤه وحتى جيرانه صاروا أكثر إشفاقًا عليه أكثر من أىّ وقتٍ مضى, فى البداية قبل زواجه لم يتمكنوا من تفسير انطوائيته وعزلته والهم البادى على ملامحه, ولم يحاولوا التدخل أو كسر هالة الغموض التى تحيط به, أما بعد زواجه وتعرفهم على شخصية مغايرة عن تلك التى عرفوها عنه صاروا أكثر تقربًا منه وأكثر حرصًا على الوقوف بجانبه بصفته زميل حَسَنُ المعشر لم يُجِدْ التعبيرَ عن نفسه لهم, وبعد وفاة زوجته أصبح موضع إشفاق وتعاطف كل المحيطين به من زملائه وجيرانه,



وبدا لهم منصور رجلًا تعرض لمحن وابتلاءات أكثر مما يحتمل الغالبية من البشر، ولكنه برغم هذا لا يشكو ولا يملأ الدنيا ضجيجًا تعبيرًا عن معاناته، فقط ينزوى ويميل للصمت ويهمل مظهره إلى الحد الأدنى المسموح به فى العمل.. لذا لم يعد أحد يندهش من مظهره ومن نحوله المستمر وتردى أحواله.

أما منصور نفسه فلم يفهم الحكمة من تغير مجرى حياته بعدما اعتاد الألم قبل دخول منال حياته لتمنحه سعادة لا حدود لها ثم سرعان ما سلبته الحياة إياها ليعيش محاطًا بقدرٍ كبير من الذكريات تزيد شقاءه أكثر مما تهون عليه ويزيد الألم وتزداد الظلمة.

فى نفس الموعد من كل يوم يعود إلى بيته شاردًا هائمًا لا يبالى بأى مما يقع حوله، وحده فقط العمل هو ما يحوذ على تفكيره نهارًا لأنه السبيل الوحيد لتوفير ما يقتات به ولولا ذلك ما انشغل بأيّ شيء.

صعد منصور السلم حتى وصل إلى الطابق الثالث الذى تقع به شقته، فتح الباب بالمفتاح الذى أخرجه لتوه من جيبه ثم ضغط على زر الإضاءة لينبعث الضياء من نجفة مُعَلَّقَة فى الصالة تكشف عن أكوام متراكمة من الأتربة حولها حتى أن أشعة الضوء تجد صعوبة فى اختراق هذا الكم الهائل من الغبار، حتى تلك الحزمة من الأشعة التى نجحت فى الانبثاق ارتمت على محتويات الغرفة كاشفة عن طبقات أخرى من التراب تحيط بجميع المحتويات، لقد وجد التراب ضالته فى هذا المنزل ولن يفارقه مادام صاحبه لا يبالى. خلع منصور حذاءه ثم جلس على أقرب مقعد ناظرًا إلى سقف الحجرة الذى امتلأت أركانه بخيوط العنكبوت، قد يبقى على هذا الحال ساعة أو ساعتان قبل أن يفكر فى تغيير ملابسه ثم يبحث فى

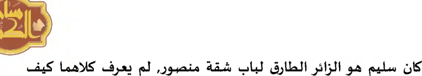


الثلاجة الفارغة عن أيِّ طعامٍ يُبْقِيهِ على قيدِ حياةٍ لا يرغب بها, لولا خوفه من الجزاء لانتحر منذ زمن.. يبدو أن كلا العالمين الذين جابهما طولًا وعرضًا متمسكان به في الوقت الذى يتمنى هو أن يلحق بالعالم الذى سبقه إليه والده ووالدته وابنه وحبيبته.. كل أحبائه سبقوه إلى العالم الحقيقى الذى لا ظلم فيه ولا جور حتى جده الذى أورثه هذه اللعنة فارق كلا العالمين وقد تاب عَمَّا اقترفه, كم يشتاق منصور للموت, لا أحد على وجه الأرض يتمنى الموت مثله ولكن حتى الموت لا يأتى فى الوقت الذى تتمناه فيه, لابد وأن يكون هو سيد الموقف يباغتك متى شاء ويأتى متى أراد لا متى تريد أنت.

بينما منصور على هذه الحال سمع طرقات متأنية على باب شقته, لم يكن به من القوة ما يسمح له بالنهوض وليس لديه أى رغبة لرؤية أى شخص, وفى الغالب لن يخرج الطارق عن محصل الكهرباء أو محصل الغاز وهو لم يعد بحاجة لكهرباء أو غاز, لن يفتح فليفعلا ما يحلو لهما.

لدقيقتين متتاليتين لم تتوقف الطرقات وجرس الباب يستغيث من كثرة النداء والباب يستنجد وكأنه قد أرهقه التعب ويتمنى لو ينقذه منصور مِن هذا الطارق.. زادت الطرقات حدة وأصبحت أسرع وأشد.. يا له من إزعاج.. أخيرًا قرر منصور النهوض وإذا به يفتح الباب ليجد وجهًا لم يعد يتذكره أو كاد, استغرق الأمر بعض اللحظات وكلاهما ينظر للآخر.

منصور يحاول تذكر صاحب الوجه, والشخص الأخر يحدق به لا يصدق كَمّ التغير الذى طرأ على هذا الوجه منذ أخر مرة رآه فى المستشفى.



كان سليم هو الزائر الطارق لباب شقة منصور، لم يعرف كلاهما كيف يبدأ الكلام حتى تخطى سليم صدمته وفرحته. صدمته بالحال الذى وصل إليه منصور وفرحته بالعثور على منصور حيًا، حتى قال فى هدوء:

- أتسمح لى بالدخول يا أستاذ منصور؟

لم يُجِب منصور ولكنه أفسح له الطريق مشيرًا له بيمينه كى يدخل ثم أغلق الباب.

هال سليم منظر البيت من الداخل، الفوضى وعدم النظافة وقلة الإضاءة سمات واضحة للعيان لا تحتاج لقليلٍ من تمحيص، لابد وأنه كان أجمل من ذلك بكثير، فى صمت أشار له منصور على أحد المقاعد، لم يجلس سليم ولكنه قال فى أسف حقيقى:

- البقاء لله يا أستاذ منصور

لم يُعَقِّب منصور ولكنه حرك رأسه تفهمًا، وعيناه ينزفان ألمًا، ثم قال سليم:

- سامحنى يا أستاذ منصور لقد حاولت ولكنى... فقاطعه سليم بإشارة من كف يده وايماءة برأسه أن لا عليك.

كانت الإجابات الصامتة من منصور مُرْبِكَةٌ لسليم لدرجة جعلته يخجل من أن يتحدث مع رجل فقد زوجته وابنه فى موضوع حول عالم آخر حتى لو كان متأكدًا من وجوده هناك وأنه قد رأى منصور نفسه فى هذا العالم، ماذا لو أنكر منصور؟ سيعرف حالًا.



قال سليم متحليًا بكثير من الشجاعة والتركيز:

- فى الحقيقة يا أستاذ منصور فى أخر مرة تحدثنا فيها قلت لى جملة لم أفهمها حتى الآن وكنت بحاجة لتفسيرها منك.

نظر له منصور مليًا مفكرًا بداخله قبل أن يقول:

- أى لقاء تقصد يا دكتور وفى أى مكان بالضبط؟ ثم رماه منصور بنظرة مستفهمة, فتشجع سليم أكثر فأردف:

- حين أخبرتك بوفاة الجنين قلت لى (لقد نجا يا دكتور لقد نجا) ما الذى نجا منه؟

كان منصور بالفعل فاقدًا لأىِّ رغبةٍ فى الكلام ولكنه لم يَجِدُ بُدًّا من القول:

- ولماذا تشغل نفسك بهذه الجملة يا دكتور؟

لم يعرف سليم ماذا يقول ولكنه باغت منصور بسؤالٍ آخر:

- متى رأيتنى أخر مرة يا أستاذ منصور؟

لم تبدُ المُفَاجَأَةُ على منصور فقال فى ثقة أربكت سليم:

- أنت تتذكر جيدًا أخر مرة التقينا بها!

نظر سليم مستفهمًا لمنصور ولكنه لم يظفر بإجابة فأضاف منصور:

حمدًا لله على سلامتك يا دكتور وقبل أن يفرح سليم بهذه الجملة أردف:



- من الواضح أنك تعرضت لحادث غير هين

فبدت الخيبة على وجه سليم, فقال مُنْفَجِرًا في منصور:

- لقد رأيتك أثناء هذا الحادث

ساد الصمت دقيقة ثم تحدثم نصور في هدوء بعد أن تأكد من سبب الزيارة:

- اسمع يا دكتور! فأخر ما أرغب به الآن اللف والدوران, فلتحمد الله على عودتك سالمًا من هذا الحادث ولا تشغل بالك بما رأيت في هذا الوقت.

- إذن ما رأيته لم يكن وهمًا أو هلاوس, وأنت كنت موجودًا هناك؟

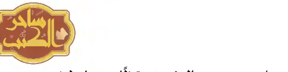
صمت منصور وبدا عليه عدم الرغبة في الكلام فقال سليم:

- أرجوك ساعدني فأنا أريد أن أرتاح

- الراحة هي ما أنت فيه الآن, في البداية لم أكن متأكدًا من سبب الزيارة ولا أريد لأحد أيًا كان أن يتهمني بالجنون, وبعدما تأكدت من سبب قدومك, يمكنني القول كي ترتاح أكثر لقد نجا ولدي من هذا العالم الذي رأيتك به أخر مرة يا دكتور.

- كيف نجا؟ ولماذا رأيتك هناك من الأساس؟

- إنه عالمي يا دكتور.. هذا العالم هو عالمي الثاني الذي لا يعرف أحد به ولا حتى زوجتي.. الشقاء في أبهى صوره.. العذاب في أوضح معانيه.. ثم في ألم صرخ منفجرًا:



- أنا الملعون يا دكتور الذى يحيا بجسده مع البشر متيقظًا ويحيا طيفه بين الشياطين متى صار نائمًا. أنا الذى أشاهد الأهوال وأشهد بنى البشر وهم يتألمون ويموتون مئات المرات ولا أستطيع إلا المراقبة أود لو أنقذهم وأنا حتى غير قادر على إنقاذ نفسى

- لا أفهم, مهلًا أى شياطين تقصد؟ هل من رأيتهم هناك شياطين أم بشر طبيعيين؟

- لا يا دكتور.. إنهم بنى البشر تعساء الحظ الذين ألقى بهم نصيبهم هناك فى أكثر الأماكن هدوءًا فى هذا العالم, أولئك الذين لم يقترفوا إثمًا سوى أنهم لم يُدفنوا وهو كما تعلم أمر خارج عن إرادتهم.. من رأيتهم يا دكتور هم نزلاء سجن الموتى.



ما من سجين إلا ويحدوه الأمل فى انقضاء مدة حبسه أوحتى الهروب يومًا ما ولكن فى سجن الموتى فالأمل ضيف خفيف لا يطيل البقاء

(21)

-ملعون؟؟!! سجن الموتى! سجن الموتى!

كررها سليم مندهشًا من هذا الاسم بينما تتكرر في أذنه عشرات المرات ما هذا الاسم المُقْبِض؟ ولكن برغم غرابته وجده مناسبًا جدًا لحقيقة ما يدور هناك. فسأل سليم منصور للتأكد:

- وماذا يعني هذا الاسم؟

- سجن الموتى هو المكان الذي يضم كل من اقترب جدًا من الموت أو كل من مات بالفعل ولم يواريه الثرى ليبقى منعزلًا في هذا العالم دون قدرة على العودة لعالمه ما لم يجدوا جسده إن كان حيًا أو جثته إن كان ميتًا ويتم دفنه.

- ولماذا أنا الوحيد الذي زرته من ضحايا سقوط العمارة بينما الأخرون لم يزوروه؟

- لأنك بالفعل كنت أقربهم للموت وفي حالة غياب تام عن الوعي وبقيت ساعات طويلة تحت الركام, ولو تأخر جيرانك بعض الوقت مثلك تحت الأنقاض لصاحبوك إلى هذا العالم, ولو تأخروا قليلًا في إيجادك لعدت إليهم جثة لا حياة فيها, على أي حال كان هذا كفيلًا أيضًا بخروجك من سجن الموتى لأنك وقتها ستنال حظك من الدفن في باطن الأرض

- ولكن كيف لك أن تعيش في كلا العالمين؟ ولماذا أنت ملعون وملعون ممن؟



- هذه قصة طويلة يا دكتور

- وأنا أريد أن أسمع من فضلك

يبدو أن طلبه لاقى قبولًا لدى منصور, أخيرًا سيحكى السر الذى لم يجرؤ أن يرويه لأحد طوال عمره, بعد دقائق من التردد روى منصور لسليم لعنته وقصة جده مع الساحر الإفريقى وتعاونه معه ثم قصة توبته والعقاب الذى تعرض له من هؤلاء الكائنات بأن يصير أسيرهم فى عالمهم عقابًا له لحنثه وعده معهم وتخليه عنهم, واللعنة التى صارت من نصيب الجد ولذريته من الذكور من بعده.. حتى جاء دور منصور والعذاب الذى شهده بعد موت والده ثم قصة زواجه من منال لعلمه بعدم قدرتها على الإنجاب وأثر ذلك فى قبوله الزواج منها ثم محاولاتها الإنجاب والباقى يعرفه سليم جيدًا,

فهم الآن الجملة التى حَيَّرَتْهُ كثيرًا (لقد نجا يا دكتور).

بداخله لم ينكر سليم بأنه لو سمع هذه القصة من شهور فقط لاتَّهَمَ راويها بالجنون, أما الآن فهو مستعد لتصديق أى كلمة يقولها منصور, لذا سأله:

- وما طبيعة دورك فى هذا العالم؟

- من الأفضل ألا تعرف يا دكتور

- ولكنى مصمم؟ وأظنك بحاجة للحديث؟



- الحديث لن يقدم ولن يؤخر ولكنى سأروى فضولك.. هذا هو العالم الخفى يا دكتور.. العالم الذى يسكنه الشياطين, عالم لا نعرف عنه شيئًا ولا يمكننا الوصول إليه إلا إذا أرادوا هم لمن يحل عليه غضبهم مثلما حدث لجدى.

- هذا بالنسبة لك أما أنا فلا لعنة تطاردنى ولم أغضب أحدهم, فكيف يتم هذا وأرى ما رأيت بينما جسدى كان مازال موجودًا تحت الأنقاض حين رأيتك بهذا العالم؟

مخطئ من يظن أن الإنسان منا جسد وروح فقط يا دكتور, إننا مجموعة متشابكة من الأشياء التى لا يمكن تصورها ونلخصها فى الروح والجسد, فأما الروح إنما علمها عند الله وأما الجسد فهو فانى ولكن لكل فرد فى عالمنا طيفًا بجانب مجموعة من المشاعر والشحنات العاطفية والذبذبات والموجات المنبعثة من جسدك ورأسك, هذه أشياء لا تفنى جميعها مثل الجسد تظل موجودة, لم يتحدث عنها عالمنا بالشكل الكافى ولم يصل البشر فيها إلا لأقل القليل, قد تبقى مع الجسد وقد تنفصل عنه, لذا تجد كثير من الظواهر لا يمكن تفسيرها وفقط يتم نسبتها إلى الشياطين.. هم أيضًا ليس بالضرورة أنهم يتحركون بيننا بأجسادهم أو أرواحهم ولكن قد يرجع ظهورهم لوجود أطيافهم بيننا.. ولكنهم يسعون لزيارتها بين الحين والأخر ليعيثوا فسادًا فى عالم البشر وسعادتهم أشد بمن يطلب منهم المساعدة, فذلك يُرضى غرورهم ويُشعرهم بأهميتهم وفضلهم على الإنسان وحاجة بنى أدم لهم, ولكنهم حتى وإن قاموا بزيارتها ومكثوا بها بعض الوقت فإنهم لابد وأن يعودوا إلى عالمهم الذى يسكنه بعض أطيافنا مع احتفاظ هذه الأطياف ببعض سمات الجسد فهذا الطيف يئن ويتعذب مثل الجسد بالضبط, فى هذا العالم رأيت الكثير من المَرَدة والشياطين..



رأيت مناظرهم البشعة وشممتُ روائحهم الخبيثة القذرة وعرفت طعامهم المُقرف الذى يُعَدُّ الخراء أنظفه ولا يشتهونه كثيرًا، لن أنسى أول ليلة قضيتها هناك كدت أموت اشمئزازًا وليتنى فعلت، بُحَّ صوتى من الصراخ، لا أعرف كيف تحمل عقلى، ما أصبره معى! لا أعرف إن كانت الأطياف تموت أيضًا أم لا أو كيف تموت ولكنى حين استيقظت كنت أصرخ بأعلى صوتى لأه..لأهثم عَقَّبَ فى ابتسامة باهتة وسخرية تنبض بالمرار:

- كهذا الممثل فى ذلك المسلسل الشهير مع تغيير بسيط منصور الدوكش بيقول لأ حسنين الدوكش بيقول لأ.

ابتسما كلاهما بعد أن وجد منصور أخيرًا من يمكنه سماعه دون أن يخجل أو يخاف أن يشك فسلامة عقله ثم سرعان ما عاد منصور ليواصل الكلام:

- سأظلم البلاعات ومواسير الصرف الصحى لو شبهت بيوتهم بها، أقذر ما يمكنك تخيله لن يصف عُشر القذارة التى تحيط بهم، حتى أنى فى البداية لم أفهم لماذا كان الإفريقى يقدم لهم جثث الحيوانات بعد ذبحها؟ فكما علمت بأنه لابد من الدم لاستحضار هذه الكائنات لذا كان الإفريقى يقوم بذبح تلك الحيوانات كأحد طقوس الاستحضار، حتى عرفت فيما بعد أيضًا بأن دماء هذه الحيوانات وروائحها تحفزهم وتقودهم إلى المستحضر الذى جلبهم ويطلب منهم المساعدة مقابل إحضارهم لعالمنا كى يهيموا ويتجولوا لبعض الوقت كيفما يشاءوا فى الأرض التى منحها الله لأدم وبنيه محاولين السيطرة وإغواء أكبر عدد من بنى البشر للتعاون معهم وبالتالى بسط نفوذهم على هذه الأرض، وفى مقابل ذلك يقدمون بعض الخدمات لمعاونيهم من البشر، على أن يبقى متصلًا بهم طوال فترة بقائه على الأرض،



أما أنا فبينما يذهب الجميع لينام, أذهب أنا لألحق بهذا العالم الذى لا مفر منه لتبدأ ساعات من الشقاء لا يضاهيها شقاء على أرضنا حتى صرت أكره النوم وقللت ساعات نومى للحد الذى يبقينى على قيد الحياة ومهما تغيبت عن النوم فأعود لأعوض هذه الساعات بساعات أخرى من النوم يلتهمنى خلالها العذاب التهامًا.

كان سليم يصغى باهتمام بالغ يحاول الفهم

- ولكنى لم أرى أيًا من تلك الكائنات فى هذا العالم الخفى؟

هذا لحسن حظك ولأنك لم تتواجد سوى بسجن الموتى, وهو أكثر الأجزاء نظافة وهدوءًا فى هذا العالم. ربما لأن سكانه من البشر حتى لو كانوا موتى ولكننا اتفقنا بأن أجسادهم لازالت مفقودة فى أرضنا ولا أظن أن للأطياف نفس روائح الجثث والجيف.

- إذن طيفى كان نزيلًا بسجن الموتى بينما جسدى يرقد تحت الأنقاض؟

- نعم بانتظار أن يواريه الثرى حتى يتحرر طيفك أو العثور على جسدك ليعود طيفك معه

- ولكن ما ذنب نزلاء سجن الموتى هؤلاء وأى جريمة اقترفوها لينالوا هذا العذاب ويسكنوا هذا المكان؟

- نحن نعيش على أرض العدل فيها أعز مفقود, لو كان العدل كائنًا حيًا لانقرض منذ زمنٍ بعيد, فلا مكان له فى هذا العالم كما هو الحال فى أرضنا, وهل من العدل أن أرث لعنة لا ذنب لى فيها, ألقى بسببها العذاب يوميًا متجولًا فى أرجاء وأركان هذا العالم؟ هو قانون يسرى على الجميع



كل من يقترب من الموت أو مات بالفعل ولم يضمه قبره ولم يبتلعه باطن الأرض, يجد نفسه نزيل بسجن الموتى, معزول تمامًا ولا مفر من ذلك

- وهذا هو الجزء الوحيد الذى يحتوى على بشر أو فلنقل أطياف البشر؟

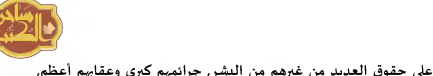
هذا العالم كبير جدًا أنت لم تر به سوى هذا الجزء الذى قابلت به حسن وصفاء والذى يسمى سجن الموتى, هناك أجزاء أخرى أشد إيلامًا وأسوأ مصيرًا, هناك حدود بين كل جزء وأخر أجتازها ليلًا فى أحلامى مواجها لعنتى, وهناك أماكن لم تصلها قدمى بعد ولا أرغب حتى.. يكفينى ما أراه

- ولكنى شاهدت أيضًا الجنود الذين يمارسون نفس الدور

- توقعتُ ذلك إنها لعبة مستمرة لا تنتهى ولكن بجانب ما رأيته هناك أماكن أخرى لم تشاهدها وبها أطياف أخرى من البشر

- أيُّ أماكن؟

- يوجد أرض المنتحرين وهو مكان يجمع أطياف كل من أقدم على ارتكاب هذه الجريمة فى حق نفسه وإزهاق روحه التى منحها له الله ليحافظ عليها, فالانتحار ما هو إلا مجرد هروب من عذاب مؤقت إلى عذاب أبدى وهو كذلك تجسيد للغباء حين يرتدى ثوب الشجاعة, ومن يُزْهِقُ روحه بيده, يجد نفسه نزيلًا بهذه الأرض ليقوم بمحاولات قتل نفسه لعدد لا نهائى من المرات ويذيق نفسه صنوف العذاب مع تنوع غريب من طرق شيطانية مختلفة لقتل النفس وليست كتلك الطرق المعتادة التى يقوم بها البشر فى دنيانا لإزهاق أرواحهم, إنما طرق شنيعة أليمة لا يمكن تخيلها, ويوجد أيضا مدينة العتاة وهى تضم صنوف من البشر العصاة العتاة الذين ارتكبوا جرائم وشنائع فى حق البشر, هم مجرمون واعتدوا



على حقوق العديد من غيرهم من البشر, جرائمهم كبرى وعقابهم أعظم, أراهم يومًا بعد يوم يذوقون ألوانًا من العذاب عقابًا لما فعلوه بإخوانهم من البشر.

- وما دورك فى هذه الأماكن؟

- أدوار متنوعة أنا خادم فى مكان, وأداة للتعذيب فى مكان وشاهد على الألم فى مكان, وسَجَّان فى مكان وأواجه تحديات عديدة فى هذه الأماكن أما الدور الأعم الذى يجمع كل الأقسام معًا هو مراقبة تلك الأماكن وما تحويه من عذاب وألم وذلك على سبيل تعذيبى أنا شخصيًا وما أنا إلا مسجون فى هذا العالم وسَجَّان على هؤلاء فى نفس الوقت ولكنى فى الحقيقة سجين مؤقت, سجين فى كوابيسى كل ليلة... فى الوقت الذى يذهب فيه الجميع للسرير طلبًا للراحة, أعود أنا لسجنى الخاص للقيام بتلك الأعمال القذرة ومواجهة تحديات لا تنتهى والقيام بأدوارى الكريهة ومراقبة أطياف المعذبين من البشر والمشاركة فى تعذيبهم, وفى كل الأحوال أتعذب لعذابهم وأتألم لآلامهم بجانب ما ألقاه أنا من عقاب.

آه لو علم البشر ما أعلم, آه لو رأوا ما رأيت.. لذهبوا إلى قبورهم بأقدامهم خوفًا من مصيرٍ آخر حاملين أوزارهم فوق أكتافهم طالبين الصفح عن كل ما اقترفوه فى دنياهم وأدركوا كم أن الموت رائع ومريح بحق وليس مخيفًا إلى هذا الحد.

ران الصمت بعد أن فَزِعَ سليم مما سمعه, حقائق تبعث على الدوار, ولوهلة فكر أيهما أشقى حسن الذى يعيش طيفه فى سجن الموتى أسيرًا لهذا العالم يدفع ثمن جريمة لم يرتكبها وهى جريمة عدم دفن جسده أم

منصور الذى يُعَدُّ عامِلًا مُشتَرَكًا وحيدًا بين كلا العالمين ويرى من الأهوال ما يفوق ما رآه حسن بل ويشهد ما يدور فى هذا العالم الخفى؟!!

نظرات منصور له نظرات ثابتة جامدة لا توحى بأى معنى فغمغم سليم:

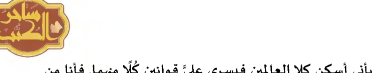
- وما أخر هذا الجنون الذى تحيا فيه؟ فصاح منصور فى حنق عارم وقد جُنَّ جنونه:

- أنا أخره يا دكتور، لن أسمح بأن تتوارث اللعنة لأحد غيرى، أنا نهاية هذه اللعنة، علمت ذلك منذ اليوم الأول الذى حكى لى فيه والدى عن مصيرى بعده، كاد حبى لمنال أن يفسد ما خططت له ولكن لأن ليس ما ينقصنى تأنيب الضمير تجاه ابنًا لى يمنحنى السعادة فأمنحه الشقاء ولأنه يكفينى ما أنا فيه من عذاب، فقد ساعدنى القدر، ولكنى فى المقابل دفعت ثمن هذه المساعدة، دفعته مُرْغَمًا وكان الثمن هو منال أجمل ما وقع لى فى هذه الدنيا.

- لا.. لا أظن وأن هذه هى النهاية الوحيدة الممكنة، لابد وأن هناك طريقة أخرى للخلاص مما أنت فيه، لا يوجد شقاء دائم بهذا الشكل

- أنت رأيت بنفسك يا دكتور مدى الشقاء الذى يمكن أن تواجهه، وكنت على وشك الاستمرار فيه مع العلم بأنك لم تر شيئًا من العذاب الحقيقى والتنكيل والقسوة التى لا يمكن تخيلها حتى فى أبشع الروايات والأفلام أو من أكثر البشر سادية

- هذا يحدث فى سجن الموتى يا منصور وليس على أرضنا



- وأنت تعلم بأنى أسكن كلا العالمين فيسرى علىَّ قوانين كُلًا منهما, فأنا من يحيا نصف حياة ويموت نصف موت

- ما هذا اليأس والاستسلام الذى تتحدث به؟

هاهاهاها ضحكة مدوية أطلقها منصور تبعته آهة مرتجفة مرتعدة,

- ومن أين يجيءُ الأمل؟ وأمل فى ماذا أو فى من؟ ماذا لو لم تر بنفسك يا دكتور؟ ما دفعنى للحديث معك هو علمى بأنك مستعد للتصديق ولن تهمنى بالخبل, فلا تجعلنى أندم وأنت تهمنى باليأس, اليأس فى حالتى أمانة مع النفس, ما الذى يمكن فعله مع الشياطين فى عالمهم؟ على أرضهم وفى ملعبهم؟ سأثور مثلًا؟ هذا يحدث هنا فى أرضك فقط ومع ذلك يفشل.

لم يقتنع سليم بهذا الكلام ولكنه التمس العذر لمنصور بعد كل ما وقع له, وقد أدرك بأن مصيبته أعظم مما يتصور أحد وحتى كلماته بالتأكيد لا تصف بشكلٍ كامل ما يكابده فى هذا العالم, سليم أكثر من يدرك أن الكلمات تكاد تعجز عن حقيقة ما يدور فى هذا العالم الخفى, وحتى الوصف وإن كان دقيقًا فلابد وأن المشاعر وقتها أقسى وأصعب, وفى نفس الوقت شعر بتعاطف شديد تجاه منصور, إنه بالفعل يريد مساعدته, لكنه بالفعل لا يعلم كيف يمكنه ذلك, ثم خطر له بشكل مفاجئ صورة حسن الذى تركه عليها, وهى نفس الصورة التى تراوده له فى أحلامه بنفس الهيئة, وتذكر بأن منصور يُمكن اعتباره حلقة وصل إن ارتضى بينه وبين حسن وكذلك صفاءإن كانت لاتزال موجودة هناك وإن كان يظن بأنها قد غادرت هذا العالم. ولكن لِمَ الظن وبين يديه اليقين فسأل سليم منصور:

- كيف حال صفاء وحسن؟ لا أظن أن جديدًا طرأ عليهما, أليس كذلك؟

- صفاء بالتأكيد شاكرة لك على مساعدتك لها يا دكتور, فقد غادرت هذا العالم منذ فترة وأعتقد أنها الآن أكثر راحة من أيِّ وقتٍ مضى, كنت أعلم أنك من ساعدها أما حسن فلا أظن أن بإمكانك مساعدته وقد زادت الأمور سوءًا بالنسبة له

- ساءت لأن الصفاء رحلت وتركته؟

- ليس هذا فحسب, وأعتقد أنه اعتاد مثل هذه الأمور, ولكن مصيبته الآن أعظم بعد قدوم فريد المرجاوى

- فريد المرجاوى؟ وما الذى يعظم مصيبة حسن بقدوم فريد هذا؟

- هذه حكاية أخرى يا دكتور.. واحدة من عشرات الحكايات المأساوية التى لا تنتهى وأراها وأعايشها, لا تتدخل أكثر يا دكتور, لقد عرفت وفهمت ما وقع لك, وَقَدَّمْتَ المساعدة لصفاء وهذا يكفى.. أما ما يدور الآن فى سجن الموتى فيفوق طاقتك, عُد إلى حياتك يا دكتور وانس تمامًا ما رأيته, وانس هذه الزيارة وهذا الحوار, لقد نجوت يا دكتور, لم تنجُوَ من الموت فقط ولكنك نجوت من عذابٍ لا يمكن تصوره, عُد إلى أسرتك وابق بجانبهم! فهى نعمة لو تدرى عظيمة.

- ولكننى أريد الاطمئنان على حسن, ولا أحد غيرك قادر على طمئنتى عليه

- كيف أطمئنك عليه وأنت تعلم أنه فى أحسن الأحوال يتألم من الوحدة والفراغ والعدم الذى يعيش فيه؟



- معك حق و لكن ما حكاية فريد هذا الذى زاد الأمر سوءًا؟

- يبدو أنك تهوى المشاكل أو تظن أنك قادر على حلها ولكن صدقنى هذه المرة الأمر غير أىّ مرة.

- فقط أريد أن أعرف وأنا من سيقرر إن كان بإمكانى حل المشكلة والتدخل أم لا , فمن البداية وأنا أعرف بأن إنقاذ حسن يكاد يكون مستحيلًا ولكن ما الجديد الذى طرأ عليه بعد قدوم فريد هذا؟

- فريد هذا نزيل جديد بسجن الموتى جار قديم لحسن وأخ لمحبوبة وقعت فى شَرَكِ الخطيئة مع حسن قبل اختفاءه, ففقدت عذريتها على يده. لابد وأنها لاقت معاناة لا تُحتمل وخوفًا قاسيًا من عقاب تعرف مقداره وحين افتضح أمرها مع قرب إتمام زواجها لشاب من العائلة, لقت مصرعها بطعنة من شقيقها فريد أردتها قتيلة ولكن بعد أن أفصحت عن العاشق الغائب أو الهارب فى نظر أهلها. ولكى يتستروا على الجريمة زَيَّفُوا عُرْسًا دون عروس وأعلنوا سفرها للعيش مع زوجها بدولة خليجية.

إنه أخر من يرغب حسن برؤيته, أشرس من أن أصفه لك ولكن لكى أُقَرِّبُ لك الصورة وكما رأيت طيفه فله جسد خرتيت, ووجه قاسى لن ترغب بالنظر إليه وعقل يسكن فى قبضة يده, هى التى تفكر وتقرر وتبطش .. ثورٌ هائج يود الفتك بحسن فى أسوأ مكان ممكن, جزاءًا على تلويثه لشرف فريد ولتركه لأخته تتلقى العقاب وحدها بالقتل



حتى وإن كانت نسب نجاح المحاولة ضئيلة, فهى لا تعنى صفرًا



كانت الصدمة صدمتين... صدمتى فى حسن وما ارتكبه من خطيئة تتنافى مع الصورة الملائكية التى رسمتها له، وصدمتى من سخرية القدر ليجمع كلا الرجلين فى هذا المكان. بالطبع كنتُ ساذجًا حين تصورته ملاكًا.. فمن منا بلا خطيئة؟! ومن منا ليس لديه ما يخجل منه لولا سَتْرَهُ جَلَّ شأنه؟! ربما كان ينوى حسن الارتباط بها، ربما وعدها بالزواج، بالتأكيد صدقته، لكنها فرطت فيما لا يجوز المساس به وأحق الاقتراب منه دون إشهار.. كذلك حَالَ القدر دون تنفيذ حسن لوعده أو تصويب خطأه ليختفى عبر حادث يفقد من خلاله حياته ليس ذلك فحسب بل وتُلْقِى به فى عالم لم يخطر على عقل بشر، ليترك خلفه فتاة مصدومة مرعوبة تواجه كابوسًا أودى بحياتها.

وفى نهاية المطاف يلتقى الرجلان وجهًا لوجه على أرضٍ غير الأرض، لتصفية حساب كاد أن يذهب فى طى النسيان.

انتهيت من استيعاب جملته بالشكل الذى يسمح لى بالكلام فقلت فى غير تصديق:

- انتقام فى هذا العالم؟ ألا يكفى ما هما فيه؟

تجاوز أمر كهذا واعتباره كأن لم يكن أمر ليس باليسير مع شخص مثل فريد .

- وكيف كان حال حسن حين وقعت المواجهة؟



لم أكن متواجدًا وقتها... ولكن لابد وأن فريد كان فى حالة من الذهول شأنه شأن الاخرين, فكيف لحسن أن يتفادى رؤيته له خاصة وأنه لا يعلم ما صارت إليه الأمور بعد اختفاءه؟ أثناء تجوالى المعتاد لمحت حسن خارج الحدود التى تعرفها لهذا الجزء, اقتربت منه لأعرف سر تواجده خارجها فأخبرنى بما قصصته عليك, وأضاف بأن القدر لم يمهله الوقت الكافى لتنفيذ وعده للفتاة بالزواج, ثم حاول معرفة من أنا وما الذى يدور بالخارج؟ فأجبته بأن ذلك ليس من شأنه وعليه عدم السؤال كى لا يندم.. فقط حذرته من الوصول لما هو أبعد.. إنهما يلعبان الآن دور القط والفأر بشكل سادى بالنسبة لفريد مرعب لحسن, مُسلى لشياطين هذا العالم.

- ولكنى علمت من حسن بأنه لا يمكن مغادرة هذه الساحة خوفًا مما ينتظره خارجها؟

- لم يبتعد حسن كثيرًا كما تظن ولكنه فقط يحاول التخفى ربما تجره قدمه هو أو فريد إلى ما لا يُحْمَد عُقْبَاه

- ولكن هناك من خرج وتم تعذيبه حتى انتهى

- من قال أنه انتهى؟ لقد خرج بإرادته وعليه تحمل تبعات ذلك, وما زال يهيم فى جنبات هذا العالم, ولا أظن بأن لديه الوقت حتى يندم

- وأين أنت من ذلك؟ تقف وتشاهد وتتسلى؟ قلتها فى حنق عارم, فلم يرد منصور فواصلت حديثى:

- ماذا لو لم يجدوا جسدى تحت الأنقاض؟ ماذا لو كانت جثتى مفقودة ولا أحد يعلم مكانها؟ هل كنت ستتركنى أعانى فى هذا السجن وتشاهدنى بينما أتعذب وأواجه الملل والحسرة على جسد لا أعلم أين ذهب, تسبب فى



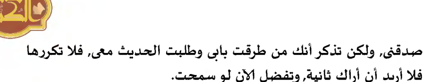
وجودى ومعاناتى؟ ألن تمد يدك لى، ألن تساعدنى؟ أم أن سلبيتك سيطرت عليك بشكل كامل وجعلتك دمية فى يد هؤلاء الشياطين لا تنفذ إلا ما يريدون، ولا تأتمر إلا بأوامرهم، أم أنك تتلذذ برؤيتك لبعض أقرانك من البشر يذوقون مثلك صنوفًا من العذاب ويتجرعونه كأسًا وراء كأس فى غير رحمة ولا إشفاق؟

لا تجد من الكلام ما تقول، يبدو أن كبد الحقيقة أُصيب ولا مناص أليس كذلك؟

- من السهل إلقاء الاتهامات جُزَافًا دون تحرى ودون تدقيق هذه هى آفتنا.. لو كان بيدى المساعدة لقدمتها لنفسى ولا أموت ببطء كما هو الحال الآن، أنت لم أرك فى سجن الموتى سوى مرة واحدة وأنت فى طريقك للعودة من جديد، أما من أقابلهم وأنا فى هذا العالم هم أكثر مما يمكننى مساعدته أنقذ من أم من؟؟!! عشرات ومئات أقابلهم، لم أكن السبب فى وجودهم هناك غير أنه غير مسموح لى بالمساعدة من الأساس، هذه إحدى القواعد التى لا ينبغى لى كسرها. هذا أسلم وأصلح للجميع.

- كما قلت أنت مستسلم تمامًا ولا تريد حتى مساعدة نفسك، نحن لسنا لعبة فى يد أولئك الشياطين كى يتحكموا بنا وبمصائرنا بهذه الطريقة ولن أسمح بأن تَبُثَّ فِىَّ يأسك وانهزاميتك هذه، صحيح أنا أرثى لحالك بسبب ما حدث لطفلك وزوجتك ولكنى أرثيك أكثر لهذه الدرجة من اللامبالاة التى وصلت إليها، لدرجة أنك تحكى ما يدور فى سجن الموتى الآن كما لو كان فيلم السهرة تشاهده وأنت تتسلى باللب والسودانى على سريرك

- هل أنهيت كلامك؟ قلت كل ما تريد؟ شعرت بأنك إيجابى وأن لديك الحلول أو قريب منها؟ هيا العب دور المنقذ كما تشاء! سأسعد لهذا



صدقنى، ولكن تذكر أنك من طرقت بابى وطلبت الحديث معى، فلا تكررها فلا أريد أن أراك ثانية، وتفضل الآن لو سمحت.

ثم أشار لى بيده مادًا ذراعه بشكل أفقى مشيرًا ناحية الباب، وقتها أدركتُ أنى بالغت بعض الشىء فى لومه وحملته أكثر مما يحتمل ولم أراعِ الحالة التى هو أصلًا عليها، شعرتُ ببعض الندم اللحظى غير المُجدى وقتها، فلا كلام يمكن قوله بعد ما قيل منى ومنه.

تبًا للتسرع يبدو أنى أخرجتُ غضبى وقلقى على ما وقع لحسن فى منصور. لست مخطئًا فى كل ما قلت ولكنى كنتُ حادًا أكثر من اللازم، لم أجد بُدًّا من الإذعان لكلامه فاتجهتُ ناحية الباب بخطوات متثاقلة مترددة يتبعنى منصور بخطوات مسرعة متسرعة تريد أن تغلق الباب بأسرع ما يمكنها والعودة لعالمها الخاص، خرجتُ من الباب وقبل أن يغلقه فى ظهرى.. استدرت بسرعة ووضعت ذراعى على الباب متسائلًا ولا أعلم إن كنت سأظفر بإجابة أم لا:

- أين يمكننى أن أجد فريد المرجاوى؟ أو أجد جثته؟

لم يُجِب فقلت على الفور:

- أين كان يعيش فى أواخر أيامه؟
- دهب فى جنوب سيناء

ثم بكل ما أوتى من قوة أزاح ذراعى وأغلق الباب فى وجهى مُحْدِثًا صوتًا عنيفًا ارتجت له جنبات السلم والبناية بأكملها.



قلب شريف الصفحة فوجد ما يتبعها ورق أبيض, فعرف أن هذه الجملة هى أخر ما خَطَّت يد سليم صديقه قبل اختفاءه. الآن صارت لديه صورة واضحة عما كان يشغل بال سليم فى الفترة الأخيرة وسبب التغير الذى طرأ عليه فى علاقاته بمن حوله, ليست التجربة المريرة التى تعرض لها ونجا منها بل ما رآه أثناءها وَقَدَّمَ عليه العديد من الشواهد فى تلك المذكرات فى رحلة بحثه عن الحقيقة, ورغم عدم اقتناعه لكن ما قَدَّمَهُ سليم إن صح سيكون دليلًا دامغًا على صدق ما رأى, ثم تذكر شريف ما أخبَرَتهُ به جيهان بأنه تم رصد سيارة سليم فى السويس ثم سيناء, لابد وأنه كان فى رحلة بحث جديدة عن هذا المدعو فريد المرجاوى.

الله اكبر الله اكبر

الله اكبر الله اكبر

انطلق أذان فجر يوم الإثنين وشريف أنهكه التعب ولكنه تغلب عليه وقام ليتوضأ ويصلى, فقد مَرَّ وقتٌ طويل على أخر مرة سمع فيها الأذان بهذا القرب نظرًا لسفره بالخارج فترة طويلة, وبعد أن فرغ من الصلاة كان يود الاتصال بجيهان لإخبارها بما توصل إليه من معلومات بشأن سليم, ولكن حال بينه وبين ذلك تردده نظرًا لتأخر الوقت ولكنه كان يقول فى نفسه بأنه يجب الإسراع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه خاصة وأن الظرف يحتمل اتصالًا متأخرًا فى هذا التوقيت, وعلى الفور أحضر هاتفه وضغط عليه حتى ظهر رقمها فضغط ضغطة أخيرة مُتَّصِلًا بها



أنت يا من جئت لتعرقل سيرى

يا صاحب الوجه المخفى

أنت يا من جئت لتهاجمنى, لن أدعك تهاجمنى

أنا باقٍ أنا حيٌّ أنا متماسك

مُتَيَقِّظٌ فى سلام

لن ينتفخ جسدى, لن أتعفن فى كفنى

لن أُصَابَ بسوء

لن تكسر جمجمتى, ولن تُسَدَّ أُذُنَاى

كتاب الموتى (الخروج فى النهار)



(23)

هذا الجزء لم يكتبه سليم فى مذكراته

بعد أن علم سليم من منصور ما حل بحسن بعد وصول فريد المرجاوى وعلم أنه متواجد بمدينة دهب, كان من الصعب عليه تجاهل ما عَلِمَ.

فى قرارة نفسه يعلم سليم أن ما اقترفه حسن خطيئة ولكن سجن الموتى أخر مكان يمكن فيه تصفية حسابات أمور وَلَّت, ولن يترك حسن يعيش فيه مُطارداً, عليه تقديم مساعدة أخيرة لصديق فى عالم آخر تُمَكِّنَهُ من العيش بسلام, وأدرك أنه لابد من الوصول لجثة فريد كى يرحل عن حسن وعالمه بما أنه لن يتمكن من الوصول لجثة حسن , فقرر الذهاب إلى دهب, لعله يحظى بمعلومة يمكن تقديمها للشرطة كما فعل مع صفاء.

كان يسابق الزمن, كأنما يطارده الموت حتى أنه وصل إلى دهب فى أقل من 5 ساعات وهو زمن قياسى مقارنة بالمسافة من القاهرة لدهب, لحسن الحظ أنها مدينة صغيرة صار يتجول بين الفنادق يسأل عن فريد هذا فى أكثر من 6 فنادق متفرقة بين جميع العاملين بهم, لا أحد يعرفه أو سمع عنه حتى بدأ اليأس يتسرب إليه وأخذ يفكر فى ضرورة العودة إلى منصور لمنحه مزيداً من المعلومات تُمَكِّنَهُ من الوصول إليه أو حتى اللجوء إلى عماد رغم إثارة ذلك لفضوله وفتح مجال لا ينتهى من الأسئلة التى لا يملك سليم الإجابة على أغلبها.



اتجه إلى أحد المطاعم لتناول بعض الطعام بعد هذه الرحلة الشاقة وقبل رحلة العودة من جديد، أتى الجرسون بالطعام فسأل فى محاولة أخيرة لن تضر إن كان يعرف أحد باسم فريد المرجاوى أم لا؟ فأجاب:

- فى الحقيقة لا أعلم يا باشا، أنا جديد فى هذه المدينة ولكن عم سيد قد يفيدك فهو له سنوات فى دهب ويحفظ كل شبرٍ فيها ويعرف كل فردٍ هنا

- وأين أجده عم سيد؟

- هو كبير الطباخين هنا وأفضل طعام فى دهب يمكن تذوقه سيكون من صنع يده

وصل سليم إليه وسأله بعد أن عَرَّفَهُ بنفسه:

- هل تعلم أحد باسم فريد المرجاوى يا عم سيد؟

نظر له سيد نظرة متفحصة من أعلى لأسفل , ثم أخذه سليم جانبًا قائلًا:

- هذا الحيوان لى ثأر عنده وأريده بأيّ ثمن

كان لهذه الجملة مفعول السحر على عم سيد، ما إن سمعها حتى ألقى ما فى جعبته

- هو يعمل فى نادٍ صحى يسمى (...) ستجده هناك
- أشكرك يا عم سيد

ثم دَسَّ سليم مبلغًا من المال فى يده فابتسم ابتسامة رضا وذهب إلى المكان الذى حدده فأخبروه بأنه متغيب عن العمل منذأسبوع ولا أحد



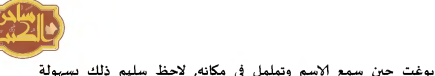
يعرف مكانه ويمكن سؤال صديقه فتحى الذى يعمل فى فندق (...) فلابد وأنه يعرف مكانه, أما هم فلم يعودوا بحاجة إليه فقد وجدوا بديلًا له.

لاحظ سليم أن كل من يعرف فريد يتحدث عنه بكراهية هل هو مشهور بسوء سلوكه هنا؟ لم يتمكن سليم من الجَزْمِ بشأن إجابة هذا السؤال ولكنه وصل إلى فتحى صديقه فى مسكنه بعد أن أخذ عنوانه من الفندق وطلب منه الحديث قليلًا.

أخيرًا وصل إلى الفندق الذى يعمل به فتحى أعز أصدقاء فريد كما ذكر له عم سيد, سأل عنه فى الاستقبال فوصفوا له مكانه فى المطعم الرئيس للفندق , تعرف عليه بسهولة كما وصفه له عم سيد شابا نحيفًا بعض الشىء ولكنه طويل بشكل ملحوظ رأسه يحمل شعرًا أسودًا حريريًا ناعمًا يُذَكِّرُكَ بشعر أنور وجدى قديمًا يتمايل يمينًا ويسارًا مع كل التفاتة أو حركة خاطفة مفاجئة لرأسه الصغير, متزوج من امراة إنجليزية تُقَدِّمُ فقراتٍ ترفيهية بذات الفندق تماثله فى العمر تقريبًا, وله منها طفل فى الخامسة من عمره يقيمون بأحد المساكن القريبة من الفندق.

توجه إليه مباشرة وطلب الجلوس معه لدقائق, بدا هادئًا واثقًا, فأشار لسليم المتوجس بالجلوس على إحدى الطاولات كى ينتظره قليلًا, فرغ من بعض الأمور فى دقائق قليلة ثم شاركه الطاولة وحَيَّاهُ بنصف ابتسامة قائلًا:

- أهلا وسهلًا, تفضل
- أشكرك جدًا, بدون مقدمات كى لا آخذ من وقتك الكثير, أود سؤالك عن صديقك فريد المرجاوى



بوغت حين سمع الاسم وتململ فى مكانه, لاحظ سليم ذلك بسهولة وأدهشه ذلك بشدة, إنه يسأله عن صديق وليس تاجر مخدرات, فأجابه فى صرامة بعدما تبدلت ملامحه الهادئة لملامح يغلب عليها التوتر:

- ما له؟
- بحثت عنه فى كل شبر داخل دهب ولم أجد له أثرًا, فنصحنى الكثيرون بالتوجه إليك مباشرة بصفتك صديقه المقرب.
- ومن حضرتك لتسأل؟

أعتذر عن عدم تقديم نفسه من البداية وقدم له نفسه بصفته قريب له من بلدته فى بنى سويف يحاول العثور عليه للتفاوض حول قطعة الأرض التى ورثها عن والده, كانت تلك إحدى المعلومات التى عرفها عن فريد من محل عمله وحاول استغلالها, لكن فتحى أجابه متظاهرًا باللامبالاة:

- حقيقة لا أعلم, منذ أسبوع أو أكثر لم أقابله وهاتفه لا يعمل, فلربما يكون بصحبة إحداهن وما أكثرهن هنا فى دهب أو ربما يكون فى شرم الشيخ.
- أهو معتاد على مثل هذا الغياب؟
- نعم متى قابل إحداهن, خاصة لو كانت فاتنة يتجه بها إلى شرم الشيخ لقضاء بعض الوقت فالمدينة هنا صغيرة كما ترى.. أنت تعلم هذه الأمور

فمال سليم إلى الأمام وَثَبَّتَ عينيه فى عين مُحَدِّثَهُ:

- ولكنهم أكدوا لى فى عمله بأنه لم يعتَدِ الغياب بهذا الشكل وهم قلقين عليه جدًا



كانت هذه من عنده, أراد استدراجه فلم تُفْلِح المحاولة لأنه أجاب بحزم:

- أمتأكد مما تقول؟

شعر بالإحراج من تشكيكه لكن فتحى بدا واثقًا فأجاب سليم بنفس الحزم

- بالطبع, أنت لا تعرف مدى حاجتى له, أتمنى العثور عليه فى أقرب وقت

- وأنا أيضًا, وددت لو أمكننى المساعدة ثم سمع سليم هذه الجملة بصوت طفولى

- هاى داد ويريز ماى مام؟

كانت تلك من ابنه طفل أوروبى خالص, عيون زرقاء كماء البحر, شعر ذهبى تتطاير خصلاته لتنثر نورًا كشعاع الشمس شفاه حمراء بلون الكريز بشرة شفافة من فرط نعومتها ,حَيَّاهُوالده ثم وصف له بانجليزية رديئة مكان والدته, فانطلق الطفل حيثما أشار.

- اشعر أن اختبائه يُمَثِّلُ لُغزًا وليس أمرًا اعتياديًا أبدًا فكما فهمت لقد اقترب من العشرة أيام وهو أمر غير مقبول فى مدينة صغيرة كدهب, أشعر وبأن الأمر وراءه سر أو ربما جريمة.

- جريمة؟ قالها فتحى منزعجًا ثم أردف "ومن له مصلحة فى ايذاءه؟"

- لابد من أن أحدهم آذاهُ لأيِّ سبب, اختفائه بهذا الشكل يثير قلقى



- لا، لا أظن بأن الأمور تحت أى ظرف قد تصل إلى ذلك، هو ربما هنا أو هناك

نظر سليم له مشدوهًا، ففتحى يتحدث ببرود عجيب لا يناسب الموقف، لاحظ فتحى صمته وشروده فزاد توتره ثم أردف فى تردد:

- وما نوع الجريمة التى تظنها وقعت له قتل أم اختطاف؟

لم يعلق سليم فأضاف فتحى ساخطًا مستحثًا الإجابة: هه؟

هناك سر يُخْفِيهِ فتحى ولكن سليم قد سئم لعب دور المحقق بوارو، وشعر بأن الموضوع ليس بالسهولة التى يتصورها، وفى قرارة نفسه اتخذ قراره بترك هذا لذوى الخبرة من رجال الشرطة سيكونون أكثر حزمًا واحترافية، سيفعل مثلما فعل فى حالة صفاء رغم أنه ليس على علم حتى بمواصفات القاتل، ولكنه مُتَيَقِّن من الجريمة نفسها وعليهم العثور على الجثة وفتحى ربما لديه معلومات يُخْفِيهَا لسببٍ ما، قد يستلزم الأمر بعض الوقت، لكنه أفضل من لا شىء. تذكر سليم سؤاله وهو شارد فى أفكاره وعينا فتحى تنتظران إجابة تطمئنه ولا يدرى سليم سبب قلقها أصلًا، أهو غياب صديقه أم شعوره تجاهه بعدم التصديق الذى لابد وأنه استشفه فقرر سليم منحه إجابة صادقة مُرَدِّدًا فى يأس:

- أظن أن رجال الشرطة أجدر منى بالإجابة عن هذا السؤال، أنا أريد الاطمئنان وأنت أقرب أصدقائه لا تعرف سبب اختفائه، إذن الأمر خطير، أرجوك لا تبخل عليهم بأى معلومة متى سألوك بصفتك صديقه المقرب.



قال هذه الجملة ضاغطًا على كل حرف, لسبب لا يعلمه, لم يسترح له سليم, وكذلك الحال بالنسبة لفتحى فهو أولًا وأخيرًا صديق لشخص بغيض لا يطيقه حتى زملاؤه.

لم يُعَلِّق بعد جملة سليم الأخيرة ولاذ بالصمت, حَيَّاهُ وانصرف سليم إلى سيارته ولكنه كان فى غاية الإنهاك, بقى فى السيارة بعض الوقت حتى غلبه النعاس, وحين استفاق كان الظلام قد حَلَّ تمامًا, فأدار السيارة عازمًا العودة للقاهرة, وبالفعل تحرك بالسيارة مُوَدِّعًا هذه المدينة الهادئة التى اعتادت وداع زائريها فأغلبهم من السياح, حتى العاملين بها من السائحين فى دنيا الله, لو اختفى أحدهم ما اكترث أحد, فالعجلة تدور والتروس تعمل وإن تعطل ترس فما أكثر من يبحث عن فرصة ليعوضه.

خرج سليم من المدينة وسار فى الطريق الضيق بين الصخور والمرتفعات, الطريق جبلى ضيق وعر ممتع نهارًا, مخيف ليلًا, بالطبع أعمدة النور غير منتشرة بطول الطريق وليس جميعها يعمل, وحدها إضاءة السيارة هى ما يضىءُ ظلمة الطريق, وفى جزء من الطريق بالغ الضيق شديد الوعورة, يُفاجأ بسيارة تدفعه بقوة من الخلف, أسرع سليم فى القيادة ولكن واضح أن السيارة الأخرى تلاحقه.. لم يفهم سببًا لهذا ولم يكن لديه وقتًا للتخمين ولكنها تحاول إيذائه بكل ما أوتيت من قوة, والطريق لا يحتمل هذه المُطَارَدَات فى مثل هذا الظلام, وبينما يتفادى صدماته من الخلف سيارة أخرى قادمة من بعيد من الطريق المعاكس ضوئها يعمى الأعين, فيتفاداها هى الأخرى ثم فى جزء من الثانية ينحرف عن الطريق ويهوى فى منحدر طويل وصغار الصخور تتقاذف سيارته ليجد أضخمهم بانتظاره فى القاع بعد أن أيقن سليم أنها الخاتمة.



ما أسهل أن تكون عاقلًا بعد فوات الأوان

مَثَل فرنسى



(24)

سليم هنا ثانيَة في سجن الموتى, مُمَدَّدًا على الأرض والألم يفتك به من جديد, كم طالت فترة بقاءه في السيارة؟ هل مات دون دفن أم لازالت أنفاس أخيرة تتسابق لتنال حظها من الحياة قبل مفارقتها؟ تبدلت الأسئلة عن المرة السابقة وإن احتفظت بذات الغموض.. لا جواب يروى ظمأه.

رفع ظهره وسمع صوت الموج يبدو أنه قريب جدًا من الشاطىء, بالفعل وجده على بعد أمتار قليلة, ثم فكر هل الأطياف لا تذوب أو تتحلل في الماء؟ أليس هذا ما يحدث مع الأجساد عند بقاءها فترة طويلة في الماء مما يجعلها تتحلل وتتغير معالمها, أم أن هذه ليست كالماء الذى نعرفه؟ أسئلة من جديد لديه حياة بأكملها هنا ليعرف إجاباتها.

هذه المرة يعلم حقيقة هذا العالم ولكنهل يترك الندم ليتغذى على ما تبقى لديه من مشاعر؟ هل من جدوى لهذا؟ لا يظن.. ربما فقد بوصلة المنطق.. ربما فقد أهله وعمله وعالمه.. ولكن هل الأمر يستحق ؟؟!! ربما لو تَرَيَّثَ قليلًا.. لو اكتفى بالمساعدة من بعيد ربما ما وصلت الأمور إلى هذا الحد. وما هو مقدار سوء الحظ الذى يمتلكه ليلقى به في هذا العالم مرتين متتاليتين؟

على الرغم من ذلك كان همه الأكبر العثور على حسن.. والاطمئنان عليه.

من جديد لازال الجو المعتم كما هو والإضاءة التى لا مصدر لها والخواء أو فلنقل العدم, كل شىء كما هو, نهض بسرعة, كان متيقنًا بأن قدومه هذه المرة للإقامة الدائمة وليس زيارة خاطفة تستمر ساعات ثقيلة, جرى



مسرعًا باحثًا عن الأجزاء الأخرى التى أخبره بها منصور أرض المنتحرين ومدينة العصاة, كيف يمكن الوصول لها؟ لا يعرف, إذن فليبحث عن الخندق, هرول فى جميع الاتجاهات, سمع أصوات الطلقات, هناك العديد من الجثث أو فلنقل المصابين الذين يصابون لبعض الوقت فى تمثيلية تبدو حقيقية, لم يكن خائفًا من الموت أو الطلقات كأول مرة, كان واثقًا من هلاكه فلن يضيره طلقة أو إصابة, بل يمكن القول أنه أراد أن يجرب ماذا سيحدث لو أصيب؟ ولكن لم يحدث شيئًا وكأن ما يدور حوله محض أوهام, مضى الكثير من الوقت حتى وصل إلى الخندق, قفز من جديد واتبع نفس خطوات المرة الأولى حتى قفز القفزة الأخيرة التى ألقت به فى أحد جوانب تلك الساحة, نفس السكون واليأس على وجوه الجميع, والصورة المهتزة تترقرق دون انقطاع تاركة انطباع غير مريح على الإطلاق, بحثفى أرجاء المكان لعله يجد منفذ يقوده إلى أى مخرج, كانت الساحة أكبر مما يظن حتى تصور أنها غير الساحة الأولى التى قابل بها حسن وصفاء والأطياف أكثر مما تصور ولكنهم صامتين منعزلين, كُلٌّ فى حَالِهِ, جدران تبدو كرتونية ولكنها صلبة للغاية عالية تحيط بالمكان بجانب الجدران والأعمدة التى تتوسط تلك الساحة, حتى السقف يبدو هُلَامِيًّا, خيوط واهنة من الدخان تنبعث من خلاله لكنها سريعة الذوبان تكاد لا تُلاحَظ.

بعد فترة من البحث وجد فتحة فى الجدار يمكن بمزيد من الجهد العبور من خلالها, خرج بعدما دس جسده أو ما يظن أنه جسده, لون الأرض يتغير يميل إلى السواد والحرارة تزداد أكثر وأكثر, فيزيده ذلك غضبًا على غضبه, صار كثائرٍ ليس لديه ما يخسر ولا يهاب أىَّ مصير.



عزم بأنه لن يترك فريد ينال من حسن , واصل السير والإضاءة تزداد خفوتًا وأصبحت أكثر ميلًا للصفرة مما أشعره بأن الجحيم الحقيقى يقترب أو لعله على مشارف أحد الأجزاء التى أخبره منصور عنها ثم فجأة برزت درجات سُلَّم عريض بعض الشىء, يبدو حجريًا عتيقًا, نظر لأعلى ولكن الرؤية كانت معدومة وكأن شبورة قوية تُحِيْطُ بالمكان, صعد درجات السلم بمزيد من الحذر, سلم يبدو بلا نهاية, لابد وأنه صعد كثيرًا جدًا, لو علم بأنه بهذا الارتفاع ربما ما صعد درجة واحدة, أخيرًا بلغ نهايته, فوجد فسحة واسعة بلا جدران يتخللها ممر طويل عريض بشكلٍ كافٍ, على جانبى الممر توجد العديد من الغرف, مر بإحداها فوجد أن الغرف متداخلة ومتشابكة, فولج بالغرف على الجانب الأيمن ليجد كل غرفة تقوده إلى غرفة أخرى فى متاهة كبيرة, لابد وأن تكون ذاكرتك فولاذية كى تتمكن من العودة, ولكنه شعر باليأس فجأة يبدو أنه سيقضى المتبقى من الوقت فى هذه المتاهة, لا قيمة للوقت هنا ولكن انقضى الكثير منه, هدأت خطواته من التعب وارتكن إلى أحد الجدران طلبًا للراحة, بدأ يسمع صوت بكاء مكتوم خفيض, أرهف السمع, إنه فى الناحية الأخرى من الجدار, دار حوله ليجد شابًا مُتكَوّمًا على نفسه ينهنه كما هى عادته, ولكن بأقل صوتٍ ممكن. اقترب منه ورفع رأسه, إنه حسن, لا يمكن وصف البسمة التى ارتسمت على وجهه الحزين حين رأى سليم, لم يكن اللقاء الثانى به كاللقاء الأول أبدًا, هذه المرة أكثر حرارة فقد قابل صديق ظن أنه لن يراه ثانيًة, وجده مُتَحَمِّسًا جدًا للحديث, مُبْتَهِجًا على غير العادة وإن حاول إخفاء ذلك, مراعاة لمشاعر سليم وبلهجة تمتزج فيها فرحة مستترة بحزنٍ ظاهر قال له:

- دكتور سليم؟ ما الذى عاد بك إلى هنا؟



فقال سليم مازحًا فى يأسٍ مُتَوَارٍ:

- جئتُ كى أطمئن عليك, ثم إن الجو هنا دافئٌ بعض الشىء وهناك موجة من الصقيع على أرضنا

- هذا ليس وقت مزاح؟

- ستعلم, بالتاكيد ستعلم, ليس لدينا أكثر من الوقت, ولا سبيل لتمضيته سويًا إلا بالكلام.


ساحر الكتب



" ليت السماء النحاسية الهائلة تدق رأسى هذه الساعة.. ليتها تزرع الرعب فى قلب كل رجل من أبناء الأرض إن أنا تخاذلت فى مد يد العون لأحبائى أو لم أسبب الألم والحزن لأعدائى "

ثيوجنيس شاعر إغريقى



انتابت سليم وقتها حالة من اللامبالاة وربما الخَبَل ,فلم يكن يعبأ بموته وما حدث له قبل العودة, فقط مرارة في حلقه لرحيله مرة أخرى عن أهله, كان لديه حافز هو حماية حسن وإبعاد فريد عنه, وقد وصل إلى عالمهما دون إرادة منه ولكنها إرادة القدر, فليكن ما يكون, وعليه بشكلٍ أو بأخر التروى وإدراك أن هذا ليس بالمكان المناسب لتصفية الحسابات خاصة وأن حسن لم يتهرب كما كان يظن أو كان يتنعم غير عابئ بذنبه

جلس سليم بجوار حسن وسأله عن صفاء فشرد ببصره ثم قال:

- رحلت بعدك بفترة ليست بالقليلة وسَمِعَت اسمها كما سَمِعْتَ اسمك, وقتها كانت تبكى وهى سعيدة, وتضحك وهى فى غاية الحزن, مزيج من المشاعر الغريبة المتناقضة لم أفهمه, كانت سعيدة بخروجها من هذا العالم, ولكن فترة بقاءها الطويلة هنا جعلتها واثقة بأن وجهتها بعد هذا العالم هو قبرها, تُرى ماذا سيكون شعورك وأنت تعلم بأنك ذاهب إلى قبرك, ليس للزيارة, بل للبقاء فيه.. وحدك.. وحدك.. حتى تقوم الساعة؟؟!!

أعقبت جملته فترة من الصمت ثم قال:

- ولكنها بالتأكيد أسعد حالًا منى ومنك الآن, هل حاولت مساعدتها؟

فاجأ سليم هذا السؤال, ولا يعرف أى إجابة ستريحه أكثر, فوجد أنه لا داعى للكذب فقال بصدق:



- نعم حاولت
- كانت واثقة من ذلك وأنا أيضًا, لا تحزن يا دكتور, أمثالك ليس مكانهم هنا

اندهش سليم من جملته التى يحاول بها مواساته فقال على الفور:

- ولا أمثالك يا حسن, سجن الموتى لا يميز الصالح من الطالح
- سجن الموتى؟؟ ما هذا الاسم؟
- أعتقد أنه الاسم الأنسب للمكان الذى يجمعنا, فجميعنا هنا حبيسى هذا العالم وأقرب للموت
- ولكن لماذا لم تبق فى الساحة, كما فعلت فى المرة الأولى؟
- لم أجدك هناك, ولا أعرف أحدًا غيرك هنا ولن يرحب بى سواك, فحاولت البحث عنك, قل لى ما الذى حدث فى الفترة السابقة بعد رحيلى؟
- لا شيء جديد حتى رحلت صفاء هى الأخرى, لتتركنى وحيدًا كما كنت قبل قدومكما مع مجموعة من البشر, الصمت والصدمة هما الصفتان الأبرز لهما, حتى جاء فريد المرجاوى

تظاهر سليم بعدم المعرفة وقال:

- من هذا الرجل؟

تردد قبل البوح بسره:

- هو رجل من بلدتى, كنت أهيم بأخته عشقًا وأخطط للزواج منها بعد خطأ كبير ارتكبناه سويًا, حالت الأقدار دون ذلك وقد ظنوا أنى هربت , فقتلها فريد بدمٍ بارد وضمير مرتاح, حاولت قدر



الإمكان الابتعاد عنه, لكن المواجهة كانت واقعة لا محالة.. بالطبع لم أستطيع أن أروى لك ذلك أثناء وجود صفاء معنا, وربما لو كانت غير موجودة ما رويت لك ذلك الأمر أيضًا, إنه ذنب يندى له جبينى خجلًا, ويمزقنى تمزيقًا, لو بكيت ما تبقى لى هنا من وقت , ما عَبَّرَ ذلك عن نصف ما يعترينى من ألم .

- وكيف تعاملت معه؟
- كان ظهورى مفاجئًا له كما هو الحال بالنسبة لى, ولكن ذاكرته استدعت على الفور قتله لأخته بيده بسببى, أعلم أن ذلك ليس بالشىء الهين ولكنه لم يعلم كم أتعذب وأنا هنا حزنًا على فراقها وكم تألمت خوفًا عليها وعلى ما آل إليه مصيرها بعدى, لم أتصور أن قتلها هو الجزاء ولكنى علمت أن العواقب وخيمة وستواجهها وحدها

ثم بدأ يتهدج صوته والتأثر الشديد بادٍ عليه .. تفهم سليم ذلك شعور بالذنب لا ينقطع لمن كان له نصف ضمير فما بالك لو كانت حبيبته .

وبعد أن هدأ قليلًا سأله سليم:

- لذلك خرجت من الساحة؟
- بالطبع لم يعد البقاء ممكنًا, وبعد أن وجدت سبيلًا خارج جدران الساحة, علمت بأنه تَبِعَنِى فى الخروج, وصِرْتُ بمجرد أن أسمع صوت خطوات تقترب, أفر لا أعلم إن كان هو صاحب هذه الخطوات أم لا, حتى وصلت إلى هذا السلم لتبتلعنى هذه الغرف وهذه المتاهة مع كثير من الخوف والقلق, يكفينى عذاب وجودى هنا يا دكتور.



كان محقًا بالطبع لذلك طمأنه:

- لا تقلق يا حسن لن يكن هناك مضايقات فيما بعد, مادمت معك

ابتسم ابتسامة من القلب.. قلب متوقف عن النبض منذ زمن, ولكنها زالت سريعًا حين سمعا وقع خطوات رتيبة ثقيلة قادمة, كالموت واثقة, وكان سليم حينها على أتم الاستعداد لمواجهة فريد هذا الذى لم يره من قبل, ولكنه يكرهه بما فيه الكفاية, فلولا سلوكه مع حسن لما انتهى الحال بسليم فى سجن الموتى ثانيَة.


ساحر الكتب



حينما تشهد مأساة عالمين مختلفين تتضح لك أمور تثير غضبك بلا مبالاة, تتمكن من اختلاس همس الأرواح وحدك.. حزنها..خوفها.. تعذيبها.. وحدك تشعر بها.. تسمع لصدى أنينها.. سُحقًا!! سُدَّت جميع الطرق!

مختارات



رويدًا رويدًا تقترب الخطوات, وكلاهما متحفز للقائه, فقال سليم بصوتٍ عالٍ كى يصل أسرع ولا يضل طريقه فى هذه المتاهة والغرف المتداخلة:

- تعال يا فريد, اقترب .. نحن فى انتظارك

اقتربت الخطوات تمامًا حتى بدأت هيئته فى الظهور, وما إن رأى سليم حتى قال فى غضب:

- ما الذى عاد بِكَ إلى هنا؟ أنت مجنون بلا شك

كانت هذه الجملة الأخيرة من منصور فى حنق حقيقى, فقد كان هو القادم صاحب الخطوات وليس فريد كما ظنوا, لقد نسى أمر منصور تمامًا فى هذا العالم, وكان تركيزه مُنْصَبًّا فقط على حسن. فوجده يتابع كلامه فى حدة:

- ما ذنب أسرتك كى تتركهم فى بئر عذاب البحث عنك؟

- ولماذا تظن أنى قادم هنا بإرادتى؟ أىُّ طريقٍ هذا الذى يقود إلى هذا العالم؟ أخبرنى به

- حديثنا فى أخر مرة يؤكد تهورك واندفاعك

- لقد حاول أحدهم قتلى ويبدو أنه نجح؟

- وهل قدومك هنا ليس له علاقة بما تحدثنا عنه فى أخرة مرة التقينا؟

- ....



- لماذا لا ترد؟

نظر سليم إلى حسن الذى لم يفهم أى كلمة مما يدور فى هذا الحوار ولا يدرى من هو منصور من الأساس, ولا كيف يظهر فجأة ويختفى فجأة ولا كيف يعرفه سليم, فقال منصور:

- إذن كما توقعت, لقد أوقعت نفسك فى ورطة. وانزوى جانبًا كُلًّا من سليم ومنصور واستأذنا حسن ثم قال منصور فى حنق:

- أروِ لى ما الذى وقع! وكيف جئت إلى هنا؟

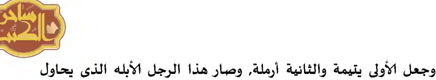
حكى له ما دار, أنصت منصور وهو فى أشد الضيق والغيظ, سأله عن بعض التفاصيل التى لا يتذكر سليم جميعها بالطبع, ثم سأله:

- ولماذا أنت جالسٌ هنا؟

فأشار بيده تجاه حسن فقال منصور:

- وماذا لو تم النداء عليك وأنت غير موجود؟ ألا تريد العودة؟ أم تريد حين يتم النداء عليك وأنت غير موجود أن يجدوك جثة؟

يتحدث منصور الفاقد لأىّ أمل وكأن هناك أمل .. كان مُحِقًّا بالطبع وشعر سليم أن لامبالته هى درب من الحماقة والجنون, وشعر وقتها بأقصى درجات الندم وتأنيب الضمير, وبالأخص تجاه ابنته, فتعاطفه وإشفاقه على حسن لا يبرر بأىّ شكل هذا التقصير الفَجّ فى حق سلمى, كلمات منصور الذى لابد وأنه يعتصر ألمًا على فراق زوجته وابنه غير المرغوب فيه قسرًا, جعلته يشعر بمدى الغباء والتهور الذى أصابه, ولم يكتفِ بتدميره وسلب حياته, بل سيمتد الأمر لتدمير حياة ابنته وزوجته,



وجعل الأولى يتيمة والثانية أرملة، وصار هذا الرجل الأبله الذى يحاول مساعدة صديق فى عالم أخر على حساب مستقبل حياته نفسها، مثالية سيندم عليها لا شك.

وبرغم هذا الشعور بالندم فكلما تذكر حسن، أحس بأنه يستحق أن ينال تعاطف شخصٍ ما أو مساعدته، ولم يكن هناك غيره ليمنحه هذا التعاطف والاهتمام خاصة بعد ما تسببفى وحدته أكثر بمساعدة صفاء.

على حافة الجنون يقف سليم، بينما يتبين أن السبب فى وجوده هنا تعاطفه مع شبح أو طيف لشاب ميت بحاجة للمساعدة فى عالم مجهول. يا للسخرية!

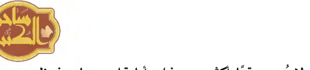
قال منصور وقد بدا فى غاية التركيز:

- عليك العودة الآن إلى الساحة، ربما تسمع اسمك ثانيةُ

فقال سليم بيأس:

- لا أظن أن ... فقاطعه منصور وصرخ فيه قائلًا:
- أنت لا تستحق أن تكون أبًا ولا حتى زوجًا، لا تبالى بما منحك الله من نِعم، قد أفهم رغبتك فى المساعدة، ولكنى لا أفهم هذا الاستسلام، فى أخر مرة التقينا عايرتنى باستسلامى رغم علمك بأنى ليس لديَّما أخسره، أما أنت فخسارتك رهيبة وستموت هنا آلاف المرات من الندم المُستَحَق، عُد إلى الساحة لعلك تعود ثانيَة، وَفَكِّر كأب وزوج

تدخل حسن وقال مُنْهِيًا هذا الحوار:



- هيا يا دكتور, لا تُضِع وقتًا أكثر من هذا, وأنا قادم معك, فنظر سليم إلى منصور فقال الأخير:
- هيا.. أسرعا

تحرك ثلاثتهم.. منصور فى المقدمة باعتباره الأدرى والأقدر على الخروج بهم من هذه المتاهة فى أسرع وقت, يليه سليم وحسن, حتى عادوا إلى الساحة وعبروا من نفس الفتحة.. ليطلعوا مرة أخرى على وجوه هائمة وأطياف بشر مستسلمة لا تبالى بأيّ شىء.

اتجه سليم وحسن إلى أحد الجدران وجلسا وبعد حديث قصير فارقهما منصور.

غَلَّفَ الصمت جلستهما الممتدة الطويلة, وقد بدأ سليم يستشعر بمرور الوقت فداحة ما هو فيه, وقتٌ طويلٌ مَرَّ, وساعات عديدة انقضت وهو موقن بالمصير واليأس يغمره, حتى حدثت المعجزة, اسمه من جديد يتردد فى جنبات الساحة بصوتٍ اشتاقه رغم بشاعته, لا يدرى كيف حدث هذا ولا من منقذه هذه المرة ولكن لا يظن أن أحدًا غيره خرج أو سيخرج من هذا العالم مرتين, خطر لباله لوهلة أن الحظ يقف فى صفه على طول الخط على عكس ما يظن.. هذا كرم ربما استحقه وربما لا, لا يعلم ولكن ما أدهشه بحق هو السعادة الحقيقية التى رآها على وجه حسن هذه المرة, هذا الشاب يُكِنُّ له مشاعر صداقة قوية كتلك التى يُكِنَّهَا له, وبينما يَهُمُّ بوداعه, يلمح سليم رأسًا يرتفع من على ركبتين قائمتين لشخصٍ جالس على ركبتيه مستندا بظهره على الجدار كمعظم الموجودين, متجهًا ببصره إلى سليم وحسن, وجهًا لم يحبه سليم ولم يرتح له بعيون بها كثير من الغضب والغِلّ, وحين رآه حسن ناظرًا إليه اتجه هو الآخر ببصره إليه ليقول فى فزع:



- فريد!!!

بنيان ضخم بشرة سمراء , شعر أكرت, أنف كبير نظرات وقحة من وجه تبدو عليه الدناءة , لقد جاء فى أسوأ وقتٍ ممكن, بينما يستعد سليم للعودة , للحظات توقف عقله أو طيفه عن التفكير, ثم وجد نفسه يدفع حسن بقوة ناحية المنفذ فى الجدار وهو يتبعه, ثم قال له فى توتر:

- أهرب يا حسن, اختبئ, لا تجعله يصل إليك

اسمه يتردد ثانية وعليه التلبية وعدم التأخير وإلا فلينس للأبد أنه كان يومًا طبيبًا لديه أسرة ولديه حياة, ولكنه تباطأ قليلًا كى يتمكن حسن من الابتعاد بقدر مناسب لا يسمح لفريد بتتبعه. كانت المسافة بينه وبين فريد الذى نهض ليقف على قدميه ليست بالقليلة, ولكنه شاهد الوعيد فى عينيه, بالتأكيد لا يتوعده فهو لن يبقى هنا على أى حال, ولكن نظراته تشى بما ينوى فعله مع حسن, وبمجرد أن شعر سليم أنه ما من وقت للانتظار أكثر اتجه مسرعًا بالقرب من مصدر الصوت ناحية السرداب ليجد الحبل يتدلى من جديد وهو يتشبث به ملقيًا نظرة أخيرة على هذه الساحة وهذا العالم وبينما يعلو ويعلو يقترب فريد, يسرع الخطى, يتجه ببصره لأعلى ويقول فى تحدٍ:

- إنه لى

تُرى لِكَم من الوقت يمكنك الهروب يا حسن والاختباء؟ يعلم سليم أنه لا وجود للقتل هنا, ولكن الألم والعذاب هنا موطنهما وذلك بث الخوف فى قلب حسن بشكل لا يمكن استيعابه. كان عقله يعمل بسرعة قبل أن يشعر بفقدان الاتزان ويدخل فى مرحلة الغياب عن الوعى.



من الجيد أن تمنحك الحياة فرصة, لكن غاية الكرم أن تمنحك فرصتين فلا تكن أحمقًا وتطمع في الثالثة



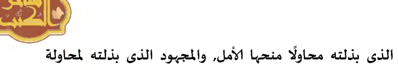
حين عاد إليه بعض وعيه، وجد نفسه نائمًا على سرير وثير في غرفة هادئة متوسطة المساحة ونظيفة جدًا وبجانبه العديد من الأدوية والمحاليل. كان هناك شخصًا يتحرك في الجوار، يبدو أنه مُنْقِذَهُ وإن كان لا يدرى من هو، وحين رأى هذا الغريب عيناه تتفتح رويدًا ابتسم ثم خرج سريعًا قبل أن يعود ومعه أخر شخص يتوقعه هو منصور الدوكش.

لم يكن مُمْتَنًّا من قبل لأحد قدر امتنانه له.

لم يكن قادرًا على الكلام وقتها وكأن لسانه أصابه الشلل، ولكنهما أخبراه بأن ذلك بسبب كمية الدواء التى تناولها لسوء حالته وقت العثور عليه، الرضوض والكدمات منتشرة بأنحاء جسده وارتجاج في المخ أدخله في غيبوبة لمدة اقتربت من الثمانية وأربعين ساعة غير الساعات التى قضاها في السيارة وهو على حافة الموت.

بعد عدة ساعات تمكن سليم من الحديث وقال لمنصور الذى كان جالسًا وحيدًا على كرسى بجواره:

- لماذا فعلت ذلك؟
- لأنى لن أحتمل رؤيتك كل يوم في سجن الموتى، لا يمكننى تصور الحالة التى ستكون عليها ابنتك وزوجتك بعد فقدك، لم أجرؤ يومًا على محاولة إنقاذ أحد سكان ذاك العالم، ولكن في حالتك وجدتنى غير قادر على تركك وحيدًا، ربما لمنال دور في ذلك، فأنا أعلم كَمَّ السعادة التى منحتها لها في أيامها الأخيرة، وكم المجهود



الذى بذلته محاولًا منحها الأمل, والمجهود الذى بذلته لمحاولة إنقاذها.

كانت كلماته هادئة جدًا, لم يره سليم من قبل بهذا الهدوء, تعاطفه معه لا حد له, وفضله عليه لا يُنسى, ثم استطرد قائلًا بابتسامة خفيفة:

- موتك فى كلا المرتين مصير مُحَقَّق, وعودتك للحياة بعد كِلَا الحادثتين دربًا من دروب المستحيل, ولكنك فعلتها ولو رغبت, فبإمكانك دخول موسوعة جينيس للعودة من الموت مرتين متتاليتين يفصلهما أسابيع , نحن الآن فى مستشفى صغيرة مُجَهَّزَة طبيًا لاستقبال ضحايا حوادث الطرق بشرم الشيخ صاحبها ومديرها دكتور حازم صديق صديقى خالد زميلى فى البنك فرع شرم الشيخ. كلاهما فعلا أقصى ما يستطيعا للحفاظ على حياتك, فى الوقت الذى تقوم أنت به بأقصى ما تستطيع لإنهائها, القاعدة تقول أنا لجميع يسعى لتجنب الألم أكثر من سعيهم ليجدوا السعادة, فلماذا تقوم أنت بعكس ذلك يا دكتور؟
- ومن أدراك ربما مساعدة شخص برىء تسعدنى وتمنحنى الراحة, بينما ترك الأمور هكذا هو أكثر ما يؤلمنى, بل ربما أنت أيضًا ساعدتنى لنفس السبب
- حتى وإن كان كذلك فليس على حساب أسرتك
- وأنا لم أتصور أن تؤول الأمور إلى ما صارت عليه, بالتأكيد لم أذهب لألقى حتفى
- ولكنك لا تتخذ احتياطات كافية وتعمل بمفردك
- أنت أكثر من يعرف, بأنه لا يمكن لأحد مساعدتى, لأنه لن يصدقنى على الإطلاق



- لا أعرف إلى متى سيقف القدر بجوارك, ربما نُبْلَ أهدافك يدفع عنك السوء والهلاك بهذا الشكل, ولكنها ليست قاعدة يمكن الارتكاز عليها
- أعلم ذلك, في الحقيقة لا يوجد كلمات مناسبة كافية لتعبر عن امتناني لما فعلته من أجلي, شاكر لجهدك المبذول لإنقاذي وإعادتي مرة أخرى
- لا داعي للشكر هذا ما كان عليَّ فِعله
- أريد أن أتصل بأسرتي, لابد وأنهم في أسوأ حال
- أظن ذلك, انتظر .. سأحضر لك الهاتف

قام سليم بالاتصال بجيهان التي بكت ما إن سمعت صوته وانتحبت بشدة ثم ضحكت, كان آسفًا لحالها بشدة وشعور بالذنب يُخَيِّمُ عليه, أعلمها بما جرى, ثم تحدث لسلمى, وبعدها تحدث مع والدها الذي أجرى اتصالاته وتم نقله من شرم الشيخ إلى القاهرة على متن طائرة خاصة. وَدَّعَ سليم منصور ورفيقاه وشكرهم جميعًا على وقوفهم بجواره وإعادته لمضمار الحياة مرة أخرى



في عالمنا أمور عديدة غير قابلة للتفسير, فما أصعب البحث عن سراب!





الهاتف يرن ومازال شريف بانتظار الرد حتى بدا له أنه قد تعجل.. لابد وأن جيهان نائمة ثم سرعان ما جاء صوتها واضحًا هادئًا:

- ألو
- ألو، صباح الخير مدام جيهان، أعتذر لاتصالى فى وقتٍ كهذا ولكن الأمر لا يحتمل، لقد توصلت للشخص الذى قد يقودنا إلى مكان سليم
- لا داعى للأسف دكتور شريف، سليم عاد منذ قليل ومعه الطبيب حاليًا يقوم بالكشف عليه نظرًا لسوء حالته
- عاد!!!!!
- نعم ولكنه فى حالة سيئة جدًا

بعد أن أغلق الخط مع جيهان، استلقى شريف على السرير بعد سماعه لهذا النبأ السار وهو يفكر فى العديد من الاحتمالات حتى غلبه النعاس، ثم استفاق ليجد الساعة قاربت على التاسعة صباحًا، لقد نال قسطًا لا بأس به، والآن عليه أن يتأكد من المعلومات التى وجدها قبل مواجهة صديق عمره، قام على الفور بالاتصال بسعد وسأله عن منصور وزوجته منال وحالتها، وجاءت الإجابة مطابقة للكلام الذى قرأه فى مذكرات سليم ثم أغلق الخط دون أن يخبره بعودة سليم، كان ما يشغله حاليًا الاطمئنان على صديقه وتفسير غيابه بهذا الشكل، بعدها بساعتين اتصل بهاتف سليم فأتاه صوت الجرس دون إجابة، فكرر المحاولة ولكن على هاتف جيهان حتى جاءه صوتها ثانية، يبدو أن هذه المرأة لا تنام:



- كيف حالك دكتور شريف؟
- بخير مدام جيهان كيف حالكِ وحال سليم؟ كنت أود الاطمئنان عليه
- بخير يا دكتور, اطمئن
- هل من الممكن أن أزوره؟
- بالطبع
- متى؟
- وقتما تشاء يا دكتور
- حسنًا مسافة السكة

بعد أن أنهت مكالمتها مع شريف اتجهت إلى غرفتها فوجدت سليم مازال نائمًا, وقفت ترمقه فى حيرة, سعيدة بعودته لاشك فى هذا, ولكن عليه تفسير ما حدث, سفره المفاجئ إلى سيناء, عدم إبلاغها, الحادث الجديد الذى تعرض له ونجاته من جديد من موتٍ مُحَقَّق وعودته بهذا الشكل وهذه الحالة, لن تشفع له مجرد العودة كما كانت تتوقع وعليه تقديم إجابات مُقْنِعَة كى تتمكن من تقييم الموقف والوقوف على النهج المناسب والأسلوب الملائم معه, يبدو أنه شعر بوجودها ففتح عيناه فى بطء, فوجد عينان تتساءلان وتنتظران ردًا وتفسيرًا فقال بهدوء:

- لقد ذهبت إلى دهب لمقابلة أحد أصدقائى العائدين من السفر لقضاءإجازة هناك وانتويت العودة فى نفس اليوم
- وهل لى أن أعرف هذا الصديق؟

انتظرت أن ينطق اسم شريف كى تتأكد من كذبه وتتأرجح كيفما يحلو لها بين ظنون مقيتة وأوهام ترتدى ثوب الحقيقة فجاءها الرد:



- صديق لى لا تعرفينه

تهدت وشعرت بأنها تمنت لو ينطق باسم شريف لتتأكد ظنونها وتخبو نار الشك لتستعر نار اليقين بكذبه ولكن هذه الإجابة منحته مصداقية محدودة مؤقتة, من وراءها سمعت خطوات كانت لوالدها الذى دخل الغرفة قائلًا:

- حمدًا لله على سلامتك مرة ثانية يا سليم, الدكتور طمئننا على حالتك وقال أنك نجوت بأعجوبة من الهلاك

ثم بمزيد من الجدية تابع حديثه:

- كما علمنا من رجال الشرطة سقوط سيارتك بهذه السرعة من المنحدر لترتطم بصخرة كفيل بجعلك الآن فى قبرك ولكن لحسن الحظ أو ربما لغريزة البقاء لديك التى جعلتك تستدير بالسيارة أثناء السقوط ليصيب التصادم الجزء الأيمن الخلفى من السيارة وهو أبعد جزء فى السيارة عن مقعد القيادة خاصتك, وكذلك حداثة السيارة التى امتصت الصدمة أفادك بشكل كبير, لولا ذلك لما استطعنا تمييز جثتك ولصار جسدك قطعة من العجين لا معالم لها, سامحنى يا بنى قد أكون قاسيًا بهذه الكلمات ولكن سفرك دون إخبارنا ووقوع الحادث فى هذا الطريق الوعر والسقوط من على المنحدر والارتطام بصخرة بهذا الحجم وبقاءك مرة أخرى فترة طويلة دون إسعاف غير أنه قَدَر لهو خطأ كبير منك فى حق نفسك ومَن حولك, ألا تريد أن تُربى سلمى وتراها شابة جميلة لتُسَلِّمَهَا لرجلٍ يستحقها؟



خرج صوت سليم مبحوحًا وقد لمس كلام حماه وترًا شديد الحساسية ونقطة ضعف هى ابنته ومستقبلها, طالما حاول سليم غَضَّ الطرف عنها ولكن حماه أصاب الهدف مباشرة لقد تصرف بتهور وكاد أن يدفع ثمنه أغلى مما يتصور

- بالطبع أريد

فقال حماه بصوتٍ حانٍ لم يعهده سليم:

- أعلم يا سليم, ولكن يجب أن تناسب الأفعال الأقوال وخذها كلمة من رجلٍ عجوز خبُر الكثير.. المرء الذى يفر من موتٍ قريبٍ مرتين متتاليتين فلن ينجو الثالثة, عليك أن تحذر جيدًا فى الفترة القادمة فلسببٍ لا أعرفه يحوم الموت حولك كالحيوان الجائع الذى يلتف حول الفريسة مرة واثنتان ولكن لم يَحِن بعد وقت الانقضاض, لا أحد يفر من الموت إن انقض لكن على الأقل لا تذهب إليه بقدميك, بقى شىء أخير لم أفهمه, كيف وصل إليك أحدهم فى هذا المكان بعد هذا الوقت من الحادث؟
- سأشرح لك يا عمى فى وقتٍ لاحق ولكنى الآن بحاجة للراحة
- سامحنى يا سليم إن كان كلامى قاسيًا بعض الشىء أو آلمك قليلًا ولكنك ابنى الذى أخشى أن يصيبه مكروه
- لا عليك يا عمى

أما جيهان فطغى الشعور بالخطر لديها من كلام والدها عن الشعور بالشك والحيرة فى أمر زوجها, لو كان بيدها لأغلقت الأبواب من حوله لِتَصْرِفَ عنه السوء ولكنها تعلم جيدًا بأن الحذر لا يمنع قدرًا.



وصل شريف إلى الفيلا واستقبلته جيهان, كان شريف في حيرة من أمره كيف سيواجه صديقه بما عرفه وما رد فعله على زيارته للعيادة والبحث فيها وقراءة مذكراته؟ هل سيتفهم دوافعه؟ أم سيثور لاختراق خصوصياته بهذا الشكل؟ هل ستشفع له صداقتهما وخوفه عليه؟ لم يكن شريف مهيئًا لرد فعل مُعَيَّن وكان في المقام الأول يريد الاطمئنان على صديقة وثانيًا يعرف منه أسباب هذا الاختفاء وهو ما يتطلب مصارحة سليم بما عرفه تجنبًا لإهدار وقت أو اختلاق أكاذيب دون داعٍ.

- سليم, يا سليم

انتبه سليم لصوت جيهان فقال وهو يتقلب على فراشه:

- نعم يا جيهان
- هناك صديق بالخارج يريد الاطمئنان عليك
- من هو؟
- دكتور شريف
- شريف؟؟!! متى عاد؟
- ألم يخبرك بموعد عودته؟

بدا سليم كمن يحاول تنشيط ذاكرته ولكنه أردف في حماس:

- دعيه يتفضل فورًا

ذهبت جيهان وما هي إلا لحظات وعادت يتبعها شريف, وما إن دخل شريف الغرفة حتى دَبَّ النشاط إلى حدٍ ما في جسد سليم وكان على وشك النهوض لمعانقة صديقه, لولا انحناء جسد شريف لمعانقة صديقه وقد بدت عليه علامات التعب وبعض الجروح



- حمدًا لله على السلامة يا شريف
- نحمد الله على سلامتك أنت يا سليم, ألن تتوقف عن هذا الإزعاج الذى تسببه لمن حولك؟

ابتسم سليم فقالت جيهان بلهجة أقرب للجدية منها للمزاح:

- أكان مزعجًا هكذا دائمًا يا دكتور شريف؟
- من حينٍ لأخر يسبب المتاعب له وللأخرين

قالها ثم ابتسم فنظر سليم إلى جيهان فاستأذنتهما وتركتهما وأغلقت الباب خلفها

وما إن انغلق الباب حتى قال شريف:

- يبدو أن الحادث لم يكن هَيِّنًا, ولكن لماذا سافرت وحدك ودون إخبار زوجتك؟
- بالفعل لم يكن كذلك ولم تكن هذه الحادثة فى الحسبان وكنت أنتوى العودة سريعًا
- وما سبب سفرك بهذا الشكل المفاجئ من الأساس؟
- زيارة صديق لى من خارج مصر يقضى إجازته فى دهب

أدرك شريف أن سليم لن يخبره بالحقيقة خشية اتهامه بالجنون أو لعدم رغبتهفى إقحام شريف فى موضوعٍ كهذا, فرمقه بنظرة طويلة ذات مغزى يعلمها سليم جيدًا ثم قال ببطء فى وِدّ:

- لأول مرة أشعر بأنك لا تخبرنى بالحقيقة يا سليم, لم تفعلها معى أبدًا من قبل



اضطرب سليم قليلًا وتحدث بصوتٍ عالٍ نسبيًا:

- وما الداعى للكذب أصلًا يا شريف لقد وقع الحادث فى دهب بينما أنا عائدًا منها
- ليس هذا ما اقصده.. أقصد سبب ذهابك إلى دهب

أجفل سليم لبرهة ولم يجد ما يقوله فطال صمته, فتنهد شريف قائلًا:

- ألن تحدثنى عن منصور الدوكش يا سليم؟

انتفض سليم حين سمع الاسم واتسعت عيناه تحدق فى صديقه تحاول تفسير كيف عرف شريف بشخص منصور فتساءل:

- وما الذى تعرفه عنه يا شريف؟

اعتدل شريف فى جلسته مستندًا بكامل ظهره على المقعد واضعًا كفيه المحتضنان أسفل ذقنه:

- اسمع يا سليم, أنا لا أحب اللفَّ أو الدوران ولا أُحَبِّذُ الكذب والتحايل معك أنت بالذات لأنك ستكتشف ذلك بسهولة تامة ودون مجهودٍ يُذكر, كم كنت أتمنى أن أجدك فى انتظارى حين عودتى ولكن يبدو أنك كنت مشغول جدًا لدرجة عدم الرد على رسائلى وتليفوناتى بالأخص منذ انهيار منزلك القديم وخروجك من تحت الحُطَام بعد فترة طويلة. كنت مندهشًا قليلًا ولكنى تلمست لك الأعذار, تجربة صعبة على أيِّ إنسان البقاء أسفل حُطَام عقار مُنهَار, وحين عدت علمت من زوجتك بأنك مُتَغَيِّب عن المنزل ولا تعلم سر اختفائك, انتابنى القلق بشدة عليك,



استأذنتها فى زيارة عيادتك لعلّى أصل إلى أى خيط يقودنى إليك و..

قاطعه سليم فى ضيق:

- لا تكمل الباقى معروف.. لقد وجدت الأجندة وقرأت ما بها

فأومأ شريف فى استسلام برأسه من أعلى إلى أسفل وبعدها حَلَّ صمتٌ مُطبِق على كليهما وكأن صاعقة نزلت بهما وغادرتهما دون حِرَاك, لا يدرى أحدهما كم مر من الوقت قبل أن يقول شريف:

- أسف يا سليم
- لا عليك لقد وفرت علىَّ أكاذيب وحكايات لا أساس لها
- أنا لا أتأسف على قراءتى لأوراقك, أنا أتأسف على ما تعرضت له.

فرماه سليم بنظرة طويلة فابتسم شريف حتى كشف عن أسنانه فضحك سليم هو الأخر

فاستطرد شريف:

- أنا اضطررت لذلك يا سليم وكنتُ..

فقاطعه سليم للمرة الثانية قائلًا:

- دعك من هذا, ما رأيك فيما قرأت؟
- بصراحة مشروع فيلم جيد

اندهش سليم من رده فقال فى حدة:



- هذه ليست قصة يا شريف ولم أختلق أىَّ حرفٍ بها, كل ما قرأته حقيقى ولدىَّ شواهد تؤكد صدق كلامى

- أعرفها يا سليم ولكن من العسير القبول بوجود عالم آخر لا نعلم عنه شيئًا,سكانه بعض الأموات وحاكميه من الشياطين وزائريه من الأحياء سيئى الحظ, معنى هذا أنك لم تكن الزائر الوحيد لهذا العالم, هناك أخرين ذهبوا وعادوا وأخرين بقوا إلى ما يشاء الله, لماذا لم يتحدث أولئك؟ لماذا لم نسمع عن هذا العالم من قبل؟

- وما أدرانى ربما خافوا وقرروا تجاهل الأمر خشية وصمهم بِالعَتَه, أنا نفسى لم أكن لأحكى لأحد لولا أنك رأيت الأجندة وقرأتها وحَسِبْتَنِى جُنِنْت, وكنت سأُبقِى الأمرَ سِرًّا ما حييت, ولكن لم يكن ممكنًا أن أقف مكتوف اليدين أمام ما شاهدت وعرفت, ربما زاروا سجن الموتى وحين عادوا لدنياهم نسوا ما رأوا

- حسنًا إذا كان الأمر هكذا فلماذا لم تنسَ أنت الأخر؟

- لا أدرى ولكنى أنقذت صفاء وذهبتُ إلى المكان الطبيعى الذى يجب أن تكون فيه وسأساعد حسن كما ساعدتها

- دون أن نعرف السبب وراء تذكرك؟ لماذا أنت بالذات الذى يتذكر ما حدث له؟

- أنت تُشَكِّك فيما رأيت ولا تصدق فماذا يكون إذن؟ هل جميعنا حمقى أنا ومنصور ووالده وجده وصديقة صفاء التى حكت لى اختفاءها؟ هل هلوسة جماعية أصابتنا لنحكى نفس التفاصيل ونشهد وقوع نفس الأحداث؟



- حتى لو افترضنا حقيقة ما رأيت فلماذا تتذكر أنت؟

- ليس لديَّ تفسير لذلك الآن وليس هذا أكثر ما يشغلنى, ربما الأخرون تذكروا وَفَضَّلُوا نسيان أو تناسى ما شاهدوا أما أنا فلا, ثم إنك لا تعلم ما الذى حدث لى ثانية فى دهب, ما وقع يجعلنى أُنَحِّى أىَّ شىءٍ جانبًا

- وما هى الكارثة التى أوصلتك لهذا الحال؟

- حاولت إنقاذ حسن من يد فريد المرجاوى هذا ولكن وقع ما لم يخطر لى ببال, لقد زرت سجن الموتى ثانيةً !!!

- سجن الموتى ثانية, هذا جنون

- إذا كنت لا تصدق فهذا شأنك

- أنا لم أقل أنى غير مصدق ولكنى أريد أن أفهم كيف؟

- سأحكى لك ولا تقاطعنى من فضلك

روى لشريف ما تَعَرَّضَ له منذ سفره إلى دهب وحتى عودته من شرم الشيخ واختتم حديثه بهذه الجملة:

- هذا ما دار يا شريف والباقى أنت تعرفه.

فغمغم شريف فى حيرة:

- حمدًا لله على سلامتك ولكن معنى كلامك يا سليم أن أحدهم حاول قتلك؟

- وأنا أظن أنى أعرفه



- من هو؟

- فتحى صديق فريد, لأنه أخر من تحدثت معه كل ما أحتاجه فقط التأكد من لون سيارته, وهذا أمر يسير

- كفى يا سليم, أنت نجوت بأعجوبة

- أعلم ولكنى كذلك أوشكت على الإنتهاء

- صحيح أوشكت على إنهاء حياتك

- ليس هكذا يا شريف, أوشكت على الوصول لهدفى, لجثة فريد ودفنها وأعدك أنى سأغلق هذا الموضوع للأبد, وكأن شيئًا لم يكن, ولكنى أحتاج مساعدتك يا شريف, وأنا بهذه الحالة لن أتمكن من الذهاب وحدى

- ولا حتى معى يا شريف أنت تلزمك راحة تامة

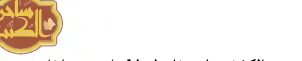
- الراحة ستأتى بعد أن أنتهى وأُنهى هذا الكابوس

- ليس مطلوبًا منك سوى أن تنسى ما كتبته وما تظن أنك رأيته, لأنه ليس مُقْنِعًا لأحد ولأنه أوردك المهالك

- حتى أنت يا شريف بعد كل ما عرفته ورويته لك

ألا تعى ما تقوله يا سليم وما تريده؟ ستطارد قاتل لتبحث عن جثة ميت لإنقاذ ميت أخر, كل هذا بفرض أن هناك عالم غريب وحدك فقط من خَبرتَه. أنت تتوهم يا سليم.

- وصفاء ومنصور الذى يجول فى هذا العالم وحسن وفريد؟ أنَّى لى أن أعرف بحياة ومصير هؤلاء؟



- ليس لدىَّ تفسير, ولكن يجب الكشف على مخك لمعرفة ما يدور بداخله

- أتهمنى بالجنون يا شريف؟

- أنا لم أقل هذا , أنا فقط أريد أن أفهم, لماذا ترى ما رأيت؟ ولماذا تتذكره دون سواك إن كان وقع فعلًا؟

- وأنا لن أقبل بهذا

صمت سليم بعدها ثم غمغم فى تردد:

- إلا لو ساعدتنى, صدقنى أنا أيضًا أريد أن أفهم

- لا تحتاج هذه المساومة لأساعدك يا سليم

- أنت من تريد التخلى عنى, ما فعلتها أبدًا من قبل ولكن..

- لا داعى لهذا الكلام يا سليم, أنت تعرف أنى لن أتخلى عنك ولكنى سأنفذ رأيك سأساعدك على أن تترك لى نفسك بعد ذلك, وطلب أخر أعطنى عنوان منصور أود الحديث معه

كان شريف بحاجة إلى أن يقتنع, لن يُسَلِّمَ عقله بشكلٍ كاملٍ لسليم, لأنه فى حالة غير طبيعية, ولكن قرار شريف أسعد سليم جدًا فغمغم:

- حقًا هل أنت جاد؟

كانت سعادة سليم لا توصف, لدرجة جعلت شريف يشك فعلًا بأن صديقه غير مُتَّزِن, فسأله:

- ما المطلوب منى الآن؟



- لا شيء, سأتأكد أولًا من لون السيارة التى صدمتنى, بعدها تتوجه معى إلى شرم الشيخ ثم دهب

- دهب ثانيَة يا سليم؟

- مرة أخيرة يا شريف وستكون بجانبى

- حسنًا متى سنذهب؟

- بعد يومين

- يومين؟! حالتك لا تسمح, وجودك فى وعيك الآن معجزة بشتى المقاييس

- لا تقلق الطبيب فى شرم طمأننى على نفسى, صحيح أن هناك بعض الجروح والكدمات والسحجات ولكنها لن تُعِيْقَنِى عن الحركة, الحمد لله لم يكن هناك كسور ويبدو أن جسدى اعتاد هذه الآلام

- وماذا إن وقع لنا مكروه ثانيَة؟

ضحك سليم بشدة وقال:

- أخائفٌ من زيارة سجن الموتى؟

- لا يا فالح, خائف أن أصبح من الموتى

فضحك كلاهما وقد استرجعا مُزَاحَهُمَا المُعتَاد فقال شريف:

- سآتى معك يا سليم ولكنى سأتخذ احتياطاتى, أنا لستُ أرعنًا مثلك

- أرعن؟ هههههههه هل هذه لغة تليق بطبيب قادم من أوروبا؟



- لك الحق أن تضحك, وقد نجوت من الموت مرتين وفى أوقات فراغك تزور عالم غريب مرتين وكأن المكان أعجبك, أخشى أن تكون الثالثة بلا رجعة وأنا معك, لا أعلم ما الذى أتى بى إلى مصر فى هذا التوقيت بالذات, أتعتقد أنها غريزة الموت التى تحدثت عنها فى مذكراتك؟

- غريزة موت؟ فأل الله ولا فألك لا ترعبنى أرجوك

- أُرْعِبُك!!! وكأنى أنا من كَلَّمتَ الموتى وجالستهم بل وأريد إنقاذهم

- إنهم طيبون حقًا ويستحقون المساعدة

- أرانى تأثرت؟

جو من المُزَاح ساد حديثهما وقد بَثَّ كُلًّا منهما فى الأخر الشعور بالأمان والهدوء واتفقا على إعداد العُدَّة للسفر فى الموعد المُتَّفَق, ولكن بعد أن يزور شريف منصور, ويتأكد سليم من لون سيارة فتحى.

زيارة شريف لمنصور ستحسم كثيرًا من الأمور, لقد رأى هو الأخر هذا العالم بل إنه ينتمى إليه أكثر من سليم, إنه عالمه بشكلٍ ما, قد تهم أحدًا بالجنون لغرابة ما يقول, أما ما يتفق عليه اثنان, فلابد وأن تتروى قبل أن تُصدِرَ حُكْمَكَ عليهما خاصةً أنه ليس لأحد منهما مصلحة, كما أن لكلٍ منهما حياة وظروف خاصة به, فما من داعٍ لتلفيق حكاية بهذا الشكل, ولا مكسب لهما من وراءها.

فى اليوم التالى اتجه شريف لفرع البنك الذى يعمل به منصور وسأل عنه, ولكن زملاءه أخبروه بأنه فى إجازة لمدة أسبوع بناء على طلبه, فتذكر شريف بأنه كان بالفعل مع سليم فى شرم الشيخ, ولكن يبدو أنه لم يتجه إلى العمل فور العودة وأراد أن يُكمِلَ باقى إجازته.



غادر شريف البنك واتجه إلى عنوان المنزل وصعد السلم حتى وصل إلى الطابق الذى يقطن به منصور، لاحظ من الخارج ارتفاع صوت تلفاز بشكل ملحوظ وغير طبيعى، والأغرب أن الصوت قادم من شقة منصور التى وصفها له سليم، طرق الباب ورنَّ الجرس دون إجابة، تعددت المحاولات ولكن النتيجة واحدة، فطرق منصور باب الشقة المقابلة فخرجت سيدة متوسطة الطول والوزن لم تتجاوز الثلاثين أو تجاوزتها بقليل ليسألها شريف عن منصور فأجابت بأنها شاهدته ومعه شنطة صغيرة بالأمس أثناء عودته للمنزل، ولكنها لم تره اليوم، فسألها وهل من عادته أن يرفع صوت التلفاز بهذا الشكل، فكان ردها بأنها أخر مرة سمعت صوت التلفاز قادمًا من عنده أثناء وجود منال رحمة الله عليها ولكن أضافت بأن صوت التلفاز مرتفع منذ مساء الأمس وحتى الآن على غير العادة، اندهش منصور فكرر محاولاته بالطرق أكثر وأكثر دون مُجِيب، وقتها شعر شريف بالقلق، هناك أمر غير طبيعى بالداخل ويجب اقتحام الشقة.. وعرض الأمر على الجارة التى لم تعرف ما تقول ولكن القلق ساورها هى الأخرى. حاول شريف دفع الباب مرات مُتَتَالِيَة، والغريب أنه مع هذه المحاولات لم يخرج منصور أيضًا، استمرت محاولات شريف المتعددة حتى انفتح الباب ليجد نفس الفوضى التى رآها سليم من قبل، دلف إلى إحدى الحجرات تتبعه الجارة وكان بها التلفاز فأغلقه لِيَعُمَّ السكون إلا من حركته هو والمرأة المرتابة، ثم اتجه إلى الغرفة الأخرى ليجد منصور نائمًا على السرير، حاول إيقاظه فباءت محاولاته بالفشل، تحسس نبضه، مازال القلب ينبض، على ما يبدو أنه فى غيبوبة لا يدرى سببها، على الفور أخرج هاتفه وطلب الإسعاف.



كانت الجارة تدعو لمنصور بكثير من الإشفاق, أما شريف فقد لاحظ عددًا كبيرًا من أكواب الشاى والقهوة وبعض أدوية تشترك جميعها فى أنها تُعِيْنُ على السهر وتنبيه العقل, لم يفهم شريف فى البداية ولكن بعد قليل حين جمع الخيوط ببعضها البعض, منصور حاول الهروب من النوم والبقاء متيقظًا لأطول فترة ممكنة لسبب لا يعرفه وحين أدرك أنه لا مناص سينام, فتح التلفاز ورفع صوته لتبليغ رسالة ما ربما يكون مُلَخَّصُهَا

" أغيثونى.. أغيثونى"

جاءت سيارة الإسعاف واصطحبت منصور ومعه شريف متجهين إلى المستشفى, هناك حاولوا إفاقته دون جدوى أيضًا, يبدو الأمر أصعب وأخطر, لا يستجيب لأىِّ مؤثر وفى حالة غياب تام عن الوعى.. فقط قلبه مازال ينبض.

تركه شريف فى غرفة العناية المركزة لإجراء الفحوصات اللازمة وقام بالاتصال بسليم الذى رد بعد ثوانٍ قائلًا:

- شريف كيف حالك؟

- أنا بخير يا سليم ولكن منصور ليس كذلك

- ماذا به؟

حكى له ما وقع, لم يكن شريف بحاجة ليرى وجه سليم ليعرف مدى تأثره بحالة منصور, صوته كفيلًا بهذا, قال شريف بإصرار:



- هذا الرجل لم يرغب فى النوم أو كان خائفًا منه, كمية المُنَبِّهات التى وجدتها بجواره تشير لذلك

- منذ زمن بعيد والنوم بالنسبه له بوابة إلى الجحيم, ولكن مالذى طرأ ليحاول تجنبه بهذا الشكل؟

- لا أدرى يا سليم, ولكن تركه للتلفاز له معنى

- أىُّ معنى؟

- هذا الرجل يستنجد بالناس يا سليم, ما من سبب يجعله يفعل ذلك غير هذا

- وربما ترك التلفاز كى يبقيه متيقظًا

- أنا وجدته فى سريره وليس أمام التلفاز

- دعك من هذا الكلام مؤقتًا.. ما هو تشخيصك المبدئى؟

- هناك العديد من الأسباب المتباينة, لكنى أُرَجِّح نزيفَ المخ

- تبًا.. أرجوك أوصِهِم به, هذا الرجل أنقذنى من الموت يا شريف, تكاليف المستشفى سأتحملها كاملة حتى تتحسن حالته

- لا تقلق يا سليم

- الغد موعدنا للسفر لا تنس.. مع السلامة



قد نملك العديد من الأصدقاء, لكن الصديق الذى يمد يد العون لصديقه فى عالمٍ آخر لهو بحق خير الأصدقاء



(29)

فى صباح اليوم التالى استعد سليم للسفر, وتهيأ للخروج من الفيلا بشكل مفاجئ وهو ما أدهش زوجته التى ما أن رأته يرتدى ملابسه ويهم بالخروج حتى استوقفته واستفسرت عن سبب خروجه مع حالته الصحية الدقيقة, فأخبرها بأنه يشعر بتحسن كبير ولا داعى للقلق, ولكن مجرد فكرة خروجه كانت كافية لتثير قلقها وشكوكها التى لم تهدأ أصلًا فانفجرت فيه:

- ما الذى تخفيه عنى يا سليم؟ ما الذى غَيَّرَكَ بهذا الشكل؟

- لا شىء يا جيهان, أنا فقط سأخرج بصحبة شريف

- لا أقصد فقط خروجك اليوم ولكن هناك أشياء لا أفهمها منذ أن نجوت من الحادث الأول

- لا يوجد ما يثير قلقك, ولا تستهينى بما تعرضت له

- أعلم جيدًا صعوبة ذلك, ولكنك لم تعد تتحدث معى وتحكى لى همومك كما كان الوضع قبل الحادث

- فقط لا أريد أن أشغلك, أنا بخير يا حبيبتى, ولا تقلقى ثم اتجه إلى الباب بخطواتٍ بطيئة مستندًا على عكازه الذى صار مُلَازِمًا له فى الفترة الأخيرة مع بعض الكدمات والجروح الظاهرة على وجهه ثم حَيَّاهَا وانصرف.

كانت تود لو صَدَّقَتهُ ولكنه مصمم على الكذب, فالموضوع ليس فقط مقابلة شريف ولكنها رأته وهو يهم باستخراج جواز سفره من مكانه فى



الدرج، إنه أذعن السفر ثانية دون أن يخبرها، ضاق بها حالها فذهبت إلى أخيها عماد تَقُصُّ عليه ما حدث تفصيليًا وهى فى غاية القلق ليُبدِى اندهاشه أيضًا من تصرفات زوجها ولكنه طمأنها قليلًا حين قال لها:

- لا تقلقى يا جيهان، زوجك يمر بظروف صعبة، وعلى أية حال سأفعل اللازم.

آن الأوان أن يتدخل عماد خاصة بعد المعلومات الأخيرة التى وصلته من الإسكندرية

فقد عرف أن هناك من سأل عن صفاء وقابل صديقتها، ليس ذلك فحسب بل إن الأوصاف التى ذكرتها صديقتها تنطبق تمامًا على سليم، ما الذى يربطه بها؟ وهل هو فاعل الخير الذى ساعد فى حل لغز اختفائها؟ وما علاقة ذلك بما وقع لسليم بسيناء؟ حادثتين أبعد ما يكونا عن بعضهما من حيث المسافة هل هناك صلة خفية بينهما؟ كل هذا وسليم لا يهدأ ولا يُفَسِّرُ ومبرراته لا تُقنِعُ طفلًا صغيرًا

- أسف يا سليم أنت من تدفعنى لذلك .. رددها فى نفسه

ثم أخرج هاتفه وأجرى مكالمة ثم قال بهدوء لمحدثه:

- هل أعددت ما طلبته منك؟ جيد .. عليكم البدء فورًا

فى المطار تقابل شريف وسليم بانتظار إقلاع الطائرة المتجهة إلى شرم الشيخ، فحالة سليم لم تكن تسمح بالسفر برًا هذه المسافة ثانيَة، سأله عن حالة منصور فأجابه:



- لا جديد, مازال فى الغيبوبة ويعيش على المحاليل

- لقد عانى هذا الرجل كثيرًا, ولا أتمنى له نهاية بهذا الشكل

- لو كانت هذه نهايته, فلابد وأنه الآن مرتاح أكثر من أيّ وقتٍ آخر

تجهم سليم حين سمع ذلك, فلم ينس أبدًا أنه فى وقتٍ من الأوقات كان يحيا سعيدًا مع زوجته وكان سليم بشكلٍ أو بأخر سببًا فى موتها.

سأله شريف:

- بعد أن تأكدنا من أنه صاحب السيارة التى طاردتك, برأيك لماذا حاول فتحى قتلك؟

- أظنه على علم كامل بتفاصيل الجريمة التى وقعت لصديقه, عَمَّا قليل سنعرف كل شىء

بعد دقائق سمعا صوت الإذاعة الداخلية تعلن عن قرب إقلاع الطائرة المتجهة إلى شرم, فاتجها نحو البوابات ليستقلا الطائرة

ما إن وصلا إلى شرم الشيخ حتى اتجها منها إلى دهب حيث مقر عمل فتحى ليراقباه عن قرب وذلك بعد أن استأجرا سيارة وحصلا على بعض الأدوات اللازمة لإتمام خطتهما وظلا فى انتظاره حتى يغادر عمله, وما إن لفظت الشمس أنفاسها الأخيرة وتولد الليل من رحم النهار حتى خرج فتحى من عمله وما أن رآه شريف بناءًا على إشارة من سليم شهق وهتف:

- لماذا لم تقل لى أنه بهذا الطول؟



- وما الذى سيغيره طوله أو قصره؟

- كيف سنجبر رجلًا بهذا الطول على الاعتراف بمحاولة قتلك أو إخبارنا بما وقع لفريد؟

- هذا سيفعل

ثم أشار سليم لتابلوه السيارة ليُخرِجَ منه مسدسًا ليشهق شريف ثانية:

- علام تنوى ياسليم, نحن لم نتفق على هذا؟

- لا تقلق سنستخدمه للتهديد فقط

- فى هذا الوقت ذهب فتحى ليستقل سيارته الحمراء وسليم وشريف يتابعانه باتجاه مسكنه الذى يعرفه سليم مسبقًا ويقع فى محيط يمتاز بالهدوء, أودع فتحى سيارته بجراج قريب وعند خروجه قابله شريف فى الطريق بابتسامة ودودة:

- أستاذ فتحى كيف حالك؟

- من حضرتك؟

- أنت لا تعرفنى لكن إذا نظرت وراءك ستفهم

وبينما يَهُمُّ فتحى بالدوران, إذا بعكاز سليم يصفعه على وجهه صفعة قوية ليتبعها شريف بضربة كوع على رأسه الذى هبط إثر صفعة سليم, هوى فتحى بعدها تمامًا ليجره شريف باتجاه سيارتهما وبمعاونة محدودة من سليم الذى مازال يعرج قليلًا مستندًا على عكازه, لحسن حظهما الحركة



هادئة تمامًا فى هذا الشارع ودهب عمومًا لتراجع أعداد السائحين بشكل عام , ركبا السيارة بعد أن قاما بتقييد فتحى بحبل متين ثم هاتف سليم زوجته ليخبرها بأنه سيتأخر قليلًا مع شريف, بعض الاهتمام لن يضر خاصة وأنه يعلم مدى ما سَبَّبَهُ لها من ألم مؤخرًا, ثم اتجها إلى أحد أطراف المدينة الهادئة, ليترجلا من السيارة ومعهما فتحى الذى مازال فاقدًا للوعى, لَطْمَتَانِ من يد سليم على وجهه الدامى الذى نزف جَرَّاء الضربة التى وَجَّهَهَا له, كانتا كفيلتان بعودته للوعى, نظر لهما وبدأ يستعيد إدراكه فقال صائحًا:

- ما الذى تريداه؟

فقال سليم بهدوء:

- أتعلم أنه كان بينى وبين الموت خطوات بسببك؟ تخيل ما الذى يمكن أن أفعله جَرَّاءَ ذلك, أقلها سأدفنك هنا دون شوشرة

- أنا لم أفعل شيئًا

- الكذب لن يفيدك ولن يغير مصيرك, أنت ميت

كان شريف صامتًا مُنْدَهِشًا من الطريقة التى يتحدث بها صديقه وإجادته للتهديد بهذا الشكل.

ثم صاح سليم فى شريف:

- هيا ساعدنى لنحفر قبره هنا؟

- أرجوك أرحمنى أنا لدىَّ طفل

- أنا أيضًا لدىَّ طفلة وأنت لم ترحمنى، على الرغم من أنى لم أؤذك بتاتًا

- أطلب أىَّ شىء، لكن دعنى أُرَبِّيَه، أىَّ مال، أىَّ تعويض يكفيك؟

- ولماذا فعلت ذلك من الأساس، لماذا حاولت قتلى؟ ما الذى وقع لفريد؟

لم يُجِب فتحى، فقال سليم مُهَدِّدًا:

- إجابات هذه الأسئلة ستحدد مصيرك

الصمت متواصل..ليهم شريف بإخراج أدوات الحفر من شنطة السيارة وهو ما أفزع فتحى ليقول بسرعة:

- إذا أجبت هل ستتركنى؟

- هذا يتوقف على صدق إجاباتك

- لقد قتلته

- قتلت صديقك؟

قالها سليم بدهشة مُصْطَنَعَة، ولكنه خَمَّنَ هذا وأراد أن يعرف لماذا.

- وما الذى يمكننى أن أفعله بعدما استمَرَّ فى الاستدانة منى ونهب أموالى لينفقها على ملذاته وحين طالبته بها مِرَارًا.. قال لى فى نهاية المطاف "فلتنس أمر هذه الأموال، ولا تُعْطِنِى أموالًا أخرى حتى لو ركعت أمامك"

- إننى متزوج من أجنبية لديها احتياجات ومتطلبات ومستوى اعتدنا العيش فيه، والعمل فى السياحة لم يعد مُجْدِيًا كما فى السابق، وأولًا وأخيرًا



إنها أموالى ولكنه ببساطة يطلب منى أن أنسى حقى وحين عرضت عليه فكرة بيع جزء من الأرض التى يملكها فى بلدته لتسديد دينه ضحك كأنى ألقيت نكتة وقال فى تهكم بالغ "وهل تظن بأنى سَأُفَرِّطُ فى أرضى وأرض أبى لِأُسَدِّدَ لك دينك؟ كم أنت أحمق!" فلم أدرِ بنفسى.. جُنَّ جنونى وتشاجرنا ولم أتركه إلا وهو جثة هامدة

ثم عَمَّ الصمت بعد أن أنهى حديثه, الآن فهم سليم لماذا قتل صديقه, وفهم لماذا أقدم على قتله هو شخصيًا, فهو جاء يسأل عن فريد وحين لم يجده أخبر فتحى بمنتهى البساطة بأنه سيبلغ الشرطة التى ستبحث وتحقق حتى تصل إليه, فتحى قطع الطريق وقرر إنهاء الموضوع بجريمة أخرى.

- أين جثته؟

قالها سليم ليرد فتحى:

- ألقيتها فى البحر؟ هذا أأمن مكان

نظر له سليم ثم بقبضة يده لَكَمَهُ فى وجهه بقسوة ثم قال:

- ألم أقل لك أن الكذب لن يفيدك؟

- أنا لا أكذب, لقد ألقيتها فى البحر

وبقبضة يده اليمنى لَكَمَهُ ثانيَة وثالثة متتاليتين فى سرعة وَجَّهَ إليه سليم هاتين الضربتين ليقول فتحى المندهش من عدم تصديق سليم له:

- لقد دفنته, لم أُلْقِهِ فى البحر ودفنته

نظر له سليم بغيظ أكبر ثم بقبضه يده اليمنى واليسرى وَجَّهَ لفكيه لكمتين أسقطتاه أرضًا, ليقول سليم في حنق صائحًا:

- أنت لم تدفنه, ليتك دفنته يا غبي, أين ألقيت جثته؟

تعجب فتحي من ثقته هذه ووجهه لم يعد يحتمل المزيد من الضربات والدم ينزف من أكثر من مكان في وجهه فقال بصوتٍ متقطع الأنفاس:

- ألقيتها في الصحراء

خذنا إلى هذا المكان, إن لم نجد الجثة, فاعتبر نفسك ميتًا

وصلوا جميعًا إلى بقعة نائية في الصحراء يقبع على أطرافها عدد من التلال, الظلام يسود, وحده ضوء السيارة هو من ينير الطريق وأقرب إنسان رأوه على بُعد 3 كيلو متر على الأقل والرياح عاصفة باردة تصطك لها الأسنان وتتقعقع لها الأضراس, توغلوا قليلًا ليشير لهم على صخرة كبيرة ويقول بصوتٍ مُنهَك:

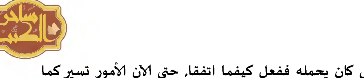
- جثته وراء هذه الصخرة

نطق شريف لأول مرة:

- وكيف تحفظ هذا الطريق؟

- كنت ألهو هنا قبل الزواج

توجها وراء الصخرة المُشَار إليها, لتملأ رائحة خبيثة أنوفهم وجثة صارت من الجيف هي مصدرها, طلب سليم من شريف الحفر, فأعطاه شريف



المسدس الذى كان يحمله ففعل كيفما اتفقا, حتى الآن الأمور تسير كما خططا لها من البداية, ثم طلب منه ثانيَة بعد أن انتهى أن يَجُرَّ الجثة إلى الحفرة فقال شريف بإصرار:

- لن أفعل, تفضل أنت

اشمأز كلاهما فقال سليم بحسم:

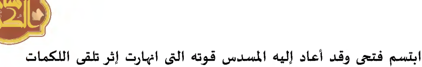
- سنفك وثاقك الآن لتضع جثته فى هذه الحفرة, أم أنك بحاجة لِغُرَاب لِيُرِيَكَ كيف تفعل؟

بدأ شريف فى فك وثاقه وسليم ممسك بالمسدس, وما إن انتهى حتى دفعه فتحى بضربة قوية من كتفه فى صدر شريف, ليرتد إثرها شريف مترين للوراء مُصْطَدِمًا بسليم الذى يحمل السلاح ليسقطا سويًا, بينما سقط السلاح من يد سليم وحين رفع شريف رأسه وجد المسدس بيد فتحى وهو يبتسم بأسنان دامية جعلت منظره بشعًا, بينما سليم يَئِنُّ من أثر الألم بساقه. تبدل الموقف تمامًا فى لحظات معدودة ليقول فتحى:

- أسف يا باشاوات ستبقيان هنا مع الجثة مادامت تهمكما إلى هذه الدرجة

انتبه شريف وقد استوعب الموقف والنتائج المترتبة عليه فقال موضحًا:

- افهم يا فتحى, نحن لا نريد قتلك, لو كنا نريد ما كنا وصلنا إلى هنا وكنا قتلناك من البداية



ابتسم فتحى وقد أعاد إليه المسدس قوته التى انهارت إثر تلقى اللكمات والضربات فقال متهكمًا:

- ولماذا أغامر وأترككما؟ لقد وقعتما تحت يدى وطلقتان ستنهيان الأمر

تبادل شريف وسليم النظرات, وأدركا أنه لا جدوى من المحاولات مع قاتل شرع فى القتل ثانية لحماية نفسه سابقًا, اللوم لن يُجدى, والندم لن ينفع.. أيترجياه كى يدفنهما بعد قتلهما؟!!!

طلقة انطلقت من الظلام لِتُسْقِطَ المسدس عن يد فتحى, وصوت لم يُمَيِّزَهُ أحدهم يقول فى ثبات:

- لن تفعل يا فتحى, دعك من عمل الهواة, لقد وقعت فى يدى أنا هذه المرة

قالها عماد الذى برز وجهه أخيرًا وعرفه سليم لِيُكْمِلَ مُوَجِّهًا حديثه لسليم:

- ولكن هل من تفسير لما يحدث يا دكتور؟

كان عماد مُتَابِعًا لكل الخطوات من البداية منذ أن أخبرته أخته باصطحاب سليم لجواز السفر, فاستمر فى مراقبتهما لعله يفهم ما يدور, بالطبع هناك الكثير لم يفهمه وفى انتظار أن يفهم.

قال سليم بعدم تركيز:

- هذا الرجل حاول قتلى, أأتركه؟



- ولماذا لم تبلغنا، ولماذا يقتلك؟ وما علاقتك بفريد؟ وما علاقتك بصفاء قتيلة الإسكندرية، لا أحد من أهلها أو حتى جيرانها وأصدقائها يعرفك؟

فوجئ سليم بِكَمِّ الأسئلة، وهو يدرى بأن الإجابات الحقيقية ستجلب له اتهامات لا حصر لها، صمت وطال صمته ولكن الكلام جاء على لسان شريف هذه المرة:

- صفاء كانت صديقتى على الإنترنت وجمعتنى بها علاقة بريئة، اختفت فجأة ولم تعد تُحَدِّثِنِي فطلبت من سليم أن يسأل عنها لأنى كنت مُسَافِرًا وقتها

لم يصدق سليم الحل السحرى الذى قَدَّمَهُ له شريف فى لمح البصر فقال سليم هو الآخر:

- أما باقى الأسئلة سيجيبك عنها فتحى، فهو لديه جميع الإجابات. أشكرك يا عماد لأنك ظهرت فى الوقت المناسب.

جاء كلامه مصبوغًا بِجِدَّة جَرَّاء أحداث هذه الليلة.. تَطَلَّعَ إليه عماد طويلًا ولكنه تغاضى مؤقتًا عن الاستمرار فى استجوابه لسوء حالته أولًا ولكونه زوج أخته ثانيًا.. ألقت القوات القبض على فتحى وَوَجَّهَت الأسئلة لسليم وشريف، اللذيْن احتفظا بأسرارهما، وكانت إجاباتهما واحدة فى ما يخص فريد وصفاء، فسليم يود شراء قطعة الأرض التى يملكها فريد، وهى السبب فيما تلاها من أحداث.

لا أحد يشعر براحة كتلك التى شعر بها سليم، بعد أن عثر على جثة فريد، فقد تأكد الآن أنه فى طريقه لمغادرة سجن الموتى، ربما تعود بعض الراحة والهدوء لحسن ذلك المسكين الذى لا يشعر أحد بمعاناته غير سليم. ولم

ينس أنه قَدَّمَ خدمة جليلة أيضًا لفريد قد لا يستحقها فقد عثر على قاتله وأراحه من سجن الموتى.

عادوا إلى القاهرة بعد ليلة طويلة قضياها فى الرد على أسئلة المُحَقِقِينَ على وعد باستكمال التحقيق فى وقتٍ آخر. كان أول مكان يزوره سليم وشريف هو المستشفى كى يطمئنا على منصور, الذى مازال غارقًا فى غيبوبة, الله وحده يعلم متى ستنتهى إذا كانت ستنتهى أم إنها ستقضى على حياته.

وقف سليم دامع العينين بجوار سريره وجسد منصور مُسْجَى أمامه لا أثر لحياةٍ فيه إلا من نبضات قلبه فقط هى ما تربطه بعالمنا. تُرى ما الذى يراه ويشعر به منصور حاليًا؟ هل مازال موجودًا هناك فى عالمه المروع؟ هل مازال يمارس نفس المهام أم أنه فى طريقه لمغادرة كلا العالمين؟ كانت الأسئلة تتردد فى ذهن سليم الذى لم ينم منذ أول أمس .. منذ اليوم الذى علم فيه بدخول منصور فى غيبوبة, قضى يومه يفكر فى منصور وحالته و ليله يخطط للأحداث التى دارت فى الليلة الماضية. خرج من العناية المُرَكَّزَة ليجد شريف يتحدث مع أحد الأطباء وبعد أن أنهى حديثه اتجه إليه فسأله سليم:

- هل من جديد؟

فأومأ شريف برأسه نافيًا فقال سليم:

- لا أعرف كيف أشكرك يا شريف, بصرف النظر عن ما حدث أمس كنتُ بأشد الحاجة لوجودك بجوارى, ومنذ قدومك وأنت مشغول بى وباختفائى



ومشاكلي, ولكنها مرت بسلام, حان الوقت لأسمع منك عن حياتك بالخارج وأسباب عودتك ومشروعاتك القادمة.

- ليس الآن يا سليم, كلانا مُجهَد, سنجلس ونتحدث, ولكن بعد أن نرتاح ولو قليلًا, الآن اذهب لبيتك ونَل قسطًا من الراحة

احتضنه سليم بعد أن قال " حمدًا لله على سلامتك" ثم ودعه وانصرف.



أنا وهو

شريكان فى شَرَكٍ واحد

وشريكان فى لعبة الاحتمالات

ننتظر الحبل.. حبل النجاة

لنمض على حدة

وعلى حافة الهاوية

إلى ما تبقى لنا من حياة

وأمل

إذا ما استطعنا النجاة!

محمود درويش بتصرف بسيط



(30)

عاد سليم إلى الفيلا، لحسن حظه لم يقابل حماه، لم يكن لديه أيَّ استعداد للكلام أو التعرض لمزيد من الأسئلة، فاتجه إلى غرفة النوم مباشرة ليجد جيهان نائمة على السرير، لا ينكر أنه افتقدها كثيرًا في الفترة السابقة ولكن ما مر به لا يمكن أن يُشْرِكَهَا به، جلس على طرف السرير بجوارها، كانت نائمة على جنبها الأيمن، ظهرها باتجاهه ووجهها في الجهة المقابلة، طبع على رأسها وشعرها العديد من القُبُلَات لا يعرف إن كانت أيقظتها أم لا، همس بجوار أذنها في أسى حقيقي:

- أنا أسف لما سببته لكِ من ألم وقلق في الفترة السابقة، لقد انتهى كل ذلك ومضى ولن يعود، أعدك بأنه لن يعود، وستعود حياتنا كما كانت، نملأها سعادة مع سلمى، كم أفتقدكما! سامحيني يا جيهان.

التفتت إليه بهدوء وضَمَّتهُ إليها بشدة، دفن رأسه في صدرها، واحتواه قلبها، كان في أَمَسّ الحاجة لهذا الحضن، ينسى به ما فات، ويفتح صفحة جديدة من عمره بعد أن يطوى صفحة كادت أن تُودِي بحياته مرتين.

وللنوم في حضن الحبيب راحة لا يعرفها إلا ذو حظٍّ عظيم هو من وجد هذا الحبيب ليمنحه مثل هذا الحنان العَطِر، لذا نام سليم نومًا هادئًا عميقًا، وابتلعه اللازمان واللامكان دون إرادة أو وعى منه، ولكن عجيب أمر الأحلام تنال منك حتى في الوقت الذى تقرر فيه أن ترتاح، لا سبيل لإيقافها أو تأجيلها، لذلك كان سليم مُضْطَرًّا حين شعر بهذا الإحساس من جديد، هو يحلم، ناهضًا من أرض حفظها من كثرة ما رآها في منامه، يمشى بخطواتٍ هادئة، أهدأ من كل مرة زاره فيها هذا الحلم، الهدوء بلغ منتهاه،



مازال مستمرًا فى السير حتى رأى عن بُعد سُلَّمًا يظن أنه رآه من قبل لا يذكر الآن أين ومتى. جَرَّبَ الصعود درجة واثنتان وثلاث, أكمل حتى بلغ منه التعب, نظر لأعلى لايزال هناك الكثير من الدرجات, واصل الصعود, مازالت القمة بعيدة ولكن يبدو أن هناك من ينتظره فى نهاية السُلم, لا يميز من هو ولكنه بدأ يتذكر, هذا السُلم صعده من قبل حين كان يبحث عن حسن بعد خروجه من الساحة, تبًا لِعُصَابِ الصدمة وإجبار التكرار والرجوع للحالة السابقة وتلك الدوافع التى قرأها فى بحثه عن دوافع وأسباب الأحلام, هاهى تُعِيدُ إليه الخبرات المؤلمة فى أحلامه, لابد وأن حسن ينتظره من جديد فى أعلى السُلَّم.

حسنًا لا بأس من مرة جديدة يا حسن فى الحلم, تُرى هل ستشكرنى؟ صدقنى أنا أسعد منك بمساعدتى لك فلا داعى للشكر, لقد صرنا أصدقاء وصار هذا واجبى.

كان هذا الحديث يدور فى نفس سليم بينما يصعد, الشخص الواقف فى أعلى السلم يزداد اقترابًا وسليم يواصل, يقترب, يميز الهيئة, ليس حسن, ولكن من؟ أسرع فى صعوده, ولكن هذا الواقف يعود خطواتٍ للوراء وسليم يُسرع حتى اقترب من القمة, ليرى أخيرًا هذا الواقف المنتظر, لم يكن حسن ولكنه منصور.

وصل سليم ليقف فى مقابلة منصور يفصلهما مترين فقط عن بعضهما البعض, سعادة سليم لا توصف, لقد كان قَلِقًا عليه منذ دخوله فى غيبوبة, شكرًا لهذا الحلم سيُشبِعُ رغبة عارمة لديه وهى الاطمئنان على منصور, هكذا كان شعوره وهو يقف أمام منصور.



حزن كبير يبدو على وجه منصور, كان ذلك مفهومًا وسليم يعرف سببه, لذا اقترب منه ببطء واحتضنه, ليبكى منصور ويعلو نحيبه, رَبَتَ سليم على كتفه مرات ومرات وهو يقول:

- ستعود, لن أتركك

ومنصور يردد وسط بكاءه:

- سامحنى, لم أكن أعلم, سامحنى

لم يتبين سليم كلماته, ولكن منصور يُكَرِّر نفس الجملة فى إصرار, حتى وعاها فابتعد عنه قليلًا وهو يقول:

- علام أسامحك؟

- على ما أوقعتك فيه, لم أكن أعلم

- أنا من أردت ذلك, أنا من حاولت مساعدة حسن, المهم أنى لن أتركك

- لستُ عن هذا أتحدث

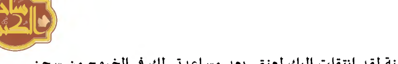
- ليس عن هذا!!!!! ماذا تقصد؟

سقط منصور على ركبتيه وهو مازال يبكى وهو يقول:

- عن ما أوقعتك فيه, عن هذا العالم

ارتسمت علامات الدهشة وعدم الفهم على سليم ليقول بعد أن جلس على ركبتيه أيضًا:

- ماذا تقصد؟ أنا لا أفهم ما ترمى إليه



- اللعنة لقد انتقلت إليك لعنتى، بعد مساعدتى لك فى الخروج من سجن الموتى

*****

لأمر خطير والقواعد كثيرة واللعبة لا تتوقف ولا تنتهى لأن زِمَامَهَا ليس بأيدينا، وأنا مجرد دُمية تَئِنّ ليس لها القدرة على تغيير المصير.

*****

ستخوض تجارب غريبة وترتاد عوالم أغرب وتقابل من ينتمون لعالمك ومن لا ينتمون، ستراهم يتلقون العذاب صنوفًا وألوانًا، ولن تجرؤ على المساعدة، ستُغمِضُ عيناك وتتمنى لو فقأتهما وهما مقبلتانِ على رؤية ما يشيب له الفانون أمثالك.

*****

ماذا لو لم يجدوا جسدى تحت الأنقاض؟ ماذا لو كانت جثتى مفقودة ولا أحد يعلم مكانها؟ هل كنت ستتركنى أعانى فى هذا السجن وتشاهدنى بينما أتعذب وأواجه الملل والحسرة على جَسَدٍ لا أعلم أين ذهب، تسبب فى وجودى ومعاناتى؟ ألن تمد يدك لى، ألن تساعدنى؟ أم أن سلبيتك سيطرت عليك بشكلٍ كامل وجعلتك دُمْيَةً فى يدِ هؤلاء الشياطين لا تُنَفِّذُ إلا ما يريدون، ولا تأتمر إلا بأوامرهم، أم أنك تتلذذ برؤيتك لبعض أقرانك من البشر يذوقون مثلك صنوف العذاب ويتجرعونه كأسًا وراء كأس فى غير رحمة ولا إشفاق؟

*****



لو كان بيدى المساعدة لقدمتها لنفسى ولا أموت ببطء كما هو الحال الآن, أنت لم أرك فى سجن الموتى سوى وأنت فى طريقك للعودة من جديد, أما من أقابلهم وأنا فى هذا العالم هم أكثر مما يمكننى مساعدته أُنقِذُ من؟ أم من؟ عشرات ومئات أُقَابِلَهُم, لم أكن السبب فى وجودهم هناك غير أنه غير مسموح لى بالمساعدة من الأساس, هذه إحدى القواعد التى لا ينبغى لى كسرها. هذا أسلم وأصلح للجميع.

*****

وما دورك فى هذه الاماكن؟

أدوار متنوعة أنا خادم فى مكان, وأداة للتعذيب فى مكان وشاهد على الألم فى مكان, وسجَّان فى مكان وأواجه تحديات عديدة فى هذه الأماكن أما الدور الأعم الذى يجمع كل الأقسام معًا هو مراقبة تلك الأماكن وما تحويه من عذاب وألم وذلك على سبيل تعذيبى أنا شخصيًا وما أنا إلا مسجون فى هذا العالم وسجَّان على هؤلاء فى نفس الوقت ولكنى فى الحقيقة سجين مؤقت, سجين فى كوابيسى كل ليلة.

*****

- لقد أصابتك لعنتى وانتقلت إليك ولذريتك من الذكور

- أىُّ لعنة؟ هذا مجرد حلم, أنا متأكد من ذلك,أنا لم أفعل شيئًا, أنا نائم الآن بجوار زوجتى.

بصوت يملؤه الهم والألم قال منصور:



- ستكون آخر مرة تنام بجوارها يا دكتور, فلتبحث حين تصحو عن مكان تنام فيه وحدك مستقبلًا مثلما فعلت أنا وأبي وجدي من قبل, هذا ليس حُلمًا يا دكتور, لقد صرت ملعونًا مثلى تجوب هذا العالم لأنى ساعدتك فى الرجوع لعالمك, ما ينبغى لى مساعدة أحد ممن أشاهدهم فى هذا العالم, أنا أعلم هذه القاعدة جيدًا أخبرنى بها والدى مِرَارًا, كى لا أنال العقاب أنا ومن أساعده, ولكن بعدما رأيتك هنا آخر مرة مع حسن قررت مساعدتك ولم أكن أعلم مدى العقاب الذى سيحل بى وبك ولكنى تقبلتُ عقابى أما العقاب الذى سيحل بك فتصورتُ أنه مهما بلغ سيكون أهون من بقاءك هنا نزيلًا دائمًا فى سجن الموتى كالباقين, كنت أمام خيارين إما أن أنقذك لتعود لأهلك وعالمك وإما أن أتركك تعانى كالأخرين مثلما فعلت دومًا, لم أتخيل أن يكون عقابك أن تحل لعنتى عليك, سامحنى يا دكتور سامحنى

- هذا جنون, أنا لم أقترف ذنبًا لتحل علىَّ لعنة

- أخبرتك من قبل, و لا أنا أيضًا, لا عدالة ولا منطق هنا, ولكنها قواعدهم التى ما ينبغى أن يخالفها أحد, بعد أن رأيتك هنا ذهبت على الفور إلى دهب لإنقاذك وعُدتُ بك إلى شرم الشيخ بقيت بجوارك طوال الفترة التى لم تكن بها واعيًا, لم يغمض لى جفن, بقيت طوال هذه المدة بلا نوم حتى حين عدت لبيتى قاومت النوم بشدة رُغمَ ما حَلَّ بى من تعب, كنت أعلم أنه بمجرد نومى وعودتى هنا سأنال عقابى الذى لا أعرفه ولكنى أثق أنه مُخِيف بما يكفى, إلى أن استسلمت للنوم, لن أبقى مُتَيَقِّظًا باقى حياتى, وقابلتهم, شياطين هذا العالم أنبأونى بالثمن الذى سأدفعه مقابل مساعدتى لك, سأبقى هنا أمارس نفس الأدوار وأواجه المزيد من التحديات حتى يكتفوا وأعود وقتها لسابق حالى أو يحين أجلى, هذا جزائى وقد قَبِلتَهُ,



وعلمتُ منهم بأنك ستلحق بي متى تنام لتمارس نفس الأدوار لِتَدَخُّلِكَ أكثر من اللازم فيما ليس لك به شأن.

صدمة عنيفة تلقاها سليم على حين غُرَّة, كان غير قادر على التفكير ولكن الوقت يمر, يُمنّي نفسه بأنه يحلم وأن ذلك كابوسًا سيصحو منه فورًا. ولكن ماذا لو أنها الحقيقة؟! يفكر لو لم يفعل منصور ذلك لبقى هنا مثل حسن والأخرين, ربما يجدوا جثته وربما لا, وإن وجدوها ستكون جثة غادرتها الحياة, جميعها خيارات مؤلمة.

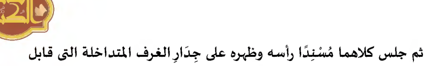
- سامحني يا دكتور, ربما لو علمت لفكرت قليلًا, ولكني فقط حاولت المساعدة, لا تقلق سأكون بجوارك دائمًا, ستكون أيامك و شهورك الأولى هنا مُفْزِعَة ماجنة مُقَزِّزَة ولكنك ستعتاد الألم حتى تنساه, ستمل من الذهول من هول ما ترى, الخوف فقط من الوقوع في شِرَاكِ إحدى التحديات التي تواجهها, ولكني سأُنَبِّئُكَ بكل صغيرةٍ وكبيرةٍ تَجَنُّبًا لهذا الأمر, أعلم أن هذا صعب, ولكن لديك بعض الامتيازات لم أكن امتلكها. لديك رفيق في هذا العالم هو أنا, وصديق هو حسن, كما أنك متزوج ولديك ابنة لن تنتقل إليها اللعنة كونها أنثى, لو كان لديك ولد, لكان الأمر أشد.

فقال سليم بصوتٍ يملؤه الحسرة يوشك على البكاء:

- حقًا كم أنا محظوظ!!!

ثم ساد صمتٌ ثقيل حتى كسره منصور:

- يكفي ما عرفت اليوم وستعرف كل شيءٍ لاحقًا وسنجول تلك العوالم بدءًا من الغد في موعد نومك القادم



ثم جلس كلاهما مُسْنِدًا رأسه وظهره على جِدَارِ الغرف المتداخلة التى قابل بها حسن من قبل ثم وضع سليم رأسه فوق ركبتيه.

لا يعرف كم مر من الوقت, ولكنه يعود من جديد لسريره فى غرفته, ويستعيد وعيه ويُبْصِرُ مُكَوِّنَاتِ الغرفة من حوله, زوجته غير موجودة بجواره, أين ذهبت؟

تَذَكَّرَ كل ما جرى أثناء نومه, فَكَّرَ ما احتمالات أن يكون هذا كابوسًا أو أن يكون حقيقة؟ لا يملك إجابة حاسمة لا هو ولا أحد على وجه الأرض سوى منصور لكنه فى غيبوبةٍ تؤكد ما دار أثناء نومه, سيكون أطول يوم يمر فى عمره حتى يحين موعد نومه القادم ليتيقن. يا للجنون!

انفتح باب الغرفة لتدخل زوجته مرتدية ثياب الخروج, لايعرف أهى فى طريقها للخروج, أم أن تلك عودتها. نظرت له ثم قالت:

- ألن تقول لى حقيقة ما دار فى دهب؟

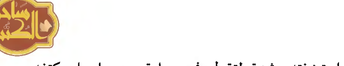
- ألم يُخْبِرَكِ عماد؟

- أخبرنى ولكنى أريد أن أسمع منك

- ما رواه لكِ هى الحقيقة وقد انتهى هذا الموضوع

- حقًا؟

فقال وهو شاردًا فيما رآه أثناء نومه:- حقًا



اندفعت إليه واحتضنته بشدة لتقول في سعادة ووجهها على كتفه وتمنحه قُبلَةً دافئة في جانب رقبته:

- إذن فلتحافظ على حياتك يا حبيبي من أجلنا ولتكُفَّ قليلًا عن إثارة قلقي وغضبي مستقبلًا, فأنا حامل!!!!

....

ولم تكن تلك هي النهاية بل مجرد بداية







شكر خاص

خالص الشكر والتقدير للأصدقاء الأعزاء الذين لم يبخلوا علىَّ بأوقاتهم وملاحظاتهم وآرائهم فى الرواية وساهموا فى خروجها بهذا الشكل

تامر سعيد — محمد هشام سيد

محمد على على — ولاء مهتدى عبد الصمد

راضى عبده — محمد عصمت

إسلام إسماعيل إبراهيم — بهاء الدين أسامة

شكر وامتنان لدكتور عادل مجدى عبد الجواد للمعلومات الطبية المميزة

شكر خاص لكل أعضاء جروب التولتمية

شكرًا لوجودكما فى حياتى

أحمد سمير — أحمد جمال

شكر بحجم الكون لأصدقائى الكُتَّاب وأساتذتى

محمد عصمت — عمرو الجندى

محمد مجدى



الكاتب فى سطور

الكاتب من مواليد القاهرة لعام 1983م، تخرج فى كلية الألسن قسم اللغة الألمانية بجامعة عين شمس لعام 2004

عمل بمجال الترجمة حيث قام بترجمة بعض الأفلام الوثائقية والأبحاث المتنوعة

عمل بمجال التعليم كمدرس للغة الألمانية

والآن يعمل رئيسًا لقسم التخطيط بالموارد البشرية للشركة المصرية للإتصالات

شارك بعام 2013 فى كتابين جماعيين بعنوان

(شيزوفرينيا الحب)

(1+99)

شارك بعام 2014 فى ثلاثة كتب جماعية بعنوان

(سكر بنات)

(خوف)

(3 فاز)

يمكن التواصل مع الكاتب عبر حسابه التالى على الفيس بوك

https://www.facebook.com/ahmed.osama.792







noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

هَلُمّ بنا لنبحر مع الكاتب الرائع أحمد أسامة فى رحلة قصيرة مُتخمة بالأسئلة حول سجن الموتى و أين تذهب أرواح الموتى؟ هل هناك عودة من سجن الموتى؟ وغيرها من الأسئلة فى رحلة ملئها الفضول و اللغة الشيقة الجذابة ، لندع الملل جانبًا لأن لا مكان له ها هنا ، هنا الحكم و السيادة للتشويق و الإثارة فقط هلم بنا لنخوض تلك الرحلة وصدقنى لن تندم أبدًا و لكن احذر لا تقبع طويلًا في سجن الموتي لانك لا تعرف شروطه ولا تعرف تعليماته فقط كن حذرًا للغاية.

الكاتب/ محمد عصمت

عندما أدخل المكتبة، أو أتصفح الإنترنت للبحث عن رواية جديدة أقرأها.. أبحث عن موضوع جديد، مُثير، مشوق، شيئًا لم أقرأ مثله من قبل، حتى أقتطع مستمتعًا بضع ساعات من عمرى لقرائته، من خلال ثلاثة قصص تحكى بالتوازي.. إلى أن تتداخل بسلاسة وتبدأ الحقائق فى التكشف.. نعرف قصة.. سجن الموتى."

الكاتب/ محمد مجدى

تصميم الغلاف : أسامة علام

